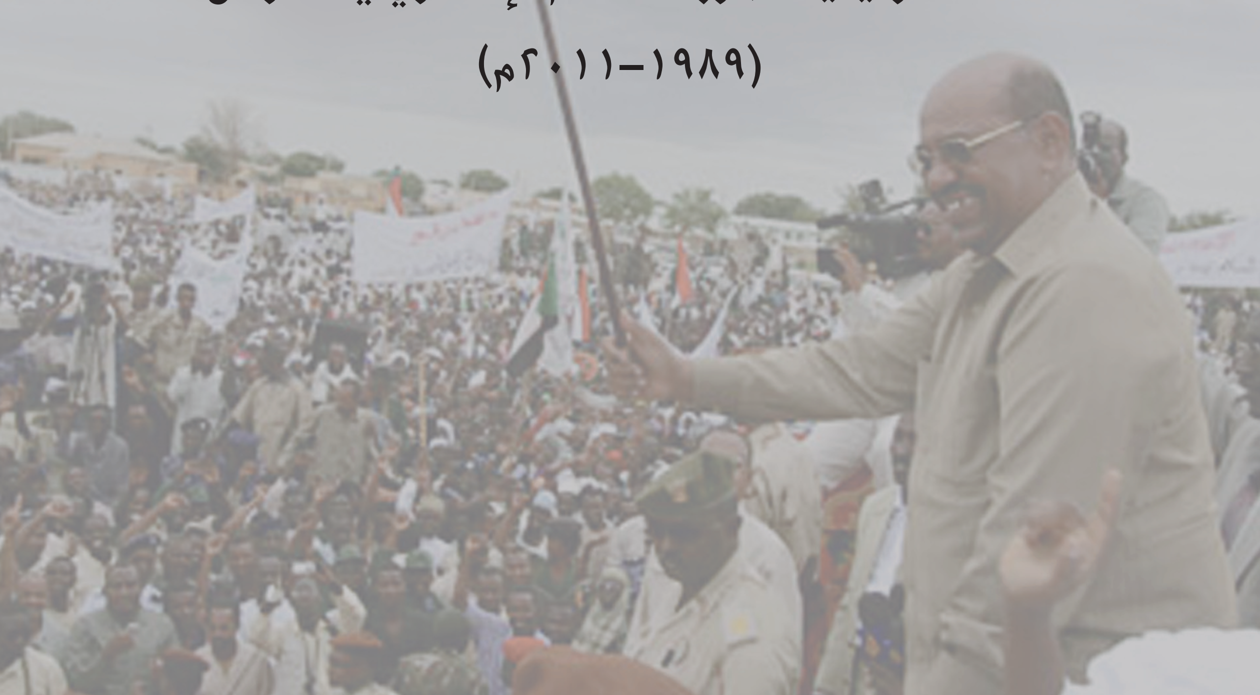
السلسلة التوثيقية السودانية

خالد عبد الله – أبواحمد

# عباقرة الكذب

مقالات توثيقية لتجاوزات النظام الإسلاموي في السودان

(١٩٨٩-٢٠١١م)



خالد عبد الله – أبواحمد

# عباقرة الكذب

مقالات توثيقية لتجاوزات النظام الإسلاموي في السودان

(١٩٨٩–٢٠١١م)

أبريل ٢٠١١م

# بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(٦) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ(٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(٨) يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ(١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ(١٣) وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ(١٤) اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٥) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ(١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ(١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ(١٨) .سورة البقرة

صدق الله العظيم

## إهداء (١)

إلى والدي العزيزين

دعواتي لكما بطول العمر..

وقد ربياني على المحبة وكراهية الظلم

## إهداء (٢)

إلي ضحايا ظلم (الإنقاذ) الذين أعيتهم الحيلة

في السجون والمعتقلات وأمهات شهداء مجازر النظام

في الجنوب ودارفور وبورتسودان وأمري وكجبار

## أهداء (٣)

إلى أخي العزيز الزميل المعتقل أباذر علي الأمين ياسين

في روضته الغنا وعالمه الفسيح

للجميع

محبتي وتقديري

# مقدمة

**"إن الذين يقرءون التاريخ ولا يتعلمون منه أناس فقدوا الإحساس بالحياة، وإنهم اختاروا الموت هرباً من محاسبة النفس أو صحوة الضمير والحس".**

أرنولد توينبي

كلما أخذتنا الأحداث الجسام بعيداً إلى الكوارث والمآسي نجد أنفسنا أحوج ما نكون إلى معرفة الأسباب غير المنظورة والعميقة التي تقف وراء هذه الأحداث، ومن هنا فنحن مضطرون إلى مدارسة التاريخ بكل ما فيه من صفحات سُود وعلامات بيض وقصص وحكايات وأدب.. وطرافة حتى نتعرف على ذاتنا من الداخل من خلال معرفة الجينات المرتبطة بنا وأجدادنا في القرون الأولى لتاريخنا.

وفي هذا الصدد

يقول أمير الشعراء.. الشاعر أحمد شوقي:

أقرأوا التاريخ إذ فيه العبر          ضل قوم ليس يدرون الخبر

بلا شك إن التاريخ هو ذاكرة الأمم، ولا تستطيع أمة أن تعيش بلا ذاكرة، ودراسة التاريخ واستخراج الدروس والعبر منه هو دأب الأمم القوية فالتاريخ مرآة الشعوب وحقل تجارب الأمم في صفحاته تكمن الدرر والنفائس للذين يريدون الوصول إلى النهايات السعيدة.

هذا الكتاب مجموعة من المقالات كتبتها في حالات ولحظات يصعب عليّ التعبير عنها مهما أوتيت من بلاغة ومن مهارة في استخدام اللغة ذلك لأن جلها كتبت تعبيراً عن خنقي وألمي الشديد على ما يدور في السودان من أحداث صبغت عليها حالات التجاوز في استخدام السلطة والقوة لغير ما خصصت له، وفي احيان كثيرة كنت

أكتب لتفريغ شحنات الغضب والألم النفسي من تصرفات قام بها قادة النظام الحاكم في السودان تتضارب وقيم الدين الحنيف الذي تاجروا به في سوق السياسة والإقتصاد والمجتمع، ويدعون وصلاً به وهم أبعد خلق الله تعالى عن ما جاء به النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا فيه الكثير من المقالات التوثيقية لأحداث ووقائع التي شكلت حقبة زمنية مهمة في تاريخ هذا البلد، وهي التي فتحت الآفاق لمعرفة الأسئلة الصعبة لأسباب نشوب خلافات معينة أدت لإراقة الدماء في أجزاء معينة في البلاد، وكذلك مادة هذا الكتاب تشير بوضوح للمستقبل الذي ينتظر السودان من خلال الصور الحية لما حدث في العقدين الماضيين والنتائج الكارثية التي نتجت عنها، فالكتاب يحدث عن (الكذب) كممارسة أصيلة للنظام الحاكم في البلاد، وطريقة حكم في التعامل مع القضايا المصيرية والتي تتصل بحياة الناس في معاشهم اليومي.

وتتبع أهمية مادة هذا الكتاب كونها توثيق لجرائم لم تحدث من قبل لنظام حكم يرفع شعار الإسلام ويدعي الدفاع عنه، وهو من خلال ممارسته الكذب العلني الصريح يهدم أقوى أركانه، فأصبح الاسلام يكمن جاء لينتقم من الناس ويرهبهم، ويقطع لحومهم، ويفتك بهم أشد الفتك كما أكدت بذلك ممارسات النظام الحاكم ولا أستدل إلا بالـ ٣٠٠ ألف مواطن راح ضحية في دارفور قتلتهم قوات النظام وحرقت بيوتهم بالطائرات القاذفة للهب، وقتلت كل من طالب بحقه في العيش الكريم كما حدث في مدينة بورتسودان (٢٠٠٧) حيث فتحت سلطات الأمن النار على متظاهرين عزل، وكما حدث في منطقتي كجبار وأمري عندما قتلتهم قوات الأمن بدم بارد وهم يهتفون بعودة الحياة لطبيعتها رافضين الحلول الحكومية في فرض واقع لا يريدونه وكانوا عزلاً من السلاح قتلوا بشراسة وقسوة ليس لها اي مبرر.

كل العالم شهد جلد الفتاة السودانية على شبكة الانترنيت ٢٠١٠م وكيف أن قوات الشرطة السودانية الاسلاموية قد مارست القسوة والحقد الأسود على الفتاة، وكانت الطامة الكبرى تأكيد الحكومة ما قامت به الشرطة في ممارسة هذه البشاعة التي شهدها ملايين المشاهدين، هذا النظام أول من أعتقل زوجات المعارضين وهذا ما لم تقوم به حتى القوات الإسرائيلية المحتلة للأراضي الفلسطينية..!!.

هذا الكتاب يركز على التوثيق بقراءة التأريخ والتأمل فيه لذا نجد إشارات كثيرة تدعونا إلى أهميه دراسة سير الأولين والتأمل فيها وأخذ العبر منها: قال تعالى: « قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنَ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ{ آل عمران/١٣٣

وقوله سبحانه وتعالى "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" يوسف/١١١ وقوله تعالى: "...فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.."، الأعراف /١٧٦

تجعلنا نستبصر الطريق، وفيه الكثير من العلامات الدالة على أهمية التوثيق وتدوين الوقائع والأحداث المهمة في تاريخ حياتنا سيما ونحن في السودان لا زلنا نتنكّب الطريق ولا ندري أي مخرج يخرجنا من أزماتنا المتكررة، والتي تُشابه بعضها البعض دون أن نستفيذ من التجارب.

لا يعتقد القارئ الكريم أن نشر هذه المقالات عبر المواقع الالكترونية مر مرور الكرام، فقدت واجهت حرباً شرسةً من قبل أعوان النظام وبشكل مدروس ومخطط للنيل مني ومحاولات كثيرة فشلت لقتلي معنوياً، مارسوا معي كل أساليب المخابرات القذرة من الشتيمة والسباب عبر الهاتف الجوال والبريد الالكتروني، ووصلت بهم حالة الغضب لتشويه سمعتي في الدولة التي أقيم فيها، بفضل الله تعالى فشلت كل مخططاتهم الأمر الذي أراحني كثيراً في أن رسالتي قد وصلت لأكبر قطاع من القُراء المنتشرين على كل بقاع العالم والذين أمتن لهم كثيراً على ما أحاطوني به من محبة ومن تقدير وتفاعل وصل حد رفع أكفهم لله تعالى بالدعوات الصالحة، وحقيقة ما أن كتبت مقالةً وكشفت فيها عن فساد النظام إلا وجاءتني عشرات الاتصالات الهاتفية والبريدية.

الله الحمد والشكرلله.. وأسأله تعالى أن يوفقني في مواصلة هذه المسيرة المباركة في تعرية أرباب الفساد الاسلاموي وتوعية الأجيال الجديدة من خلال تمليكهم المعلومات الدالة على فساد أخلاق الحاكمين في السودان وبُعدهم عن تعاليم الدين الحنيف، وعدم تصديقهم والسير في طريقهم، فإن الشعب السوداني دون سائر

شعوب الأرض أشتهر بالطيبة والسماحة وحسن الخلق والكرم والجود وتمسكه بأدب النبوة الشريفة، وحبه للناس..كل الناس.

ﷲ إني أسألك ان تزيل عن أمتنا هذا النظام المتكبر المتجبر إنك نعم المولى ونعم النصير.

خالد ابواحمد

ديسمبر ٢٠١٠م

# عباقرة الكذب..!!.

برغم الأوضاع المأساوية التي يمر بها السودان في كافة مناحي الحياة وبشهادة المنظمات الدولية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية لا زال قادة النظام الحاكم يصرون إصراراً بالغاً على الكذب وبلا حياء ويبثون أكاذيبهم على الفضائية السودانية في محاولات ساذجة لتصوير الأوضاع في البلاد على انها مزدهرة وناهضة، استخفافاً بعقول الناس الذين يدركون جيداً حقيقة ما يحدث في البلاد، وفي الوقت الذي يعيش فيه رئيس الدولة عمر حسن احمد البشير وضعاً مأساوياً بسبب زيادة الخناق عليه من قبل المجتمع الدولي والجنائية الدولية أصبحت (الدولة) السودانية نفسها في وضع حرج بسبب غيابها عن العديد من المحافل الدولية والإقليمية التي تُقرر في الكثير من القضايا ذات الأهمية التي تهم شعوب منطقتنا العربية والأفريقية.

ان الكذب نقيض الصدق الذى يبحث عن الحقيقة والتى تقود إلى مخاطبة الذات، ولذا الصدق يحمل معنى المسؤولية والمساءلة، وهذا ما يعبر عنه بالصدق الفنى أو الصدق فى التمثيل وفى المشاعر التى تصل إلى داخل النفس البشرية مما يحدث حاله إنفعاليه من الصدق مع الحدث ذاته، أما الكذب السياسى فعلى عكس ذلك تماماً قد يكون مُبرراً أو غير مبرر، وهنا تبرز كتابات فلاسفة المدرسة الواقعية الذين يُوظفون منطقهم ومُقولاتهم حتى لو كانت غير حقيقية لتحقيق مصالح خاصة، وما كتبه ميكيافيلى فى هذا الخصوص فى غاية ألأهمية عندما طلب من أميره فى كتابه (الأمير) من أن يكون أسداً وثعلباً، وان يكون مُخادعا وأن لا يلتزم حتى بالمعايير الأخلاقية فكانت عبارته المأثورة (الغاية تبرر الوسيلة)، ومن هذه الفلسفة تستمد الواقعية السياسية وفكر المحافظين الجُدد أصولهم الفلسفية والفكرية، وهو ما يفسر لنا الكثير من القرارات السياسية والحروب والصراعات فى المنطقة، تحت ذرائع وحُجج بعيدة تماماً عن الصدق والأخلاقية، وهذا يعنى من بين أمور ودلالات سياسية كثيرة أن قراراً بالحرب أو بالعدوان والقتل للمدنيين قد يبرر بالكذب أو الإدعاء بأهداف نبيلة، أى يتم الربط بين الكذب وأهداف وغايات سياسية نبيلة (١).

وفي الحقيقة لا أجد فرقاً بين المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية

والإسلامويون في السودان، فكلاهما قد كذب في قرار الحرب..أمريكا كذبت في قرار الحرب على (العراق) والإسلامويون في الخرطوم كذبوا في الانقلاب على الأوضاع في البلاد، ثم كذبوا مرة أخرى في قرار الحرب في(الجنوب)، وفي (دارفور).. بل أصبح الكذب هو سيد الموقف في كل الحالات نيفاً وعشرون عاماً ونحن نعيش الكذب والذي بدوره أدى للفساد المالي والأخلاقي في دولاب الدولة السودانية، وجعلها مضحكة بين الأمم.

قبل أيام قليلة قال وزير الدولة بوزارة الخارجية كمال حسن علي في لقاء تلفزيوني وهو أكثر شخصية في الحكم عُرف بمسؤوليته عن الانتهاكات والتجاوزات التي ارتكبت في معسكرات الخدمة الإلزامية التي راح ضحيتها عشرات الطلاب ولم يخضع للمحاكمة شأنه شأن كل الذين أراقوا الدماء في السودان..قال سعادته:

· أن السودان حقق أكبر طفرة في تاريخه.

· السودان حقق أكبر معدلات نمو في العالم وبشهادة المنظمات الغربية (لا أدري اي منظمة غربية أصدرت تقريراً عن اكبر معدلات نمو حققها السودان في عهد (الانقاذ)..

· السودان يعيش أفضل العهود التي مرت به..!!.

وبذات القدر من الأكاذيب كرر نائب الرئيس علي عثمان محمد طه، وهو أكثر الذين يطلقون الأكاذيب حول طفرات تنموية في البلاد قال:

– السودان مُتوحد وعلى قلب رجل واحد.

– السودان يعيش حالة رفاهية وتطور غير مسبوق في حياته.

– الرئيس عمر البشير هو رمز السيادة.

– والكثير المضحك المؤلم الذي يُفجع لا يمت للحقيقة بصلة.

والمتابع لما تبثه الفضائية السودانيه بإمكانه أن يستمع للمزيد من الأكاذيب والأماني المتوهمة، وبالطبع لا يختلف اثنان على أن أكبر معدلات النمو المالية هذه حدثت لأعضاء المؤتمر (الوطني) الحاكم ومؤيديه وجنوده والمتعاطفين معه، وأن

أكبر معدلات نمو حققها السودان بالنسبة للمنتسبين للحزب الحاكم وبالفعل جميعنا يعرف الأرصدة التي هُربت للخارج والفنادق والبنايات الشواهق التي أقيمت في ماليزيا وتركيا.

وعندما يُكذب قادة الحزب الحاكم يجهلون بأن الشعب السوداني يتابع ويرصد ويطالع ما يكتب في الداخل والخارج، وكعادتهم في حُكم البلاد والعباد يستخفون بالشعب السوداني لذا لم يكن غريباً الإساءات التي وجهوها له، ما يدل على أن القوم يعيشون في حالة عدم توازن خاصة بعد منع رئيسهم من مغادرة البلاد للمشاركة في أكثر من مؤتمر دولي.

### فنون الكذب

ولأكاذيب قادة النظام طرق وأساليب كثيرة برعوا فيها كما يبرع الفنان في رسم لوحته فهم يملكون أكثر من خطاب كاذب في مواجهة التحديات التي تواجه البلاد وخاصة في قضية إنفصال الجنوب السوداني، وكِذب النظام الحاكم لا يأتي في الغالب من الصغار بل من الكبار والجهابذة والمُنظرين مثل عبدالرحيم حمدي صاحب (المثلث) المشهور الذي دخل التأريخ من أوسع أبوابه كونه رسخ لدولة الجهوية والقبلية الاسلاموية، ومن خلال اللقاء التلفزيوني عرف المواطن العادي مؤخراً الكثير من مكامن التناقض في أحاديث مسؤولي النظام الذين يتحدثون بأكثر من خطاب، و أحد هذه الخطابات تكرار الحديث عن فشل الدولة الجديدة في الجنوب السوداني، ومحاولة تصويرها على أنها لا تملك مقومات الدولة، وتسويقها على أنها تملك الكثير من عوامل الضعف التي تجعلها قابلة للإنهيار من أول عام للانفصال، وكما يقول صاحب (المثلث) د. حمدي وبشكل سمج وممجوج لتلفزيون (النيل الأزرق) قبل ايام " أن دولة الجنوب لا تملك جيشاً مُنظماً وما عندها من قوات هي ميلشيات ليس إلا، كما ليس لها خدمة مدنية تقوم بأعباء الدولة من الناحية الإدارية..إلخ".

واللبيب بالإشارة يفهم أن قول عبدالرحيم حمدي حول "الدولة الوليدة في الجنوب مصيرها الفشل لا محالة" يرمي إلى تخويف الاخوة الجنوبيون من مغبة تغليب خيار الانفصال على الوحدة، وهذا الخطاب هو الشائع تداوله بين كافة قادة الحزب الحاكم

صغاره وكباره، وفي اعتقادي هذا الفعل يؤكد بالدليل الدامغ أن الحزب الحاكم لا يملك في الحقيقة أي فكرة انسانية ووطنية لحل مشكلة الجنوب كما لا يملك حل لمشكلة دارفور والكثير من مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك ما ظهر عملياً من خلال التقارير الأممية الدولية التي أكدت تأخير السودان وفشل دولته في الخروج من براثن التخلف والمرض والانهيار الاقتصادي.

**غياب موضوعي..!!.**

أما الخطاب الآخر الذي يستخدمه قادة الحزب الحاكم يقول أن "المؤتمر الوطني اتفق مع الحركة الشعبية على أن يكون (الانفصال) صُورياً فقط وأن يكون هناك تبادل مصالح بين الدولتين فيما يخص النفط والشؤون المالية"، وهذا الخطاب يخلق صورة وردية لما يجري بين الجانبين فيما الحقيقة غير ذلك تماماً، لكن الشئ العجيب والغريب أن غالبية قواعد الحزب الحاكم من المستفيدين والمرتزقة وتجار الحرب يدقون طبول الحرب ويتغنون بـ (الجهاد) ويحسبون أن المسألة سياحة في ربوع الجنوب الحبيب، دون أن يدركوا بأن الزمان ليس زمان التسعينات وكتائب الجهاد الجاهزة لخوض المعارك، ولم يدركوا ان هذه المرة يغيب عن ساحة القتال في الجنوب أبناء دارفور، والشرق والشمال من مناطق كجبار وأمري الذين قتلت الاجهزة الأمنية أبناءهم بدم بارد لإعتراضهم سلمياً مخطط الحكومة لترحيلهم من مناطقهم عنوة دون موافقتهم، وكذلك أبناء الجنوب الذي كانوا داخل الجيش والدفاع الشعبي، وحتى أبناء الأواسط من السودان لا أحسب أنهم سيشاركوا في حرب إذا قدر الله ذلك، إذاً الحرب إذا قامت بين الطرفين سيكون وقودها مؤيدي الرئيس ونائبه ومؤيدي الحزب الحاكم الذين طالما هتفوا سير سير يا بشير، وهؤلاء غالبيتهم يؤيدون الحزب الحاكم لدوافع قبلية، ومن بين المؤيدين من تربطه المصالح المالية والاقتصادية وهذه الفئة بالذات ستبعد نفسها عن المشاركة في الحرب، ومنها تصبح المسألة واضحة وجلية..!!.

وفي الجانب المقابل فإن الطرف الآخر تغيرت لديه كل معطيات الحرب وأصبح أكثر قوة من قبل من حيث التسلح والتأييد الشعبي والسند وحرية الحركة بين أقاليم الجنوب المختلفة بل حتى مناطق دارفور وجنوب كردفان، وهذه الخاصية لم تكن متوفرة في التسعينات، ونضيف عليها أن التلاحم مع الحركة الشعبية في جنوب

السودان لا يرتبط بالمسألة الجهوية أو القبلية عكس ما يجري في الشمال وهذه من المفارقات فالجنوب الذي غاب عنه التعليم والخدمات لعشرات السنين خرج من قوقعة القبيلة بنسبة مقدرة بحيث يتفق أهله برغم اختلافاتهم القبلية مع توجهات الحركة الحاكمة هناك، وفي ذات الوقت يعود الشمال القهقهري عقوداً من السنين وتبقى القبلية هي الركيزة لخيارات الحكم في السودان الشمالي..!!.

**عبقرية صاحب المثلث..!!**

د. عبدالرحيم حمدي ظل دائماً يُتحف الناس بعبقريته في اختيار الحلول المناسبة لحل مشاكل السودان ومن بين هذه الحلول (المثلث) الجهوي، لكنه في قناة (النيل الأزرق) قبل أيام قال كلاماً متناقضاً يجعل المرء يفكر ألف مرة متسائلاً كيف وصل هذا الرجل حتى درجة الدكتوراة في الاقتصاد.. ويقع في هذا التناقض الكبير حينما قال مستغرباً "أن جنوب السودان لم يساهم أبداً في تنمية الشمال"..!!!.

نعم ذلك حقيقة ولا يحتاج لنقاش والسبب ببساطة أن (الشمال) كان يشعل الحرب في (الجنوب) منذ الاستقلال وحتى الآن، وأنه أي (الشمال) لم يترك الفرصة لأهل الجنوب للاستقرار لاختبار قدراتهم في النمو والنهوض، واليوم قادة الجنوب قد تعلموا وأصبحوا خبرات لا يستهان بها في الكثير من المجالات، وعندما يذكر ذلك د. عبد الرحيم حمدي وكأنه يقول أن الشمال سوف لا يترك الفرصة لاستقرار الجنوب، لأنه يدرك وبتأكيد تام أن (الجنوب) إذا اوقفت عنه المؤامرات التي يحيكها الحزب الحاكم في الشمال لا محالة سيحقق طفرة تنموية كبيرة غير مسبوقة حقيقة وليس كما يدعي وزير الدولة بوزارة الخارجية المتهم بقتل عشرات الأطفال في العيلفون والعديد من معسكرات الخدمة الإلزامية.

وفي رسالته يقول الباحث عوض سيداحمد عوض "ان الفساد كل الفساد هو" الحزب الحاكم ولا شئ غيره"، وتساءل قائلاً " هل تستطيع الحكومة مُحاربة حزبها الحاكم والقضاء عليه وبتره من جسد الدولة..؟.

ويقول في ذلك " أقرت الحكومة بوجود حزب الفساد في السلطة شريكاً أصيلاً دخل بلا وسطاء نيفاشا وبلا أجاويد وبلا ضغوطات الأمم المتحدة وأمريكا"، وحدها الحكومة بعد كشفها المخططات جاهرت بوجودها وأعلنت محاربتها، رغم هذه

التهديدات، حزب الفساد لا يبالي "ينهب في الأرض نهباً ويتعمق في مفاصل الدولة والمجتمع ساخراً من التهديدات والقوانين".

ويؤكد الباحث بأن حزب الفساد صار حزباً أقوى من القوانين واللوائح المالية ودواوين المراجعة والنظم الحسابية، وصار حزبا أقوى من المحاكم والنيابات، فهو "دولة في الدولة، بل دولة تهدد الدولة"..!!، "حُفاة عُراة كانوا يأكلون في اليوم نصف وجبة.. بفضل حزب الفساد امتلكوا شركات الصادر والوارد، ولم تسألهم الحكومة من أين لكم هذا..؟ وزهاد جياع كانوا يستدينون لتغطية عجز الميزانية الشهرية بفضل حزب الفساد شيدوا قصوراً من الرخام ولم تسألهم الحكومة من أين لكم هذا..؟.. وفقراء كانوا يسألون الناس ثمن الدواء والكساء بفضل حزب الفساد شيدوا الجامعات الخاصة والمدارس الخاصة ولم تسألهم الحكومة من أين لكم هذا..؟.

الحزب الحاكم كان ولا يزال يرصد أزمات البلاد ويغتني منها له في الحرب نصيب وفى التمرد نصيب وفى المفاوضات نصيب..وفى المؤتمرات نصيب وافر جداً، حزب الفساد الذى فاحت رائحته حتى أزكمت أنوف الشعب والحكومة لم يعد مخفياً بل صار" مُخيفاً ومرعباً".

الحزب يتجلى كلما شيدت الحكومة سداً أو جسراً بواسطة شركات لا نعرف كيف حازت على العطاء، الحزب يسمو عالياً كلما رصفت الحكومة طريقا بواسطة شركات لم نقرأها في عطاءات الصحف اليومية، الحزب يتمدد طويلاً كلما نشطت الحكومة في استثمارات الأراضي، حزب الفساد يمد لسانه سافراً بين ثنايا ثلاث فواتير من ثلاث شركات رئيس مجلس إدارتها أحد البدريين.

حزب الفساد يتحدى كل قوانين الأرض والسماء عندما يتبوأ القيادي الواحد خمسة مواقع تشريعية وتسعة مواقع تنفيذية ولا نبالغ، الحزب يتحدى الدولة والوطن والشعب عندما يغزو آل بيت الوزير أو المدير سوق الله أكبر، بشركات معفاة تماماً من الجمارك والضرائب ورسوم الإنتاج والزكاة..!!.

**انتهاج الكذب سياسة تحكم البلاد**

ان ما أحدثه الحزب الحاكم في السودان نتيجة للكذب كسياسة حاكمة عمّقت

الإستبداد السياسى، واستخفت بعقول الناس الأمر الذي هز وجدان الشخصية السودانية الموجودة في الداخل على أن لا مفر لها من التعاون مع الحزب الحاكم او مواجهة الحرب الاقتصادية والنفسية، فتحول الكثير من السودانيين بذلك إلى تروس في عجلة الحزب الحاكم يرددون ما يردده الحاكمين بوعى أو دون وعى، وبهؤلاء استقوت الطبقة الحاكمة فلجأت إلى تعطيل مؤسسات المسؤولية والمساءلة أو تحولها إلى أدوات فى يدها بشكل خاص الصحافة كمؤسسة معرفية فقامت بتأسيس العدد الكبير من الصحف الموالية لها وأغدقت على كل من يؤيدها بالاعلانات الحكومية والهبات المالية الشهرية، ومن ثم عطلت الحريات والحقوق المدنية.

أيضاً نتيجة لسياسة الكذب إنتشرت ظاهرة الفساد وتحولت إلى مؤسسة ضخمة يصعب التغلب عليها مثلاً أسرة الرئيس البشير امتلكت عشرات المباني والشركات بدون وجه حق ومن حر مال الشعب السوداني ولا يستطيع أحداً من الناس مهما بلغ من القوة محاكمة هذه الأسرة، وأسراً كثيرة من بينها أسرة النائب علي عثمان محمد طه، ود. عوض الجاز واسماعيل المتعافي، ومستشار الرئيس للأمن صلاح عبدالله (قوش)، لذا كانت سياسة الكذب على حساب قيم الفضيلة والأخلاق وإحترام حقوق الشعب السوداني، مما ضخم من ذات المنتمين للحزب الحاكم، وتمثلت خطورة استخدام الكذب في توظيفه للتجارة بالدين وبالمشاعر الانسانية مما جعل المواطن العادي ضحية وقد دفع ثمن كذب الحكام.

وخلاصة القول أن عبقرية الكذب هذه التي يتبعها الحزب الحاكم في تعامله مع قضايا البلاد المصيرية لم تزد السودان إلا بُعداً عن طريق الخروج من الأزمات المتواصلة، وأن الأكاذيب والإستخفاف بعقول الناس واستقطاب الرجرجة والدهماء والمرتزقة وضعاف النفوس في مقابل تجاهل العلماء والخبراء الذين يبنون الآن دولاً كبيرة في الساحة ما هو إلا أسلوب مُدمر للبلاد ولإمكانياتها الهائلة التي للأسف لم تُسخر إلا لزيادة الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، ولم تزد البلاد إلا توجهاً نحو القبلية والجهوية.

٢ ديسمبر ٢٠١٠م

# المؤتمر الوطني..
# تاريخ طويل من الكذب و نقض العهود

حالة الاحتقان التي تعيشها البلاد جعلتني أخرج عن محيط الأوضاع التي أعيش فيها هنا في الخليج العربي، مفكراً ومتأملاً في الطريقة التي تفكر بها العقلية الحاكمة في البلاد متجاوزاً حالة الاستغراب إلى حالة لا استطيع التعبير عنها في هذه اللحظة، لكنني تساءلت في نفسي لماذا يشقى الشعب السوداني كل هذه الشقاوة ويتعذب كل هذا العذاب في ظل حكومة (إسلامية) وتوجه (إسلامي)..؟.

للإمام محمد الغزالي رأي يقول أن الناس تشقى من طريقين:

غلبة الأهواء، وشيوع المظالم ...

وأي الأمرين وحده شر، فكيف إذا تظاهرا جميعاً على العالم كله في سواد مُضاعف..!.

أن العالم قبل نزول القرآن كان ينوء تحت هذين الثقلين معاً.. !!.

الجهل بالحقائق العليا وقيام سدود كثيفة تصد عن الصراط المستقيم.

وطغيان غرائز الاستعلاء والأثرة والظلم، والخضوع، مما جعل الألوف المؤلفة من الناس تقضي أعمارها في هذه الدنيا كما تقضيها قطعان الحيوان التى تُركب حينا ، وتُؤكل حينا آخر ...!!.

أليس هذا هو حال الشعب السوداني..؟؟..ما قاله الامام الغزالي هو حقيقة ما نعاني منه في السودان حيث الطغيان والظلم والاستهتار بأرواح المواطنين، وأصبح الغالب الأعم من السودانيين في ذات حالة القطعان التي ذكرها الامام الغزالي.

مساء (الأربعاء) الماضي بثت قناة النيل الأزرق حلقة حوارية حول مظاهرة (الأثنين) أدارها الأخ الطاهر حسن التوم عضو المؤتمر الوطني وأحد كوادره الإعلامية، وضمت الحلقة كبار صحافيي الحزب الحاكم الزميل سيف الدين البشير رئيس تحرير صحيفة (سودان سيتيزن) وراشد عبد الرحيم مستشار التحرير لصحيفة (الرأي العام) والأستاذ والصحفي والمحلل السياسي المُتمكن محمد

لطيف، ومن الطرف الآخر كان الزميل الكاتب الصحفي والمحلل أيم سايمون والذي استطاع التفوق على ثلاثي الحزب الحاكم (سيف الدين البشير وراشد عبدالرحيم ومقدم البرنامج) من حيث الرد على التساؤلات بموضوعية وهدوء دون صراخ ودون تشنج، وكما أظهر تفوقاً في التطرق للأسباب التي أدت إلى انسداد الطريق أمام توافق الجميع في الوصول إلى تحوّل ديمقراطي يحُول دون انزلاق البلاد في حرب ضروس لا قدر الله ذلك، واتسمت مداخلاته بالمسؤولية والموضوعية، وكان واضحاً إلمامه بدقائق الأمور التي قد لا تبين بالنسبة للمواطن العادي.

هذا الحوار غير المتكافئ زاد من حالة تجاوز الاستغراب والدهشة التي ذكرتها آنفاً وقد أكد ثلاثي (المؤتمر الوطني) جميعاً من خلال مشاركتهم في هذه الجلسة الحوارية على الطريقة التي تفكر بها الثلة الحاكمة من خلال الصراخ ومقاطعة المتحدثين والاندفاع غير المؤسس على منطق تحديد هدف المشاركة في هذا الحوار، علاوة على حالة الغضب والهياج التي ارتسمت في مداخلاتهم التي كشفت للجميع أساليب الحكومة في تعاملها مع قضايا المواطنين ،الاستهتار والاستخفاف بعقول الناس خاصة في القضايا الملحة والمفصلية في تاريخ السودان.

الزميل الأستاذ محمد لطيف كعادته كان هادئاً واثقاً من كلامه عكس ثلاثي (المؤتمر الوطني)، إذ تساءل بذكاء شديد حول ما الذي جعل الحركة الشعبية تبتعد عن ميدان (التجمع الوطني الديمقراطي) عند التوقيع على اتفاقية السلام مع (المؤتمر الوطني) وقد كانت تمثل العمود الفقري في التجمع الوطني لكنها قبيل الاتفاقية في ٢٠٠٤م أبعدت نفسها عن هذا التجمع ودخلت في شراكة حقيقية مع (المؤتمر الوطني)، لكنها في ٢٠٠٩م رجعت مرة آخرى لحضن التجمع الوطني متمثلاً في ما عُرف بأحزاب (مؤتمر جوبا)..!.

مداخلة أفرزت عدداً من الإشارت الذكية التي تشير إلى أن (المؤتمر الوطني) برغم دهاقنته ومستشاريه وأباطرته ومراكز دراساته وإعلامه وإمكانياته الهائلة المادية واللوجستية والدبلوماسية والسياسية لم يستطع احتضان (الحركة الشعبية) واستيعابها بالشكل الذي يجعلها تقتنع بمصداقية برنامج السلام والعمل سويةً مع الحزب الحاكم لجعل الوحدة جاذبة حقيقة وليس مجازاً،وفشل الحزب الحاكم تماماً في جعل الحركة التي كانت (متمردة) تقف ضد كل ما يهدد وحدة السودان واقتصاده

وثرواته، لكن العقلية الأمنية التي تسيطر على مقدرات البلاد لا يعجبها العجب ولا الصيام في رجب، وأن الاقلام المسمومة في الحزب لا يهمها ما يحدث للبلاد المهم أن تظل مصالحها الشخصية في مكانها ولا أحد يهددها، لهذا السبب وأسباب أخرى لم تجد الحركة الشعبية مفراً من أن ترجع للتجمع الوطني الديمقراطي في ثوبه الجديد (أحزاب مؤتمر جوبا) بعد أن سُدت أمامها كل الطرق مثلما سُدت أمام الحركات الدارفورية في الوصول لسلام مع النظام يجنب البلاد التقتيل والتشريد.

### تاريخ طويل من نقض العهود..!.

واهم من يظن أن الحركة الشعبية وأحزاب المعارضة هم السبب فيما وصلت إليه البلاد من حالة غليان، لأن المنطق يقول أن سوابق الحزب الحاكم مع كل اتفاقيات السلام باءت بالفشل وتحضرني اتفاقية الخرطوم للسلام التي وقعتها الحكومة مع ثلاثي الحركة الشعبية آنذاك (د. رياك مشار- أروك طون أروك- كاربينو كوانين) المهم أن علاقتي الخاصة بالاخ د.مشار جعلتني في صورة أحداث الموقف العام من تنفيذ بنود الاتفاقية التي وقعها مع النظام آنذاك، وكانت علاقتي قد توطدت به قبل التوقيع على اتفاقية الخرطوم للسلام في ١٩٩٧م عندما ذهبنا إليه في منطقة (بلقوق) شمال أعالي النيل مع وزير مالية أعالي النيل آنذاك الاستاذ هشام آدم مهدي والنقيب بالقيادة العامة آنذاك عصام عبدالله وشخصي الضعيف ومكثنا معه في بيته الخاص حوالي ٤٨ ساعة بطلب من الفقيد أستاذنا وشيخنا مبارك قسم الله زايد رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء، واستمتعنا بالحديث معه وقد تحدث لي شخصياً عن مسيرة حياته حتى دخوله جامعة الخرطوم والانضمام للحركة الشعبية لتحرير السودان، وعلاقته مع زعيمها الدكتور جون قرنق، كما حكى لي عن قصة موت زوجته البريطانية في أديس أبابا وعن الظروف النفسية الصعبة التي مر بها حيال رحيلها المُؤلم.

ومن تلك اللحظة أصبحت العلاقة بيننا قوية للغاية وكنت أزوره كثيراً في مقر إقامته بقصر الضيافة بشارع الجامعة، وبسبب هذه العلاقة كما ذكرت يضعني في الصورة، وفي إحدى المرات قال لي بأنه أخبر السيد الرئيس عمر البشير بأن ما تم الاتفاق عليه في الاتفاقية لم يحدث فيه جديد..أي لم ينفذ أي من النقاط التي تم الاتفاق عليها، وذكر لي بأنه في كل شهر كان يكتب مذكرة للرئيس وكان يسلم منها

نسخة للدكتور حسن الترابي وأخرى للدكتور علي الحاج يُبين فيها بشكل واضح بأن اتفاقية الخرطوم للسلام لم يحدث فيها جديد وأن النقاط التي تم الاتفاق عليها (مكانك سر) ويذكر فيها بأنه مسؤول أمام قواعده الشعبية في منطقته بجنوب السودان، وأتذكر تماماً عندما كتب المذكرة رقم (١٢) قال لي بأنه سيغادر السودان بعد أيام قلائل لعدم جدوى تواجده في الخرطوم، وسلم حينها نُسخ عديدة من هذه المذكرة لأشخاص بارزين في الحركة (الاسلامية) ورئاسة الجمهورية، والحمدلله كل هؤلاء موجودون الآن، ويشهدون على ما ذكرت، وبالفعل سافر د. رياك مشار ولم تحرك الحكومة أنذاك أي ساكن وغادر مشار إلى الغابة مرة أخرى.

هذا يؤكد بأن المجموعة الحاكمة في البلاد لا توفي بالعهود ولا تحترم مواثيق ولا ترعى أمانات والواقع الموجود حالياً يؤكد ما ذهبت إليه، عشرات من الاتفاقيات التي ضاعت الجهود فيها سدىً.. اتفاقية الخرطوم للسلام- اتفاقية أبوجا- اتفاقية فشودة- اتفاقية سلام السودان ٢٠٠٤م، وفي هذا المنحى يُحمد كثيراً للحركة الشعبية وعيها وفكرها المتقدم كونها كانت حركة متمردة وتعاملت مع أحداث الإثنين بحكمة وضبطت أعصابها وأعصاب جماهيرها عقب اعتقال أمينها العام الاستاذ باقان أموم، ولا أتصور كيف يكون الحال لو أن الحركة عادت لوسائلها القديمة في حربها مع النظام وفي الوقت الذي استخدمت فيه (الحكومة) اسلوب عفا عليه الزمن بدلاً عن النزول لطاولة الحوار والاعتراف بخطئها في تقدير الأمور وما يتصل بالمماطلة في إجازة القوانين صاحبة المشكلة.

### تساؤلات الأستاذ محمد لطيف

إن التساؤلات غير المباشرة للأستاذ محمد لطيف في الحلقة الحوارية بقناة (النيل الأزرق) في محلها تماماً.. بما يعني أن المؤتمر الوطني يعاني من مشاكل في داخله في فكره وهياكله وطريقة تعامله مع قضايا الوطن وما يحدث داخل كواليسه، حتماً الحزب الحاكم يعاني من مشاكل بنيوية وفكرية وسياسية وقيادية معقدة تجعله غير قادر على إدارة أمور البلاد، كما تجعله لا يميز بين الغث والسمين، وبين الأبيض والأسود، واستفهامات محمد لطيف تشير بوضوح شديد إلى أس المشكلة في السودان، فإذا كانت الحركة كشريك في الحكم تركت كل ما لديها من أفكار عدائية سابقة وأجندات، بل تركت تكتل الأحزاب متجاوزة كل مكاسب ذاتية، وبرغبة شديدة

في تجاوز مخلفات الماضي، وصبرت على مؤامرات الشريك التي لا يختلف عليها المراقبون للأوضاع في البلاد.

حقيقة لم أستغرب هجوم ثلاثي (المؤتمر الوطني) على الزميل الأستاذ محمد لطيف كونه تساءل فقط ليس إلا..عن أسباب وصول القطيعة بين الشريكين إلى حد خروج الشارع بهذه القوة التي رأيناها على (اليوتيوب) وإشارته الخفية إلى مسؤولية حزب المؤتمر الوطني فيما وصلت إليه القطيعة بين الطرفين (الحزب الحاكم) و(الحركة الشعبية)، والذي يؤكد ذلك أن كل الاتفاقيات التي وقعها الحزب الحاكم مع الآخرين لم تحقق أهدافها، مثلاً اتفاقية أبوجا لم تحقق الأهداف والامنيات التي علقت عليها، وكذلك اتفاقية سلام الجنوب، واتفاقية الشرق لا زال فيها الكثير من الملفات العالقة والنظام الحاكم مع كل الأطراف يمارس المماطلة والتسويف، بل أحياناً الإستفزازات والتهديدات وتصل أحياناً أن يمارس الحزب الحاكم وقياداته مع الآخرين أساليب ليس لها أي علاقة بالاسلام ولا برسول الاسلام ولا بالتقاليد البشرية المرعية في أدب الاختلاف.

الإخوة الثلاثة الذين شاركوا في الحلقة التلفزيونية بقناة النيل الأزرق في تلك الليلة تحدثوا بلسان الحزب الحاكم، ومثلت مشاركتهم عنوان كبير لمأساة راح ضحيتها الملايين من أبناء السودان وباعتبارهم أصحاب أقلام وآراء تتأثر بها القيادات الحاكمة في البلاد وأرجو ألا يستغرب القارئ الكريم هذا الكلام فإن قاعدة الحكومة وحزبها تؤمن ايماناً شديداً بما يقوله كتابها ولذا نجد تأثير كتابات إسحق فضل الله والطيب مصطفى وعبدالرحمن الزومة على سلوك النظام والتشدُّد في كل المواقف الداخلية منها والعالمية، وكان نتاج ذلك تصريحات رئيس النظام من شاكلة "فرنسا وامريكا تحت جزمتي" في ذات الوقت الذي يسافر فيه مستشاره د. مصطفى عثمان اسماعيل إلى أمريكا لتطبيع العلاقات، متناسياً أو جاهلاً بأن الشعب السوداني تختزن ذاكرته القريبة تصريحات رئيسه، بل يجهل هذا المستشار الذي يسافر في جولات مكوكية على حساب دمنا ولحمنا أن الولايات المتحدة الامريكية التي يتباحث معها بشأن تطبيع العلاقات ترصد كل إساءات نظامه التي قيلت في السر والعلن.

## الشينة منكورة

إن عدم اعتراف المؤتمر الوطني بأخطائه أدى إلى وقوع كل الكوارث التي تعاني منها بلادنا الآن، واعتقد جازماً أن بنية النظام الفكرية والعقدية لا تتحمل أي ذكر للحقائق ولذا كانت قضية دارفور، ومن قبلها التجاوزات في الحرب على جنوب الوطن، والجرائم التي ارتكبها النظام في بورتسودان وفي كجبار وأمري من قتل للمدنيين العزل، فقط لأنهم تظاهروا مطالبين بحقوقهم التي كفلتها لهم كل الشرائع السماوية والدستورية البشرية، ومن باب أولى ألا يلتفتوا للتقاليد الأصيلة والمعروفة في السودان أن تقتل أشخاصاً عُزلا كما حدث في بورتسودان للمسيرة السلمية التي خرجت تحمل لافتات فقط لا غير لكنها جُوبهت بالرصاص الحي.

نعم المؤتمر الوطني يؤكد على أن الشينة منكورة لكنه يقابلها بعنف شديد غير مبرر مهما كانت الظروف التي تمر بها البلاد، فالجماعة الحاكمة في السودان لم تعتبر من كل التراث الاسلامي الذي كان بين يديها يوم أن كانت حركة دينية، كما لم يستفد من عبر الأنظمة التي اندثرت قريباً زمناً ومكاناً مثل النظام البعثي في العراق، حزب حاكم لا يمتلك أي مواهب ولا أي مقومات بقاء ..لا أخلاقية ولا وطنية ولا إنسانية، نظام حُكم لا يعرف حتى مصلحة نفسه وليس بعيداً عنا مشكلة الزميلة الصحافية لبنى حسين، بكل المقاييس دلت هذه الحادثة على أن الذين يحكمون البلاد ليس لهم أدنى روح تتحلى بالمسؤولية.

إن عقل المؤتمر الوطني دائماً في ثلاجة "اذا غضب غضب معه ألف سيف لايسألونه فيما غضب" كما شاهدنا في تلك الحلقة التلفزيونية، ونرجسيًا أكثر من المعقول فانظر كوارث العنف التي حدثت في الجنوب ودارفور وشرق السودان وحتى شمال البلاد في أمري وكجبار، تماماً كما كانت نرجسية عمر بن كلثوم:

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

اذا بلغ الفطام بنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا

والمؤتمر الوطني إذ يستخف بعقول الناس لا يدري أنه وصحافييهِ وجوقة إعلامه لا يعلمون أن هذا الشعب حصيف وقارئ من الدرجة الأولى، وإذا كانوا قد ضيقوا على الناس في معاشهم لكي يسكتوا ومن ثم يؤيدوا الحزب الحاكم مُكرهين فإن

التعويل على مثل هؤلاء تعويل خاطئ، لأن العضوية المُكرهة في الحزب التي تريد أن تعيش في مأمن من الجوع ومسغبة الحاجة لا تقدم شيئاً مُفيداً للحزب لا سياسياً ولا فكرياً ولا حتى في حركة الشارع العام، واعتقد أن مسيرة الحزب الحاكم عولت على العضوية (المُكرهة) غير المقتنعة بأهداف الحزب الذي أصلاً ليس له هدف غير الجلوس على كرسي السلطة، لأن أصحاب المهارات الإبداعية أصلاً لا تروقهم مجتمعات آكلي السحت والقتلة والمنافقين.

إن حركة الحزب الحاكم في الساحة من تصريحات وإساءات للآخرين وأكاذيب ومؤامرات عصية على النقد، والويل لمن ينتقد لأجل البناء ولو كان نقداً حريرياً لان جلد سادة وزعماء الحزب الحاكم وشيوخه أنعم من أن يلامسه النقد الجميل والهادئ الذي يريد خروج البلاد من الحالة التي فيها.

بقناعة شديدة أقول أن القوم في الحزب الحاكم الذين يقودهم شخص مثل نافع علي نافع من المستحيل أن يكونوا قد قرأوا مقولة المفكر مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة) " مارسوا النقد لأنفسكم سيتغيّر واقعكم"، وأعتقد أن واقع الحال يغني عن أسباب عدم استفادة الحزب الحاكم من التراث الاسلامي لأنه ببساطة لم يستفد من تجربة الرئيس الأسبق جعفر نميري، و صدام حسين في العراق، فهل تراه اعتبر من تاريخ الدولة العباسية والدولة الأموية..؟.

**هيئة علماء السُلطان..!.**

هذه الهيئة التي لم يفتح الله عليها بفتاوى عندما أراقت الحكومة دماء أهلنا في دارفور بالطائرات القاذفة للهب وعندما دمرت البيوت وأحرقت الزرع والضرع تخرج علينا اليوم وبلا حياء تتحدث عن (القرآن الكريم) وتورد آياته، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هذه الهيئة لم نسمع صوتها عندما قتلت قوات الأمن في بورتسودان مواطنين عزل كانوا في مسيرة سلمية مات فيها العشرات من المواطنين، هذه الهيئة قاتلها الله لم نعرف عنها شيئاً عندما ضربت قوات الأمن في منطقة أمري وكجبار المواطنين الذين هُجروا بالقوة القسرية ومات العشرات منهم.

هذه الهيئة برغم وجودها داخل كواليس ودهاليز الحزب الحاكم وتعرف كل التجاوزات المالية والإدارية إلا أنها لا تعتبر أن الاسلام يمنع أكل أموال الشعب

بالباطل، بل إن أحد شيوخ الحزب الحاكم في إحدى الولايات قال أمام مجموعة من الناس "أن مال الحكومة نعتبره فيء".

هذه الهيئة تسد أذنيها بطين وعجين مما يدور في مكاتب ديوان الزكاة الإتحادي حول الأرقام المليارية التي دفعها الديوان لدعم (الطرق الصوفية ) كما قال أحد المسؤولين لمجموعة من الموظفين الغاضبين، لكن هيئة علماء السلطان تعتبر نفسها غير معنية إلا ببنطلون لبنى الحسين والتظاهرات السلمية للمعارضة وما شاكل ذلك خاصة في الأمور التي تخدم الحكومة، وهي بالتالي غير معنية بسرقات المال العام ولا تجاوزات البنوك المليارية ولا غيرها، لكنها تعرف تقرأ القرآن الكريم وتنشتغل بمدارسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم..!!.

الغريب أن قادة الحزب الحاكم بعد كل المآسي التي ارتكبوها في البلاد والعباد لا زالوا يتحدثون على أنهم على حق وإن كل التيارات السياسية في السودان على باطل، تماماً مثل شخص قد حمل على جلده من الأوساخ أكواماً، يدخل مغطساً مليئاً بالماء ثم يخرج منه في الحال مُكتفياً بذلك، مدعياً أنه قد أصبح نظيفاً بتقريب الماء من بدنه رغم أنه لم يفقد من أوساخه شيئاً، حال طاغوت الشهوات في الحزب الحاكم فأصبحوا صُماً عُمياً بُكما لا يقدرون على رؤية الصور الحقيقية للأحداث، لذا كان من الطبيعي وبرغم الدماء العزيزة التي أريقت في مناطق كثيرة من البلاد إلا أن قادة الحزب الحاكم لا يرون أنهم فعلوا شيئاً يُغضب الناس عليهم..!!.

الإمام محمد الغزالي يقول:

إن تكليف القرآن أن يخلق من الطفولة العقلية رجولة ناضجة، أو من البله البيّن عبقرية نادرة شئ متعذر،هب رجلاً عملاقاً بادى الطول والعرض ذهب إلى خياط ماهر راق، ومعه ذراعان من القماش وقال له: فصّل لي من هاتين الذراعين ثوباً سابغاً.. !!.

**ماذا عساه يصنع ذلك الخياط.. ؟.**

هل المهارة مهما بلغت تستطيع أن تخلق من ثوب الصبي ثوباً لرجل بدين طويل.. ؟. إن القصر في الخصائص الفطرية والنقص في المواد الانسانية الأولى للتكوين الصحيح شئ يعز على العلاج،ونحن نُكلف الدين شططاً حين ننتظر من كتابه الكريم

أن يصنع المستحيل، والمشكلة ليست فيما يصنعه الدين بذوى العاهات العقلية والروحية، وإنما المشكلة في حال الدين إذا حمله أولئك المُصابون التُعساء؟.

كيف يعرضونه مستقيماً هادياً وهو يخرج من أنفسهم كما يخرج الشعاع من زجاج محدب ملون، لا تكاد تبصر على ضوئه شيئا ؟؟.. إن الله عز وجل يقول لنبيه:

"وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون"..الانعام.

فالطوائف التي لديها صلاحية طبيعية للعلم هى التى تتبينّ، أما التى تفقد هذه الصلاحية إبتداءً فهيهات أن تتبينّ، وهيهات أن يكون أصحابها مُرشدين ..!.

في بعض الموازين التى يستغلها الباعة قد تميل إحدى الكفتين عن الأخرى ميلاً عنيفاً لخلل في محور الارتكاز، يقتضى علاجه أن تضع ثقلاً كبيراً في الكفة الشائلة حتى تتساوى مع زميلتها، هذا العلاج المؤقت قد تتغلب به فترة ما على الخلل الواقع بيد أن ذلك لا يعطى الميزان صلاحية تقيم العدل وتمنع الغش.

ونحن في عالم الأفكار والمشاعر قد نستطيع التغلب على الخلل الذهنى عند نفر من التلامذة أو نفر من العوام أما أن نجعل من أصحاب هذا الخلل موازين للقيم الروحية والتوجيهات الدنيوية والأخروية فهذا معناه إشاعة الغش وفرض البخس على الناس !!!.

وهذا ما حدث في بلادنا بفعل الحزب الحاكم.

١٣ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٩

# نظام يقوم على الكذبٍ
# لا يمكن أن يكون عادلاً مع شعبه

يستغرب المرء أيما استغراب وهو يشاهد الفضائية السودانية تستمرئ الكذب الفاضح والباين (استغراب ممزوج بالألم) بلا حياء، وكبار قادة الدولة في السودان لا يتحدثون إلا كذباً، مثلاً عندما يقول رئيس الجمهورية أو نائبه أو أي وزير في الحكومة " إن الانقاذ رسخت قيم العدالة والفضيلة" فأي عدالة يتحدثون عنها وأي فضيلة هذه التي يذكرونها في مخاطباتهم للمواطنين..؟.

وفي خطابه في احتفالات ٣٠ يونيو بإستاد الهلال التي جرت يوم ٦ يوليو الجاري (٢٠٠٨) قال الرئيس "بني الإنقاذ على خمس قائلاً " الدين، الحرية، الشورى، العدل والعلم"، والمعنى واضح ومفهوم في محاولة لربط حديثه بالحديث النبوي الشريف وشتان ما بين الاثنين، و قال نائب البشير السيد علي عثمان محمد طه قبل أيام في حديث منقولاً من أحد اللقاءات الخارجية على تلفزيون السودان وهو يتحدث بزهو شديد وإعجاب بالنفس وبتكبر وغرور ما بعده غرور وهو لا يدري أن سواد وجه قد أصبح علامة بارزة لما ارتكبه في حق السودان وشعبه، قال كلاماً كله كذب وتصوير لواقع غير حقيقي في أن (الانقاذ) انتقلت بالناس إلى مرافئ التطور، وفي خياله أن التطور وقمته هي البنايات الشاهقة والشوارع الجميلة، وهو لا يدري حقيقة أن التطور يُكمن في التنمية البشرية وفي التعليم وفي أخلاق الحُكام وفي إرساء العدل وقيم الخير، وفي إيلاء أمر المواطن الأولوية، وفي شعور المواطنين بالثقة في من يحكمونهم، الثقة بأجهزة أمنهم في حفظها لمقدرات المواطن، لا الاجهزة الامنية التي تأسست فقط لعذابات المواطنين.

ويذكر أن أول كذبة على الشعب السوداني في عهد (الإنقاذ) كانت "أذهب للقصر رئيساً وأنا أذهب للسجن حبيسا" قالها الدكتور حسن الترابي وقد اعترف هو بذلك، إذاً هذا نظام بدأ ممارسة حُكمه بالكذب فلا عجب أن يقيم دولة العنف والدماء وخرق العهود والاعتداء على الجيران من الدول الصديقة والشقيقة، دولة تقوم على الكذب لا يمكن أبداً أن تكون عادلة مع شعبها، ولا يمكن أن تتحمل كلمة الحق فكان

قمع الصُحف والصحافيين وشراء الذِمم وتجنيد العاطلين في دول الاغتراب لكي يدافعوا عن سياساتها فوجدت ضالتها فيهم، فمارسوا معنا لغة السباب والشتيمة ولغة الشوارع الخلفية، فنِعم المدافعين، ثم يأتي قادة النظام ويصفون الآخرين بالعمالة والارتزاق لأعداء (الاسلام) في حين أن الكتاب المعارضين الذين يُوصفون بالعمالة أبداً لم يستخدموا لغة السباب ولغة الشوارع البذيئة، بل مارسوا أدباً رفيعاً في لغة الحوار فلم يشخصنوا القضية ولم يسبوا أحداً من الحاكمين كما فعل مؤيدي (الإنقاذ) فالحمدلله الثقة في القارئ السوداني كبيرة وهو جدير بتقدير الامور على الوجه الصحيح.

وفي الوقت الذي تحدث فيه رئيس الجمهورية عن (الحرية) كانت قوات أمنه تغلق صحيفة (أجراس الحرية) بالرقابة القبلية وتفرض عليها عدم نشر غالبية صفحات الصحيفة فتتوقف (الأجراس) عن الصدور وعندما تحدث الاستاذ باقان أموم الشريك في الإتلاف الحكومي عن فشل الدولة قامت عليه دنيا الحكومة من صحف ترتزق من الحزب الحاكم وأقلاماً عرفت للجميع بالضعف والهزال والارتزاق، ولم تقف الحملة الحكومية عند هذا الحد بل صدر قرار بمحاسبة الاستاذ باقان أموم توطئة لإبعاده عن المنصب !!..

هذه هي الحرية في فهم الحاكمين، أن تُردد ما يقوله الرئيس، ويشير إليه الحزب الحاكم وإلا فأنت مأجور تسترزق من السفارات الأجنبية ومن دول الاستكبار كما قال الدكتور نافع على نافع مؤخراً.

وعلى ذكر كلمة (العدل) قال وزير العدل عبدالباسط سبدرات حكيم كل الأنظمة "وفرنا محاكمات عادلة لمتهمي حادثة امدرمان" وما هي إلا يومان فقط وانكشف الكذب والبهتان وليته سكت بعد كذبه ولكنه تحدث عن عدالة المحاكمة ثم ما أن بدأت المحاكمة في عملها حتى قامت السلطات الأمنية باعتقال واستجواب محامي الدفاع الأستاذ ساطع الحاج بسبب إعلانه عدم دستورية قانون الإرهاب الذي يُحاكم به المُتهمُون، بل هددته إن تحدث في ما يجري في المحكمة، ولا زال البشير ونائبه الثاني ومستشاريه ووزراء حكومته يتحدثون عن قيم العدل، ثم واصل المنظر الجديد للنظام د. محمد وقيع الله يتحدث عن إنجازات (الانقاذ) بلا هوادة وبلا حياء في وقت أصبحت فيه مآسي وكوارث أهل السودان بسبب (الانقاذ) واضحة كالشمس

بل تزداد يوماً بعد يوم مخلفة وراءها نفوس بريئة ازهقت وأطفالاً يُتِمُوا ونساء ترملن، وأخلاق ذهبت بلا رجعة..!!.

لكنني في هذا السانحة أنقل للقارئ الكريم صورة أخرى لعدل نظام (الانقاذ) وارتباطه بالدين الذي قال عنه البشير في ذكرى الانقلاب المشئوم بأن (الانقاذ) بنيت على خمس وأولها الدين وثانيها الحرية والعدالة، وهنا أسرد جانباً بسيطاً من علاقة وارتباط النظام بالدين في حقيقته من خلال معايشة يومية لرئيس التنظيم العسكري الذي قام بالانقلاب وسلم البشير السلطة، وقد ربطتني به علاقة العمل في سنين النظام الأولى.

**الأُستاذ..!!.**

رئيس التنظيم العسكري للحركة (الاسلامية) شاب في بداية الخمسينات مع أكثر من ٣٥٠ شاب حركي قاموا بتسليم عمر البشير مقاليد الحكم في صبيحة يوم الجمعة ٣٠ يونيو ١٩٨٩م علماً أن هذا الرجل لم يكن عسكرياً ألبتة، كنا لا نتجرأ ان نذكر اسمه، وكنا نطلق عليه (الأستاذ) وقد كان في تلك الفترة صاحب شخصية قوية ونافذة، دقيق في تعامله مع الناس يبتسم مع الآخرين بتحفظ شديد، وفي علاقته معنا كأننا أسرة واحدة نتحدث معه بوضوح في كل ما لدينا من قضايا نريد طرحها، وكان يعرف أننا نعرف كل تفاصيل الانقلاب وعملية التسليم والأشخاص والمواقع.

هذا الرجل (الأستاذ) عرفته ما لم أعرف أي شخصاً آخراً.. سافرت معه سفرتين طويلتين إلى جنوب السودان، عشت معه في بيته الخاص فترة من الفترات، وقرابة العام كنت لصيقاً به، ونكون سوياً طيلة ساعات اليوم لا نفترق إلا للنوم،،، وهلم جرا.

**شعوذة القوات المسلحة..!!.**

أثناء عملي مع رئيس التنظيم العسكري اكتشفت أن الرجل على علاقة بمشعوذ يُطلق عليه (الدكتور) وهذا الدكتور المزعوم يتم استخدامه في الحرب ضد الحركة الشعبية وهو معروف لدى كبار ضباط الاستخبارات العسكرية بالقيادة العامة، ويقود سيارة لاندكروزر ويدخل بها أي مكان في العاصمة، وهو معروف لدى القائمين على التنظيم العسكري للحركة (الاسلامية)، وذات مرة سألت أحد الإخوة عن طبيعة عمل

هذا الرجل فقال لي أن (الدكتور) المزعوم أفهم القيادة العسكرية بأن له علاقة مع (الجن) وبامكانه معرفة ما تضمره الحركة الشعبية من خطط عسكرية تجاه المحاور العسكرية في الجنوب، ومعرفة مواقع جيش حركة التمرد في مناطق القتال، لكن الغريب أن يتم التعامل مع مشعوذ في الوقت الذي كانت فيه قوات الحركة الشعبية في حالة تقدم واستحواذ على مناطق كثيرة، الأمر الذي يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أعمى بصيرتهم تماماً مع انشغالهم الدائم بالدنيا وملذاتها.

**عزيزي القارئ**

لا داعي أن استرسل في المواقف التي مرت بي مع (الأستاذ).. والله يعف القلم أن أذكر ما عشته حقيقة دجل وعدم مخالفة من الرب جلا وعلا، ومن ديكتاتورية ومن فظاعة وقساوة قلب لا يعرف الرحمة البتة، كما تمنعني أخلاقي و قيمي أن أنال من شخص له أسرة وزوجة أشهد لها بالصلاح، وكان بودي نشرها في كتاب كبير أعمل فيه منذ سنوات، حتى يعرف الناس والأجيال الجديدة من أبناء بلادي أن علاقة (الإنقاذ) بالدين الاسلامي علاقة الذي يبحث عن حل لمشكلته الآنية فقط، وعلاقة من يستأثر بالسلطة على حساب الناس، لاعلاقة إقامة العدل، ولا ترسيخ قيم ولا تحقيق تنمية ولا يحزنون، علاقة من يستغل الدين كوسيلة لتحقيق مآرب ذاتية.

الأيام والسنوات التي تعرفت فيها على هذا (الاستاذ) المزعوم كانت كافية لأن أتخذ قراراً تاريخياً بشأن العضوية في الحركة (الاسلامية) يضاف إليها الكثير من المواقف المخزية من قادة آخرون ومن فضائح لا يطاوعني قلمي ذكرها..كانت في مجملها المادة التي بنيت عليها قرار الخروج...!!.

هناك الذين عاشوا الكذب ووجدوا فيه (حلاوة) بالمعنى (المصري) وأصبحوا يتبارون في مدح (الإنقاذ) وترسيخها لقيم الدين والعدل، وتحقيق الانجازات للشعب السوداني من أمثال الدكتور محمد وقيع الله الذي كشف مؤخراً عن مستوى تدينه الحقيقي في سجاله مع الدكتور عبدالوهاب الأفندي بالشتيمة المكررة والسمجة التي رفعت من قدر الأفندي بينما نالت من صاحبها ورمته في مزبلة التاريخ، وهذا مصير كل الذين يسوقون أفعال النظام طال الزمن أو قصر فإنهم ذاهبون إلى مزبلة التاريخ ومحكمة الضمير الإنساني.

وإذا قال أحدهم بأن كاتب هذا المقال قد أفشى أسراراً عسكرية ما كان ينبغي له أن يكشفها، فإنني أقول له هذه ليست أسراراً عسكرية وقد فات عليها أكثر من ١٠ سنوات (في العرف العسكري قد انتهت صلاحيتها) ثم أن الحركة (الاسلامية) قد دخلت في شراكة مع الحركة التي كانت متمردة، (لا ضرر ولا ضرار) وإذا قال قائل إنها أسرار اجتماعية وأسرية فأقول إن في نشرها عبرة لقادة النظام، وللحاكمين الجدد والآتين في رحم الغيب، وفي الحقيقة أنا أستهدف من خلالها الأجيال الجديدة القادمة من رحم التأريخ بأن يستفيدوا من هذه العِبر، ومن التاريخ (الانقاذي) الذي أورث بلادنا خراب الضمائر والنفوس.

الكذب أصبح منهج تمارسه الدولة، وأصبح يُمارس في إعلامنا الفضائي منذ بداية الإرسال وحتى نهايته، فماذا ننتظر من جيل ناشيء جديد يُكذب فيه قادته على الشعب كل يوم، ولذا نحن نكتب ونكتب ونكتب حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً،هذا هو السلاح الذي نمتلكه ونعلم تماماً أنه أمضى سلاح في معركة بدون تكافؤ (القلم ضد السلاح والجبروت).

١٠ يوليو ٢٠٠٨م

# عندما يكذب نائب الرئيس..!!

**رداً على حديث علي عثمان محمد طه في حديثه لبرنامج في الواجهة التلفزيوني يوليو ٢٠٠٤م**

**مدخل:**

"تستطيع أيها الإنسان أن تخدع بعض الناس كل الزمن وأن تغش كل الناس بعض الزمن، لكنك تعجز عن أن تخدع كُل الناس كل الزمن".

الرئيس الامريكي ابرهام لنكولن (محرر العبيد في امريكا)

كثيراً ما نسمع البعض يكرر العبارة الشهيرة القائلة بأن (الحقيقة مُرة) .. ولكن ثمرتها في نهاية المطاف حلوة ولا يجد الإنسان مذاقاً أحلى منها، لأنها حقيقة.. ولكن في يقين الكثير من الأنظمة الغاشمة المستبدة أنه لا حقيقة بدون لسان قوي.. سليم النطق.. يعرف كيف تخرج منه الكلمات (الأكاذيب) والأوهام جميلة مموسقة، كما تؤمن هذه الانظمة بألا حقيقة بدون قلم جرئ يدبج المقالات ويدير الحوارات التي تبثها قناة الحكومة الرسمية، فهؤلاء نتيجة لشعورهم بـ (الفرعونية) لا يؤمنون واقعاً بأن (الأعمار بيد الله وحده) وأن (الله غالب على أمره) وكل الأمور بيده وليس في يد المستعمرين وشذاذ الأفاق، مهما بلغت قوتهم، ومهما قسوا في إجرامهم، ومهما استخدموا الإعلام واشتروا الأقلام، وكسروا نضالات الأحرار بعد أن ضاقت بهم السبل.

وقد يجهل الكثير من الكُتاب والباحثين في أحيان كثيرة أهمية ما يكتبون، وبالأحرى مدى تأثير كتاباتهم وافكارهم، المدونة على الورق، في نفوس المُعاصرين والأجيال اللاحقة، أفراداً كانوا أم جماعات أم شعوباً بكاملها.

هذا المدخل رأيت أن أبدأ به ما آراه الحقيقة في حديث النائب الاول لرئيس الجمهورية على عثمان محمد طه رداً على جملة من الأكاذيب والأوهام التي بثها

عبر برنامج (في الواجهة) التلفزيوني بمساهمة كبيرة للغاية من الصحفي الحكومي أحمد البلال الطيب، (مع كامل احترامي وتقديري لشخصه) الذي كان مبتهجاً وفرحاً للثمالة وهو (يقرأ) لسعادته الأسئلة المكتوبة بعناية لا تلامس الحقيقة التي يعرفها الشعب السوداني على امتداد المعمورة، و هذه المقابلة التفلزيونية والتي نشرتها صحيفة (أخبار اليوم) كاملة قد أصبحت وثيقة إدانة بالكذب على الشعب السوداني وعلى العالم قاطبة، ما دامت تمثل إحدى عناصر التردي الذي أصاب المجتمع السوداني، وبدوره أخل بكل الاعمدة الرسمية التي كان يعتمد عليها في تثبيت معاني وجوده على الأرض من طيبة ومُثل عليا لا توجد في غالبية الدول العربية والاسلامية، ومن سماحة وتواضع وتميز وتاريخ ناصع البياض ضارب في القدم.

في أول سؤال لمقدم البرنامج كانت صيغة السؤال كالتالي:

خمسة عشر عامًا مضت من عمر الإنقاذ وقطعاً تحقق الكثير من مشروع الإنقاذ والحضاري للنهوض بالسودان، فكيف يقرأ النائب الأول الخريطة الفكرية للانقاذ اليوم ؟.

بالطبع الإجابة ستكون بالمقاس الذي أراده الزميل البلال الطيب فقال علي عثمان محمد طه في جزء من أجابته الطويلة:

" وفي هذا السياق استطاعت الإنقاذ أن تطرح رؤى واضحة من خلال تأسيسها لدستور البلاد يحتوي على جملة من المبادئ التي تصلح أساساً لإدارة أوضاع البلاد في هذه الفترة وتُؤسس للفترة المقبلة، هذا الدستور في تقديرنا قد تضمن حصيلة تجارب الحكم والإدارة في السودان في الفترات الماضية، ونظراً إلى التجارب المعاصرة وإلى المبادئ الدولية وتضمنها، ثم جاءت التجربة العملية بانشاء مُؤسسات للدولة تأسيساً للامركزية الحكم وتأسيساً للحوار الوطنى الحر والبناء لمناخ ديمقراطي يستطيع المواطن فيه فرداً أو مجموعة أن يُعبر عن آرائه ويشكل هذه الآراء ويُجسدها في شكل مؤسسات تدير حواراً مفتوحا مع الساحة".

×والقاري والمستمع إلى هذا الإدلاء غير المثمر وغير الحقيقي وخاصة في حديث انشاء مؤسسات الدولة وتأسيس الحوار الوطني الحر المزعوم إلخ يكتشف القاري والمستمع حجم الكذب، وأن مؤسسات الدولة ولأول مرة في تاريخ السودان تنشأ

على الفكرة التنظيمية (الاسلاموية) والتي تعود فوائدها في المقام الأول على الحركة الاسلامية لا على المواطن السوداني أياً كان موقعه، وإذا جاء الحديث عن الحوار الوطني الحر فهذه أكبر أكذوبة لنائب رئيس جمهورية في حجم السودان لأن (الانقاذ) هذه لم تعرف في تاريخها أي حرية لحوار ولا حتي داخل تنظيم الحركة الاسلامية نفسه، ولا تنظيم المؤتمر الوطني الحكومي..!!.

فعن أي حوار حر يتحدث علي عثمان محمد طه..؟؟.

وفي الوقت الذي يعلم فيه القاصي والداني أن الآراء المخالفة لآراءه داخل الحكومة ومؤسساتها يكون جزاؤها الإقصاء سواء بالألة الامنية العسكرية او القانونية من خلال (حرب الملفات) القذرة التي لم يعرف مثلها تاريخ الصراع السياسي على السلطة في السودان حيث يُلوح بملفات الفساد لكل من يخالف رأئه رأي السيد المبجل أو أي من مجموعته المعروفة والتي تضم مدير الامن والمخابرات صلاح عبدالله، ونافع على نافع، وعوض الجاز وأسامة عبدالله ما لا يستطيع كائن من كان ان يخالف رائهم ويستمر في العمل السياسي تبع الحكومة، وهذا الأمر يؤكد أن (الإنقاذ) دولة يمكن أن نسميها دولة عصابة تشبه إلى حد كبير عصابة (المافيا) الإيطالية المشهورة في تصفية حساباتها مع الآخرين سواء كانوا دولة أو مجموعة قبلية أو حزب أو مؤسسة، أو أشخاص، وقد قاموا بالفعل بتصفية الرئيس المصري محمد حسني مبارك في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا لكن الحظ لم يبتسم لهم، وقاموا بتصفية رئيس لجنة التحقيق في محاولة الاغتيال نفسها وفي وضح النهار وأمام أسرته زوجته وأبنائه.

بالطبع هذه الأحداث والملابسات لا يتطرق إليها الاعلام السوداني لا من قريب أو بعيد وعندما تحدث الكاتب الزميل عثمان ميرغني عن محاولة الاغتيال هذه بعد لقائه مع رئيس تحرير جريدة مصرية مرموق عند زيارته للخرطوم تم اعتقاله وهُدد اذا ما عاد للكتابة مرة أخرى في هذا الموضوع، وهنا لا يفوتنا ان نذكر بمزيد من الألم ان (الإنقاذ) أسست لفكر التصفيات الجسدية ولم تسبقها في ذلك حتي الأحزاب اليسارية في السودان، فهذا هو كسب السودانيين الحقيقي من الانقاذ..!!.

وفي مواصلته للإجابة على السؤال قال علي عثمان محمد طه وهو يبتسم " استطاعت الإنقاذ أن تُؤسس لحرية الصحافة والنقد والتداول العام حول

الموضوعات، وأن تنشئ أجهزة رقابة من خلال الإنتخابات وتأسيس المجالس التشريعية والبرلمانية علي المستوي الولائى والاتحادي لتقوم بدورها في محاسبة الجهاز التنفيذي، مرسية بذلك مبدأ الشفافية والمحاسبة العامة لأداء الأجهزة وأن تؤسس لحكم القانون بانشاء قضاء مستقل ترسخت هيبته وإحترامه لدى المواطن أولاً من حيث أنه يبنى على أعراف وقواعد لتحقيق العدالة ليست غريبة على الوجدان السودانى فالقوانين والتشريعات التي سُنت في خلال هذه الفترة استمدت كلها من ضمير الشعب ومن معتقداته فإن القوانين التي أُسست على قواعد الشريعة الإسلامية هي تعبير عن التعايش والتصالح بين المجتمع وبين القوانين والقيم التي تحكمه" انتهى حديث نائب الرئيس علي عثمان محمد طه.

وهنا لا بد أن يحس الانسان بالمرارة والخنق والألم مع الرغبة في البكاء والصراخ والسؤال بأعلى صوت (أين حرية الصحافة والنقد والتداول العام) والصحف تغلق وتصادر من المطبعة وأحياناً من الأسواق علاوة على التهديد النفسي والمعنوي للكاتب، والاغراءات المادية التي طالت عدد كبير من الإعلاميين المُؤثرين وأصحاب الاقلام، وقبل فترة لا تقل عن العام كان الجميع يتساءل بحق وحقيقة أين مقالات فلان وفلان التي كانت تنشر في الشرق الأوسط اللندنية وتنتقد ممارسة الإنقاذ للسلطة، وأين الصحيفة المعارضة التي كانت في الخارج، أحضرت للخرطوم وأصبحت الملايين من أموال الشعب السوداني تتنزل في حساب أصحاب الامتياز وإنهالت على الصحيفة الاعلانات الحكومية، والخاصة بالمصارف والشركات الرسمية وأُفرغت الصحيفة من محتواها، ويمتهن السيد علي عثمان محمد طه الكذب عندما يتحدث عن حرية الصحافة في السودان في الوقت الذي يغلق فيه مكتب قناة الجزيرة ويعتقل الزميل اسلام صالح لأنه قال الحقيقة (المُرة).

ليس هناك فجيعة في حديث نائب الرئيس إلا عندما تحدث عن "أجهزة رقابة تقوم بدورها في محاسبة الجهاز التنفيذي مرسية بذلك مبدأ الشفافية والمحاسبة العامة لأداء الأجهزة وأن تُؤسس لحكم القانون بانشاء قضاء مستقل ترسخت هيبته وإحترامه"،.... يا الله.....كم هذا الرجل كاذب ويتحري الكذب، أي أجهزة رقابة تلك التي يتحدث عنها، ولم نسمع يوماً انها قدمت أحداً للعدالة..؟!.

وهنا لا بد أن يعرف القاري الكريم حادثة معينة توضح نمط الحكم الذي يتحدث

عنه نائب رئيس الجمهورية اذ ان المجتمع الاقتصادي في العاصمة الخرطوم جله يعرف أن أحد (الاسلاميين) الذي كان يترأس مجموعة شركات بنك النيلين أكبر سارق لأموال الشعب وكل الصحافيين الذين يعملون في الصحافة السودانية من بداية التسعينات إلى الآن يعرفون حتي حجم الأموال التي اقترفها ذلك الرجل ليس هذا فحسب بل أن شخصية مصرفية مرموقة ومشهورة قابلتها قبل أكثر من عام ونصف العام أكد أنه ومجموعة من القانونيين والمسئولين في البنك المعني كانوا قد حصروا الأموال التي استولى عليها الرجل من البنك ومجموعة شركاته والمسؤولين وبالأرقام وتم عمل ملف خاص بالقضية توطئة لتقديمه إلى ديوان الثراء الحرام ومن ثم المحكمة.

وقبل أن تصل الأمور هذه المرحلة أرسلت شخصية قيادية كبرى رسولاً من عندها قام بتوبيخهم على فعلتهم مذكرًا لهم بأن الرجل قيادي (اسلامي) ومن الصفوف المتقدمة وأن أخاه المرحوم عُرف بأخلاصه ونزاهته ثم تناول منهم ملف القضية وسلمها إلى الشخصية القيادية النافذة.

ويمكننا أن نقيس على ذلك عشرات الشخصيات التي نهبت أموال الشعب ولم تعرف العدالة النزيهة التي يتحدث عنها السيد النائب طريقها إليهم، وشخصيا ممرت بأكثر من تجربة فساد عشتها شخصياً وكتبت عنها حينها في أكثر من مقال، وكشفت فيها حجم الفساد التي يمارس في أكبر مؤسسة (تنظيمية) و(اسلامية ) وحكومية هي مؤسسة (في ساحات الفداء) والمنسقية العامة للخدمة الوطنية، والعدالة التي يحدثنا عنها على عثمان هي في خياله فقط، ولم تجد طريقها لأرض الواقع ولأنها إذا وجدت طريقاً للواقع فهو أول من يُسجن ويلقى جزاءه.

ومن التجارب الشخصية أيضا التي عشتها شخصياً حادثة مقتل الطالب النابغة غسان أحمد الامين هارون في معسكر التدريب الموحد للخدمة (الوطنية) حيث ضُرب ضرباً مُبرحاً من (التعلمجي) أدت إلى وفاته وقد أثبت التقرير الطبي بعد تشريح الجثمان، الذي حرره الدكتور عبدالله عقيل أن الطالب مات نتيجة لضربه في اماكن كثيرة، وتبع ذلك الكثير من ملابسات مقتل أبناء وأطفال ونساء ورجال قُتلوا ومُنع أهليهم من التقاضي لأن المُؤسسة العسكرية ذات سيادة كما يكرر وزير العدل (محمد عثمان يسن) لا يحق لأحد مهما كان أن يُقاضيها لأن دولة (الاسلام) في

السودان تحرم ذلك..!!.

وقبل ذلك تم قتل حوالي ١٧٠ طالباً من مجندي الخدمة الإلزامية في معسكر القوات المسلحة بمطقة العيلفون في صبيحة عيد الأضحي، وضربت الحكومة (الاسلامية) في السودان حصاراً شديداً على الصحافة والإعلام حتى لا يتم تداول هذه المجزرة، كما تم تهديد نواب البرلمان من عضويته الحكومة داخل البرلمان المعين من مغبة التطرق لهذا الموضوع عندما فكر ممثل الشباب حينها في تقديم سؤال لوزير الدفاع لإحاطة نواب الشعب حول ما جرى في ذلك المعسكر المشؤوم، ومنع أهالي القتلى من التقدم ببلاغات للجهات القانونية..!!.

**دولة العدل والنزاهة والشفافية..!!.**

ويتحدث نائب الرئيس على الهواء مباشرة عن دولة العدل والنزاهة والشفافية، واذا جاء السؤال الموضوعي والمنطقي ١٥ عاماً من حكم (الإسلاميين) من قدمت (الإنقاذ) للمحاكمة من الذين أثروا من أموال الشعب..؟؟ وإذا لم يكن فرجال (الإنقاذ) ملائكة آتين إلينا من السماء، ولذا حق عليهم حُكم السودان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..!!

في فقرة أخرى من الحوار التلفزيوني الذي يفجر شرايين القلب من الإصرار على الكذب و صناعة الأوهام قال السيد على عثمان محمد طه في جزئية من إجابة للسؤال عن الفكر الذي تحمله (الإنقاذ) قال علي عثمان محمد طه " الانقاذ قد تأسست على أنها حركة وجدان إجتماعي يريد أن يعقد صُلحاً بين الفرد وضميره وبين الفرد والجماعة، وبين الجماعة وخالقها وهذا هو البعد الديني للأساس الفكري الذي تأسست عليه الإنقاذ في الفترة الماضية، فنجد أن قواعد الإسلام وأحكام الشريعة قد تضمنتها ليس فقط جملة القوانين والمواثيق والدستور الذي أشرت إليه، ولكن حتى في الممارسات اليومية قد تجسدت هذه القيم في حركة المواءمة بين المعاصرة وبين الحرية الفردية وبين حرية الجماعة وإلتزامها بالقيم الإجتماعية العامة لقد نشطت جداً الدعوة للتخلق والتمسك بالقيم الفاضلة، وتمثلت في كثير من المشروعات التي قامت لإحيائها في المجتمع".

وعندما يتحدث سعادة نائب الرئيس في المقطع السابق وكأني بشهرزاد تتحدث

عن واقع لا يوجد إلا في "ألف ليلة وليلة" ويستمتع المستمع بهذه الخيالات الواسعة التي تُخرج الإنسان من لحظات الملل، ولكن عندما يتحدث النائب عن (الإنقاذ) ويصفها بأنها حركة وجدان اجتماعي عليه أن يستحي وأن يلطُف بنفسه قليلاً لأن مفردة (الإجتماعي) هذه هي أكثر العوامل التي أدت إلى فشل النظام على كل المستويات، وعلى المستوي الحاكم ظل المجتمع الخاص بالنخبة الحاكمة يعيش في وادي بعيد جداً عن أودية المواطنين، بل إبتعدت وغابت الشخصية (الحاكمة والمتنفذة) عن أسرتها أكثر مما غابت، وحدثت الكثير من القصص والحكايات التي يمكن أن تصلح لعمل مسلسل اجتماعي كبير تستفيد منه كافة الحركات الاسلامية التي تريد الوصول إلى كرسي السلطة، فقصص الزواج (السري) والزواج (النهاري) من السكرتيرات قد فضحت مجتمع (الإنقاذ) الحاكم أما الشعب المكلوم والمغلوب على أمره قد تاه في البرية ما بين مُهاجر ومُشرد، وطالب لجوء سياسي والبقية تنتظر ما حل بدارفور..!!.

مرة آخرى يسأل الزميل أحمد البلال النائب علي عثمان محمد طه من الأسئلة إياها ويقول في سؤاله:

رغم أن هنالك طفرة ظاهرة للعيان في خدمات الناس في كل أنحاء السودان إلا أن الشكوى من ضعف الخدمات ماتزال باقية في بعض المواقع. ما رأيكم؟.

ويجيب بسعادة غامرة السيد على عثمان محمد طه ويقول:

"مع طلوع الشمس وتقدم العلم والتقانة وما تفرزه الفضائيات وسرعة الإتصال والتأثير والتأثر في العالم تنفتح آفاقاً يومية لطموحات الناس أكبر من قدراتهم الذاتية، وأكبر من قدرات المجتمع والدولة هذه حقيقة لابد من التسليم بها، نحن نتحدث عن إمكانات متواضعة لدولة نامية تريد أن تخرج من دائرة الفقر والتخلف لتدخل دائرة النمو والتطور، ولكن الآمال والطموحات للأفراد بلا حدود ولذلك فان المواءمة والربط بين التوفيق بين طموحات الأفراد والمجموعات وبين قدرة الدولة على توفير جانب من هذه الطموحات في شكل تحسين للخدمات يظل تحدياً يواجه كل قيادة سياسية، الذي نثق فيه ونطمئن إليه هو أن ما تحقق حتي الآن هو محل إعتبار وتقدير من الشعب السوداني".

**ظلم البلاد والعباد..**

وعندما يقول علي عثمان أن إمكانيات السودان متواضعة ودولة نامية فهو يظلم السودان ويظلم شعبه، فبلادنا معروفة امكانياتها الضخمة وغير المحدودة، ولكن دائما يخيب ظنه الساسة أمثال نائب الرئيس، إذا نظرنا للسودان من جانب الثروات الطبيعية والامكانيات البشرية والمادية نجده غنياً لكن دولة سعادته (الإنقاذ) جاءت بالطموح غير الموضوعي في الإستيلاء على السلطة ومحاربة (الأعداء)، فدمرت إمكانيات البلاد الهائلة، كما باعت كافة المشروعات التي كان بامكانها حل مشكلة الغذاء على مستوي القارة الافريقية والمنطقة العربية، ولكنها سخرت لأهداف ذاتية وشخصية ضيقة، ويشهد التاريخ أن قادة السودان في هذه الفترة خرجت طموحاتهم من حدود بلادهم إلى أماكن أخرى كثيرة، وقد لا يعلم الناس هذه الحقيقة أنه ما من صراع في دول الجوار إلا وكانت أيادي النظام موجودة فيه، ويوماً ما ستتكشف هذه الأصابع ومن يقف ورائها.

في جانب آخر من الحوار التلفزيوني يفتري علي عثمان محمد طه على الله الكذب ويقول " الذي نثق فيه ونطمئن إليه هو أن ما تحقق حتي الآن هو محل إعتبار وتقدير من الشعب السوداني، وهو أكبر تفسير لظاهرة الإستقرار السياسي الذي يعم السودان مهما زايد المزايدون علي قضية الأمن، وقضية الحريات فان القناعة الأساسية هي أن ما يتوفر الآن من إستقرار مرده إلى إحساس المواطن بجدية الحكومة وحرصها علي معالجة القضايا الحياتية والحيوية واحدة بعد الأخرى".

ولا أدري كيف أعلق على هذه الكذبة الكبرى المتمثلة في الإستقرار السياسي الذي ينعم به الوطن وأحساس المواطن بجدية الحكومة ولكن الذي نعرفه تماما ان المواطن السوداني ما عاد يصدق ما تبثه القناة الفضائية السودانية لما فيها من أكاذيب تحرص الحكومة على تثبيتها وفرضها على الناس، كما إن المواطن يدرك تماماً أن الحكومة التي يعنيها علي عثمان محمد طه غير حريصة حتي على وجودها هي، فأصبح لها أكثر من خمسة ناطقين رسميين باسمها هذا ينفي، وهذا يؤكد، وقد كشفت العديد من الأحداث التي مرت بالسودان في الفترة الاخيرة كيف أن الحكومة ضعيفة ولها أكثر من رئيس...!!.

واذا جاء الحديث عن التعليم في السودان فإنما قاله نائب الرئيس يمثل الفضيحة في كل صورها ولا أدري ان علي عثمان أصبح كالرئيس البشير ينطق بغير استشارة وبدون أي مراعاة للذوق العام، وتحضره الهاشمية في أي مكان وفي اي لقاء صحفي، ونحن خارج الوطن الآن نعرف أن المُعلمين في أكثر من منطقة لا يستلمون مرتباتهم لأكثر من أربعة أشهر، رغم نداءات الرئيس عمر البشير نفسه وفي أكثر من مكان، ليس هذا فحسب بل أن الكثير من المدارس وفي داخل حدود ولاية الخرطوم يجلس طلبتها على الأرض، وكانت المملكة العربية السعودية في العام الماضي قد اجلست طلاب مئات المدارس الذين لم توفر لهم حكومة نائب الرئيس المقاعد والأدراج، فيما لا زالت الحالة كما هي في غالبية مدارس أطراف العاصمة الخرطوم، برغم الصرف البذخي لمناسبات الحكومة والتي تدخل في جيوب مؤيديها، ولكن أكبر دليل على كذب النائب الأول ما كتبه الزميل الصحفي ضياء الدين البلال في عمود بصحيفة الرأي العام بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠٠٤م بعنوان كهر بائيات وبالنص ذكر الأتي:

لك أن تضحك أو تبكى.. ويمكنك كذلك أن تجمع بين الاثنين.. دون أن يستدعى ما تفعل عرضك على طبيب نفساني.. قبل فترة نقلت الأخبار أن المعلمين فى ولاية محددة ونتيجة لتأخر مرتباتهم ومماطلة لحكومة الولاية في دفع تلك المرتبات قاموا بمظاهرة صاخبة إعتدوا فيها على المدارس ومباني وزارة التعليم.. الأساتذة يحملون حجارة ليعبروا بها عن مواقفهم.. والتلاميذ بالطبع لم يلعبوا دور الجودية والوسطاء ولكن أعانوهم على ما يفعلون.. وحكومة الولاية التي أوصلت المعلمين إلى حمل الحجارة فى الطرق ليحصبوا بها مدارسهم.. وقبل ذلك يحصبون كل قصائد الشعر وحكم الوعظ التي ترسم صورة ذهنية مثالية عن المعلم.. لم تجد فى نفسها حرجاً أن تواصل مسيرتها الحاكمة المستنعمة بخيارات السلطان كأن شيئاً لم يحدث.. وقرأ الجميع الخبر ومروا عليه إلى بقية الأخبار دون أن يأخذ الحدث أدنى إنتباه..!!

**قضية دارفور**

ثم تأتي قضية دارفور في الحديث التلفزيوني للنائب علي عثمان والذي كعادته لم يصدق في حديثه ولو لمرة واحدة وهو يعلق حول أمهات القضايا التي تشغل بال العالم مثل قضية أصبحت الآن مادة دسمة للتناول الصحفي والإعلامي بل الإجتماعي الذي يُصور أن الشماليين في السودان لا يرضون بعيش الآخرين معهم،

رغم القواسم المشتركة بين أهل السوداني جميعاً، وهنا يجهز الزميل أحمد البلال الطيب لضيفه الاجابة من خلال السؤال التالي: هل ما يجري الآن في ولايات دارفور له علاقة كما يردد البعض بضعف الخدمات والتنمية في ولايات دارفور ؟..

يقول النائب بدون حياء" ما يجرى في دارفور له تعبير واضح ، كل متابع للأحداث في السودان وفي دارفور بوجه خاص يعلم أن الصراع في دارفور له أسبابه التاريخية التي تسبق قيام الإنقاذ والتي سعت إلى معالجتها خلال هذه الفترة ببرامج محددة متمثلة في محاولة توفير وتحسين الخدمات باعتبار إن الصراع بين الرُعاة والزُراع كان واحداً من اسباب التوتر في دارفور"..!!.

والذي يعرفه الجميع في السودان أن مشاكل الرُعاة مع أصحاب الأراضي لا تخلق كل هذه العداوات، وهذه الدماء العزيزة التي أريقت، ومثل هذه القضايا تحدث كل يوم في مناطق النيل الأبيض وفي البطانة، وفي شرق السودان، وفي النيل الأزرق وحتي في مناطق بجنوب السودان، ولكن الأمر الذي لا يعرفه الكثير من الناس أن السيد النائب علي عثمان محمد طه ومجموعته لا يرضون أبداً مهما كانت الظروف التعايش مع فئة أو مجموعة قبلية أو أشخاص يعملون على تطوير مناطقهم اقتصادياً كما يعملون على الرقي بالإنسان، ما لم يكونوا مؤالين لهم في طموحاتهم وفي أفكارهم الاقصائية، ولا أستدل إلا بقصة الإستاذ رجل الأعمال محمد عبدالله جار النبي، وهذه قصة طويلة يطول شرحها ولكن المهم فيها أنهم عندما أدركوا أن (جار النبي) وشركته (كونكورب) ستكون هي المستفيدة من تصفية البترول السوداني بما يعود عليها بالأموال الهائلة والضخمة وهو أي (جار النبي) الذي فتح للسودان خيراً كثيراً من خلال شرائه لحق امتياز شركة شيفرون الأمريكية بعد أن اشترى المصفاة من الخارج وخسر فيها مئات الملايين من الدولارات حتي وصلت لأرض الوطن لتصفية الخام السوداني فما كان منهم إلا أن أبعدوا الأخ محمد عبدالله جار النبي من الساحة ورموا فيه الكثير التهمة المزعومة، على طريقة تصفية الحسابات من خلال حرب الملفات التي ذكرناها آنفاً، كل ذلك بدون أي اسباب وجيهة..!!.

الاخ جار النبي صُدم غاية الصدمة من هذه الفعلة، بل صُدم كل من كان يعرف حقيقة العلاقة بين الطرفين، وكل ذلك بسبب ان (جار النبي) ليس منتميا فكراً ولا قبيلة لهذه المجموعة، وهنا لا بد من معرفة ان محمد عبدالله جار النبي يوما ما

عندما كانت الحركة الاسلامية مطاردة ايام الرئيس الأسبق جعفر النميري وصودرت أموالها وأملاكها كان من يرسل من يوغندا الدولارات حتي تصرف الحركة الاسلامية في الداخل على نشاطها، كما كانت أموال (جار النبي) تصرف على أسر المعتقلين من أعضاء الحركة الاسلامية، وظل على هذا الحال السنوات الطوال، حتى عادت الحركة إلى وضعيتها، هذا طرفاً من عقيدة أهل (الإنقاذ) في رد الجميل والوفاء للذين كانت لهم أفضال مشهود بها..!!!.

هذه القصة اردت ان تكون مدخلا للحديث عن بعض الأسباب غير المنظورة لمشكلة غرب السودان بحسبان ان (محمد عبدالله جار النبي) أحد أبناء هذا الأقليم الجزء الحبيب من الوطن، وفي العاصمة يعرف الناس أن أبناء هذا الإقليم ينشطون في التجارة والاستثمار وهذا من أكثر الاسباب الخفية التي جعلت مجموعة النائب الاول تحس بالقلق من تنامي ظاهرة التوسع الاقتصادي لهذه المجموعات، ولو أن من الطبيعي على الحاكم (الطبيعي) أن يسعد ويفرح عندما يرى ثمة تطور ورقي وإزدهار في أي مكان في وطنه فإن ذلك يساهم بشكل فعال في نهضة البلاد، ولكن (الحاكم) يفكر بالعقلية الأمنية والعسكرية، ونظرية المؤامرة.

وقد ظل على عثمان محمد طه منذ دخوله الحركة الاسلامية يحلم أن يكون له شأن في هذا الكيان ومن ثم في حكم السودان، وقد عمل بجهد شديد في الوصول إلى هذه المرتبة وكل نظره إلى كرسي رئاسة الجمهورية، رغم القضايا العالقة التي تنتظره وتنتظر مجموعته في تدبير محاولة اغتيال الرئيس المصري والأبادة الجماعية لسكان دارفور وقد تظهر قضايا آخرى، ثم أن الاحصاءات الضخمة التي أوردها (الكتاب الاسود) في الجزئين الأول والثاني تُؤكد العنصرية التي يتحلى بها النظام الحاكم، وما وجد نائب الرئيس علي عثمان محمد طه فرصة إلا إختلق أسباب أخرى لمشكلة دارفور، والشكل الذي ظهرت به قوات الجنجويد في دارفور مؤخرا يؤكد الدعم اللوجستيكي الحكومي لها، وقد أكدت كل الدلائل أن الحكومة التي هي شكلت قوات الجنجويد لقتال المعارضة المسلحة في دارفور (٢).

الامر الاخر من الاسباب الحقيقية التي فاقمت مشكلة دارفور ولم يتطرق اليها نائب الرئيس هي ان دارفور كانت تعاني من مشكلات كثيرة كان بأمكان الحكومة حلها وإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح لأن اجراءاتها هي التي تسببت فيها، وظل

ابناء دافور بكل قبائلهم المتعددة يرسلون المذكرات الي الحكومة المركزية في الخرطوم، الحكومة كانت تتعنت ولا تستجيب، وقبل انطلاقة العمل المسلح باكثر من عام قدم مواطنو دارفور الكبرى بالعاصمة الاتحادية مذكرة أشهدت عليها الناس.

ليس قضية دارفور وحدها التي كذب في أسباب إندلاعها نائب الرئيس، وقد ظل سعادته يختلق أسباباً واهية لكل قضية تحدث في البلاد وتشغل الناس، أعود وكلي تأكيد ان الحوار التلفزيوني الذي أجراه الزميل أحمد البلال الطيب مع نائب الرئيس علي عثمان محمد طه ستبقى دليل إدانة على ما أرتكب النظام الحاكم في السودان ضد الشعب السوداني منطلقاً من كذبة كبيرة اسمها التوجه (الإسلامي) والله سبحانه وتعالى وحده يعلم كم كذب هذا النظام على المسلمين مستغلاً حبهم للدين الإسلامي الحنيف.

يوليو ٢٠٠٤م

# الدكتاتورية السودانية وامتهان الكذب..!! ..

وصفات طبية ونفسية نجدها في الكثير من المواقع الالكترونية الاجتماعية منها والتربوية تُوصي بأنواع مختلفة من علاج إدمان الكذب لدى الأطفال الصغار، وتكشف عن خطورة الكذب على مستقبل الطفل في مقبل الأيام. كنت أقف دائماً متسائلاً في نفسي لماذا لا توجد وصفات طبية ونفسية تنصح الانظمة الحاكمة المستبدة مثل حكومة السودان التي أدمنت الكذب حتى أصبحت بلادنا تعيش في حالة عدم استقرار نتيجة لممارسة الكذب على الشعب، دون النظر للآفة وأدمانها وخطورتها على مستقبل البلاد والعباد.

غريبة.. ينصحون الاطفال الصغار ولا ينصحّون الحُكام الذين يؤدي كذبهم لاراقة الدماء وضياع ثروات البلاد واشعال الحروب هنا وهناك ..!!.

يقول د. صبري الأحمد الابراهيم "أن الكذب خلة رديئة، وصفة ذميمة، وهي أساس الرذائل، وأصل الشرور، فكثيراً ما ضاعت به حقوق، وانتهكت به حرمات، وارتكبت به جرائم".

والكذب أصلاً هو مخالفة القول للواقع، وهو من أبشع العيوب والجرائم، ومصدر الآثام الشرور، وداعية الفضيحة والسقوط، لذلك حرمته الشريعة الإسلامية، ونعت على المتصفين به، توعدتهم في الكتاب والسنة: قال تعالى "إن الله لا يهدي من هو مُسرف كذاب" (غافر: ٢٨).

وقال تعالى: "ويل لكل أفاك أثيم"...(الجاثية:٧)، وقال تعالى: "إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون"، (النحل: ١٠٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور،

والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"، رواه البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي.

قواسم مشتركة ومفارقات

في حديث أجراه الرئيس الأمريكي بوش مع شقيقته دوروثي بوش لحساب مكتبة الكونجرس، قال إنه يود أن يذكره التاريخ باعتباره "الرجل الذي حرر خمسين مليوناً من الناس وساعد علي تحقيق السلام"...!!.

ولم يكن من المتصور أن يبلغ الاستخفاف بعقول البشر إلي هذا الحد....

الرئيس الذي قتل أكثر من مليون ونصف المليون إنسان في العراق وأفغانستان و مئات الآلاف من الجرحي والمعاقين من ضحايا حروبه،و أكثر من أربعة آلاف ومائتي جندي أمريكي بالإضافة إلي عشرات الآلاف من الجرحي والمعاقين يعتبر نفسه (مُحرراً) و(صانعاً للسلام).!!.

لا بل ويتفاخر الرجل بأنه لم (يبع روحه) وأنه جاء إلي واشنطن حاملاً مجموعة من (القيم)، ويتركها وهو يعتنق نفس (القيم) كما أنه واثق من أنه لن يضحي بهذه (القيم).

الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الابن ثبت أنه كان يكذب طول الوقت وهو يعرف أنه يكذب لكي يبرر شن حروب غير متكافئة في العراق.

القاسم المشترك بين حالة الولايات المتحدة الامريكية سابقاً.. وحالة السودان حالياً..انه في ذات الوقت الذي كان العالم يسمع أكاذيب الرئيس بوش كان رئيس السودان يكرر ذات السيناريو..لا..بل يُسب الرئيس بوش بكل ما أوتي من مفردات الشتيمة والإساءة..!!.

والمفارقة العجيبة المضحكة ان إدارة الرئيس بوش هي التي ضغطت على الاطراف السودانية المتحاربة في الجنوب لتحقيق السلام في السودان فتكفلت بكل مصروفات منتجع نيفاشا من اقامة وأكل وشرب حتى ثمن الخمرة التي شربها القوم في نيفاشا دفعتها الادارة الامريكية..وبعد كل ذلك يسوق صّحاف السودان د. ربيع

عبدالعاطي "أن الرئيس البشير أوقف أطول حرب في تاريخ القارة الافريقية".. ولا يستحي أن يكرر هذا الكذب على اشهر القنوات الفضائية العربية، والكل يعلم الحقيقة..!.

صّحاف آخر من صحاحيف (الانقاذ) يكذب بشكل فاضح ومُخجل قال من الفضائية السودانية أن "الانقاذ هي التي فتحت الباب للصين لتدخل أفريقيا"، وأصغر قارئ سوداني يعرف أن الصين دخلت افريقيا في نهاية الخمسينات عندما كانت تدعم حركات التحرر الافريقي، وفي تقرير له لإذاعة صوت هولندا العالمية يقول الصحفي الزامبي جاكلين ماريس من لوساكا متحدثاً عن السفير الصيني هناك مشتر شاو.

"إن مستر تشاو أجرى تقييماً لسياسة "الطفل الواحد" الصينية، وأسهب في الثناء على الصين القديمة، يكرر مستر تشاو جمله الإنجليزية الركيكة كأنها شعارات: "الصين وزامبيا صديقان جيدان،" متبوعة بـ "الصين وزامبيا صديقان قديمان،" يكرر ثلاث مرات أن الصين في إفريقيا كما كانت تفعل قديماً بعيد الاستقلالات– لمساعدة بلدان القارة لكي تتطور". وفي مكان آخر يتحدث عن أول رئيس لزامبيا بعد استقلالها ويقول عنه:

"بعد توليه رئاسة البلاد عام ١٩٦٤م سارع كينيث كاوندا إلى زيارة "القائد الأكبر" ماو تسي تونغ، برفقة نظيره جوليوس نيريري، رئيس تنزانيا المجاورة كانت لديهم لقاءات حميمة مع القائد الثوري ماو، وإن كان كاوندا ينكر أنه استنسخ التجربة الماوية. يقول كاوندا إنه طور "اشتراكية إنسانية"، بتعليم مجاني، ورعاية صحية للجميع. شقّ الطرق وبنى المصانع في أبعد الأماكن النائية من البلاد. صارت زامبيا تصنّع الدراجات الهوائية، والقناني الزجاجية، والأناناس المعلب. كل هذه المصانع أنشئت بموارد تصدير النحاس. رغم ذلك، من الصعب تجاهل الشبه بين البدلة السوداء البسيطة والأنيقة التي يرتديها الرئيس السابق كاوندا، وبين البدلات التي اشتهر بها ماو".

كان ذلك في بداية الستينات..!!.

وفي نهاية العقد الأول من القرن الـ ٢١ يأتي من يكذب علناً وفي الجهاز الاعلامي القومي..

هكذا هم حكام (الانقاذ)..أكثر الحكام الذين كذبوا على الشعب، بل استخفوا بعقول الناس وبقدراتهم.. والاعلام السوداني يتفاعل مع هذه الأكاذيب بالترديد وبلا حياء باعداد برامج تلفزيونية خاصة تمجد الأكاذيب، ولا أدري أين ذهب مثقفي السودان الذي يعرفون التاريخ ويلمون بدقائقه، ولا يتحملون قبل عام أو أكثر ضربت القوات الجوية السودانية بطائراتها قافلة امدادات تابعة للامم المتحدة في دارفور فبادر سفير السودان في المنظمة الدولية عبدالمحمود عبدالحليم امام الصحافيين بنفي الواقعة جملة وتفصيلاً.. متهماً حركة العدل والمساواة بارتكاب الهجوم، وفي اليوم التالي اعترفت الحكومة السودانية بالهجوم وقالت انه حدث بالخطأ، وذلك بعد أن علمت ان الهجوم مؤثق ولا سبيل للنفي، وأصبح المندوب في الامم المتحدة كاذب في نظر من استمع إليه بتأكيداته القوية وحماسه الزايد.

وهو يعلم تمام العلم أن حكومته تكذب من صغيرها لكبيرها..

**بيوت الاشباح..آخيراً اصبحت حقيقة..!!**

قبل ايام فاجأ الرئيس عمر البشير السودانيين باعترافه الشخصي بحقيقة بيوت الاشباح والممارسات التي تمت في الماضي، في سياق حديثه حول تغير النظام لاستراتيجيته السابقة، ومؤكداً ما ظل ينفيه الانقاذيون على مدى عشرين عاماً مضت، وصرفت فيه الدولة المال الكثير لتسويق هذه الأكاذيب من أكل وراحة الشعب السوداني، آخيراً أعترف الرئيس بعد كذبة استمرت عقدين من الزمان في ظل نفي شبه يومي وعلى كل المستويات من الاعلام وعلى كل الصعد المحلية والاقليمية والدولية.

وعندما يتأمل المرء في كمية الأكاذيب التي تنشرها أجهزة الاعلام الحكومي يستغرب غاية الاستغراب..كما استغرب أديبنا الراحل الطيب صالح في مقالته المشهورة:

"هل السماء صافية فوق أرض السودان أم أنهم حجبوها بالأكاذيب؟ هل ما زالوا يتحدثون عن الرخاء والناس جوعى؟ وعن الأمن والناس في ذعر وعن صلاح الأحوال والبلد خراب؟" وفي فقرة اخرى" من اين جاء هؤلاء الناس؟ أما أرضعتهم الأمهات والعمات والخالات ؟ أما أصغوا للرياح تهب من الشمال والجنوب؟ أما رأوا

بروق الصعيد تشيل وتحط؟ أما شافوا القمح ينمو في الحقول وسبائط التمر مثقلة فوق هامات النخيل؟ أما سمعوا مدائح حاج الماحي وود سعد، وأغاني سرور وخليل فرح وحسن عطية والكابلي واحمد المصطفى؟ أما قرأوا شعر العباس والمجذوب؟ أما سمعوا الأصوات القديمة وأحسوا الأشواق القديمة، ألا يحبون الوطن كما نحبه؟ إذاً. لماذا يحبونه وكأنهم يكرهونه ويعملون على إعماره وكأنهم مسخرون لخرابه؟".

ويختم المقال ذائع الصيت قائلاً:

"هل حرائر النساء من "سودري" و"حمرة الوز" و"حمرة الشيخ" ما زلن يتسولن في شوارع الخرطوم؟ هل ما زال أهل الجنوب ينزحون إلى الشمال وأهل الشمال يهربون إلى أي بلد يقبلهم؟ هل أسعار الدولار لا تزال في صعود وأقدار الناس في هبوط..؟ أما زالوا يحلمون أن يُقيموا على جثة السودان المسكين خلافة إسلامية سودانية يبايعها أهل مصر وبلاد الشام والمغرب واليمن والعراق وبلاد جزيرة العرب؟ من أين جاء هؤلاء الناس؟ بل.. من هؤلاء الناس؟".

## التوقيع على النظام الأساسي لمحكمة الجنايات الدولية..!!.

كشف الزميل الصحفي المثابر الاخ عبدالمنعم سليمان قبل ايام قليلة فضيحة كبرى واحدة من فضائح النظام التاريخية إذ كشف أن الحكومة السودانية قد وافقت على النظام الأساسي للمحكمة بل الرئيس عمر البشير شخصياً قد وقع على النظام في ٨ سبتمبر ٢٠٠٠م، والمصدر هو مجلة (المحامين) التي يرأس تحريرها الاستاذ فتحي خليل العدد الثاني فبراير ٢٠٠٣م، وفي ذات العدد كتب فتحي خليل مقالة عصماء يُمجد فيها نظام المحكمة الدولية ولم يؤكد توقيع السيد رئيس فحسب بل نادى بتعديل القوانين والتشريعات الوطنية لتتوائم مع ما ورد في النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية، وقال خليل بنفسه" وقعت ١٣٩ دولة من ضمنها السودان اذ قام السيد رئيس الجمهورية بالتوقيع على النظام الاساسي، وان النظام الاساسي سيدخل حيز النفاذ في اليوم الاول من يوليو ٢٠٠٣م".

الوثيقة التاريخية التي كشفها الزميل الصحفي مهمة للغاية من حيث كونها تثبت ان حكومة السودان (الانقاذ) كانت من اكثر المتحمسين لوجود المحكمة الجنائية الدولية وانها وقعت علي نظامها الاساسي بذلك الحماس فكانت بذلك

أقوى المؤكدين على نجاع فكرتها، لكنها تنكرت لها بعد ان تورطت في دارفور.

وصدقت العبقرية السودانية التي قالت أن "حبل الكذب قصير"، وحتماً سيعرف المواطن السوداني حجم الاكاذيب التي مورست ضده وحكمت بها البلاد بطولها وعرضها.

## كذب الشيخ الجديد

ولما صار الكذب مهنة وطبيعة وعادة لدى القوم كبارهم وصغارهم احتفظ التاريخ لهم بكل صغيرة وكبيرة، ومن ضمن ما وثقته اجهزة الاعلام والتقنية الجديدة الأكاذيب التي أطلقها الشيخ الجديد نائب رئيس الجمهورية على عثمان محمد طه التي بثها تلفزيون السودان عبر برنامج (في الواجهة) التلفزيوني في منتصف شهر يوليو ٢٠٠٤م بمناسبة الاحتفال بالعيد الـ ١٥ على (الانقاذ).. ونشرتها صحيفة (أخبار اليوم)، قال علي عثمان في رده على سؤال مقدم البرنامج أحمد البلال الطيب على طريقة (حمد والدبية حاجة عجيبة) التي تعني إجادة تمرير الكرة بين اللاعبين والوصول المرمى.

قائلاً:

"استطاعت الانقاذ أن تطرح رؤى واضحة من خلال تأسيسها لدستور البلاد يحتوي علي جملة من المبادئ التي تصلح أساساً لادارة أوضاع البلاد في هذه الفترة وتؤسس للفترة المقبلة هذا الدستور في تقديرنا قد تضمن حصيلة تجارب الحكم والادارة في السودان في الفترات الماضية ونظرا الي التجارب المعاصرة والي المبادئ الدولية وتضمنها، ثم جاءت التجربة العملية بانشاء مؤسسات للدولة تأسيسا للامركزية الحكم وتأسيسا للحوار الوطنى الحر والبناء لمناخ ديمقراطي يستطيع المواطن فيه فردا او مجموعة ان يعبر عن ارائه ويشكل هذه الآراء ويجسدها في شكل مؤسسات تدير حواراً مفتوحا مع الساحة".

وفي مواصلته للاجابة على السؤال قال النائب الأول للرئيس في حينها وهو يبتسم:

"استطاعت الانقاذ أن تُؤسس لحرية الصحافة والنقد والتداول العام حول

الموضوعات وان تنشئ اجهزة رقابة من خلال الانتخابات وتأسيس المجالس التشريعية والبرلمانية علي المستوي الولائى والاتحادي لتقوم بدورها في محاسبة الجهاز التنفيذي مرسية بذلك مبدأ الشفافية والمحاسبة العامة لاداء الاجهزة وان تؤسس لحكم القانون بانشاء قضاء مستقل ترسخت هيبته واحترامه لدي المواطن اولا من حيث انه يبني علي اعراف وقواعد لتحقيق العدالة ليست غريبة علي الوجدان السودانى فالقوانين والتشريعات التي سنت في خلال هذه الفترة استمدت كلها من ضمير الشعب ومن معتقداته فان القوانين التي اسست علي قواعد الشريعة الاسلامية هي تعبير عن التعايش والتصالح بين المجتمع وبين القوانين والقيم التي تحكمه" ..كذب السيح والريح..!!.

ولا زال الشيخ الجديد يواصل مسلسل الكذب عن الجنة التي اقامها لشعب السودان في مناطق أمري وكجبار ودارفور..الكذب لا يشترى بالمال..!!. وهل كان الكذب على الشعب فقط..؟؟!.

الغريبة أن النظام كان ولا زال يكذب على نفسه ويصدق كذباته الكبيرة.. هذا مرض عضال يستلزم العلاج..لكن بعد (خراب سوبا)..؟.

يوما ما كنت عضواً في المكتب التنفيذي لوزير مالية (شمالي) بإحدى ولايات جنوب السودان في حقبة التسعينات، وبينما كنا نهم في كتابة تقرير الوزارة السنوي دخل علينا (الوزير) فطلب منا أن نكتب على غير الحقيقة أن الشركة الهندسية التي تتبع للوزارة (زراع استثماري) ربحت في عامها الأول مبلغ ٥ مليون جنيه، وهذا لم يكن حقيقة ألبته، وكانت حاجة غريبة للغاية هذا التصرف سيما وأن الوزير كانت له مكانة كبيرة للغاية بين العاملين خلف الكواليس في حفظ أمن البلاد.

وقبلها بسنوات كنت أعمل في إحدى القطاعات الاستراتيجية التنظيمية وبينما كنا نضع اللمسات الأخيرة على التقارير الربع سنوية لمناقشتها في الاجتماع الكبير ونحن ممثلين لكل ولايات السودان جاءنا أحد القيادات وطلب منا (نفخ) التقارير.. بمعنى أن نُضاعف الأرقام التي بحوزتنا حتى نظهر وكأننا حققنا أكثر من المطلوب..!!.

رئيس الجمهورية كان دائماً يحضر الاجتماع السنوي الكبير وسط التهليل والتكبير والفرحة بانجازات كاذبة غير موجودة على أرض الواقع..لذا أشعر بمرارة

لدرجة التقيوء كلما شاهدت الفضائية السودانية و مشاهد التهليل والتكبير عند وصول الرئيس أو نائبه، أعرف أن الكذب هو سيد الساحة وان مظاهر الفرحة الكاذبة ما عادت تطرب مسمعي، وهذه إجابة للذين سألوني عن سبب مقاطعتي الفضائيات السودانية..!.

**الخجل من النور..**

أثناء تقلبي لكتاب الكاتب السعودي عبدالله القصيمي (عار التاريخ) استوقفتني هذه العبارة التي تصور واقعنا بكل ما فيه، يربط بين الدكتاتورية وتأثيرها البليغ على الشعوب فيقول:

"الدكتاتور لا يجئ في كل الظروف ولا في كل المجتمعات انه يجئ في ظروف خاصة قابلة لأن يمارس فيها كل جنونه..أنها ظروف تهئ للوقوع في شباك الدعاية والاستهواء، وانه من جهة آخرى لا يؤمن بالأخلاق ولا بالمنطق..أنه يكذب ويضلل ما استطاع لا يمنعه من ذلك مانع..انه لا يشعر أن أحداً يراه او ينكره او يحاسبه، انه لا يخجل من النور..أنه لا يراه..انه لا يحسب أي حساب لكل ما في الشمس من قوة ورؤية وكشف". هذا الكاتب يصور واقعنا بشكل غريب وكأنه يعرف ما يجري في كواليس حُكامنا وما يحدث في ساحتنا السياسية فيكتب قائلاً:

"من جهة ثالثة ..ليس للجماهير مناعة – أي مناعة – ضد الانخداع والخوف وتصديق السحر، ان استعداد الجماهير للانخداع مشكلة قديمة وحديثة، لم يوجد لها علاج..انه لم يوجد لها العلاج، ان هذه الأمور الثلاثة تعطي دعايته المرهقة كل الفرص لكي تبلغ منتهاها..فإذا وجدت المجتمعات الهاربة من نفسها الباحثة عن الغواية، ووجدت تلك الغواية بكل مغرياتها وأساليبها وأنبيائها الكذبة، ثم سقطت على تلك المجتمعات كل كذبها وفجورها وانطلاقتها المتوحشة، ثم كانت المجتمعات بظروفها النفسية محتاجة الى الضلال والاتباع والايمان وتسليم القلاع للغزاة القادمين من وراء الضباب..إذا اجتمع ذلك كله، كان محتُوماً أن تجي دعاية الديكتاتور شيئاً مثيراً وحاسماً، أن هذا هو التفسير لما يثبت دائماً من تفوق الدعاية الديكتاتورية على دعايات خصومها..انها تجئ تعبيراً عن حالة أليمة موجودة. ان هذا يجعلها رسالة وانقاذاً في تصور الجماعات، لهذا يترامون تحت أقدامها بلا

وقار أو ذكاء، انهم بذلك يهربون من انفسهم ومن فراغها الأليم العقيم، انهم لا يجيدون ما يملأ هذا الفراغ غير الايمان بالتعصب والحقد والكذب والوعود التي تطلقها هذه الدعاية الباهظة،أما خصومها فليست لهم هذه المزايا فلا يتكافأون معها، أن الجنون في السوق شئ متفوق ساحق لا ينافس"...!!.

ان المجتمعات في الغالب تؤمن بالذين يعلمونها الكذب والغواية والبغض والحماقات لا بمن يعلمونها الحب والحقيقة والصداقة والعقل، أن الاكاذيب أقوى سحراً من الحقائق..ان المهرجين الصارخين يعطون الجماعات الفرصة لكي تريح آلامها وأعصابها، أو حرمانها أعظم ما يعيطها العقلاء المتوقرون.

ما اسخف العقل حين يطلب الجنون..وما اسخف الاتزان في مخاطبة الجماهير التي تجد في الاكاذيب والمبالغات والتحويمات تعويضاً لها عن فقدها وعجزها وحاجتها.. كل الناس يحتاجون إلى تعويض ولو بالكذب، ولو بالاحتلام، ولو بالشتائم والحقد، لهذا يهاجمونني في كل ما أكتب لأنني لا أكذب عليهم..ولا أتجمل..ولا أدعي نبوءة.. ولأنني أكتب لهم ما يبكيهم..وما يزرع في نفوسهم الرعب من عاقبة الطريق الذي يسيرون فيه..يهاجمونني لأنني أقول لهم الحقيقة المُرة بينما كل أجهزة الاعلام تقدم لهم الأكاذيب ممزوجة بالتهليل والتكبير..وموسيقى الجهاد وأغاني الحماسة.

قبل ٦ سنوات كتبت مقالاً منطلقاً من وازع الفطرة كالوا ليّ السباب والشتيمة ومن ضمن ما قالوا "أكلت خير (الإنقاذ) حتى شبعت وتأتي اليوم تحذر منها...؟"، قلت لهم بالحرف الواحد "أحسب أنني أحمل أمانة ورسالة سيسألني عنها المولى سبحانه وتعالى يوم أقف أمامه..ورسالتي عميقة الجذور وفي خاطري أبنائي وأبناء كل السودان أخاف عليهم من المستقبل المظلم".

وكانت النتيجة سريعة على غير ما توقعت ..حملتها الأخبار اليومية..آلاف حالات الاغتصاب بين الناشئة..ومن قبلها تناقلته صحائف الدول المجاورة..أبناء الزنى الذين ضاقت بهم أرجاء البلاد يتكفل بهم الشعب الطيب المغلوب على أمره..أما المليارات من الجنيهات السودانية تُخصص للمؤتمرات عديمه الجدوى.. وجلب المؤيدين أعضاء النقابات العربية من محامين وقضاة وأكاديميين لتأييد الرئيس على خلفية اتهام المحكمة الجنائية الدولية، وينقلها الاعلام السوداني على الهواء

مباشرة..واتحفنا القوم بعبارات المدح التي لم يحلم بها سيف الدولة من ابي الطيب المتنبئ.

تسويق للكذب على المستوى الاقليمي والدولي..!!.

**إدعاء التنمية الكاذب ..!!.**

ما وُجهت كاميرة تلفزيونية لمسئول سوداني إلا وتحدث عن التنمية التي حققتها (الحكومة)..والتنمية في فهم قادة النظام هي الجسور الجميلة والبنايات الشاهقة والحدائق العامة والجامعات التي لا أحد أصبح يعترف بشهاداتها.

مظاهر التنمية هذه برغم علاتها.دفع ثمنها المواطن السوداني من دمه ولحمه وكرامته وعِرضه.إذا احتاج لعملية جراحية طُلب منه شراء الحُقن والشاش والسرير والبنج.وإذا احتاج لإدخال الكهرباء في منزله طلبوا منه شراء العمود والأسلاك.وإذا فكر في السفر خارج البلاد طلبت منه الأموال الطائلة.والرسوم التي لا تنتهي..وإذا عاد من غربته..طلبوا الأتاوات الكبيرة التي تنوء بحملها الجبال.فأصبح المواطن السوداني يدفع للحكومة وهو ميت ومسجى على النقالة ..إذا توفي في المستشفى حملوا الجثمان لمنزله.. وقبل أن ينزلوه من سيارة الاسعاف طلبوا قيمة المشوار .. مشوار الجثمان..!!.

**صناعة الكذب..**

مؤخراً أسست (الحكومة) عدداً من الصُحف الموالية لها وأشاعت أنها صُحفاً مستقلة بعد أن فكت ضوائق من قاموا عليها من أجل الترويج للكذب والدفاع عنه. صحف جديدة تمثل صناعة تحويلية..تحول الهزيمة النكراء إلى انتصار تاريخي كبير. تحُول الحقائق الظاهرة مثل الشمس في رابعة النهار إلى أكاذيب ..وادعاءات..تصف من يتحدث بغيرها بالمرتزقة وصحافي المارينز..والخونة..الذين باعوا أوطانهم بثمن بخس. لكن العزاء الوحيد أن هذه (الصناعة) تخلو من المهندسين والمهرة والمبدعين والمؤمنين بالفكرة..بل هم مجرد كمبارس يؤدون دوراً لا يعرفون أهميته وتأثيره على الاوضاع. صناعة تخلو من أصحاب الموهبة..

إن صناعة الصحافة (الحكومية) التابعة للمؤتمر الوطني برغم امكانياتها

المالية المهولة تخلو من كُتاب مبدعين يتناقل السودانييون مقالاتهم عبر الشبكة العنكبوتية مثل الأساتذة محمد موسى جبارة.. فتحي الضو ..حسن البطل... الحاج وراق.. عثمان ميرغني..عبدالباقي الظافر..إلخ.

حتى مؤيدي الحزب الحاكم في أكبر المنتديات الالكترونية اشتهروا بلغة الشتيمة والسب والقول الساقط، ليس لهم ما يقنع الآخرين بجدوى الانحياز لهم لأن فاقد الشئ لا يعطيه.

وخلاصة القول أن مسيرة الكذب التي استمرت عدين من الزمان نالت من السودان الشئ الكثير..

فكانت عاقبته..فشل كل السياسيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والتربوية والأمنية والعسكرية والدبلوماسية وأصبحت البلاد نهباً لكل فاسد وفاسق وانتشرت الأوبئة النفسية والاجتماعية بين الناس نتيجة للكذب.

٢٤ مايو ٢٠٠٩م

# رداً على د. محمد وقيع الله
# أحلام وقيع الله التي تحققت ..!!

صُدمت كما صُدم غيري من الصورة التي أعتبرها قبيحة تلك التي ظهر بها د. محمد وقيع الله والتي لا اعتبرها زلة قلم بل هي مكمن الداء للكثير من دعاة التبصر، الذين يرون أن علومهم النظرية التي تلقوها تجعلهم على بصيرة من أمور الحياة أكثر من غيرهم، ولو كان الاخرين قد اعتمدوا على التجربة بالبرهان والدليل العملي بعيدا عن التنظير.

كنت أضع في ذهني صورة جميلة للغاية عن د. محمد وقيع الله ولو أنني لم ألتق به إلا مرات قليلة وعلى عجالة أيام فترة التنظير للحركة الاسلامية في منتصف الثمانينيات وكنت أقرأ له كثيراً عندما يكتب عن الفكر الإسلامي،وتشدني مقالاته الرصينة، ولا زلت استمتع بها بين الفينة والأخرى أطالعها عبر موقع الجالية السودانية بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفي فترة من الفترات أيام الديمقراطية الثالثة كانت هناك أقوال تتداول داخل مجتمعات الحركة الإسلامية مفادها أن د. حسن الترابي سئل ذات مرة عن خليفته في قيادة الحركة، وتقول الرواية أن الترابي قال "محمد وقيع الله– التجاني عبد القادر– أمين حسن عمر"، وفي رواية أخرى قيل "أحمد عثمان مكي قائد ثورة شعبان عليه رحمة الله ومغفرته– محمد وقيع الله – المحبوب عبد السلام" وهنالك روايات أخرى، والشاهد في المسألة أن اسم محمد وقيع الله ورد في كل الروايات المتداولة الأمر الذي جعل له حظوة واحترام القاعدة له وتقديره، ونحن السودانيون جميعنا نحتفي بالعُلماء وأهل الذكر، ونطرب لمطالعة إنتاجهم الفكري والأدبي مثلما أطربتنا من قبل مقالات مالك بن نبي ومحمد عبده والإمام حسن البنا إلخ، وقبل عقود من الزمان كان هذا الإنتاج له قيمته الفكرية والحضارية ولعب دوراً كبيراً في فتح الآفاق نحو التزود بالعلم وبالمزيد من التفكر والتأمل في هذا الكون العجيب.

المهم كان محمد وقيع الله يمثل بالنسبة للشباب الإسلامي القدوة الحسنة والأمل المُرتجى، وشخصي الضعيف سعدت أيما سعادة لكون واحداً من نخبة الإسلاميين الشباب يتزود بالعلم من الجامعات الأمريكية والغربية بحيث يُصبح رصيداً للحركة الإسلامية مع باقي الكفاءات والكوادر التي تقود دولاب العمل الإسلامي، لكني لم أتوقع ألبته أن أفجع في محمد وقيع الله هذه الفجيعة،لكن..

ولكن هذه تقطع القلب .. وتهده هداً..!

وعندما جاءت مساجلة د. وقيع الله مع د. الأفندي سقط في مخيلتي ذلك (المثال) الجميل والذي كنت أحبه وأترقبه كلما أصدر نتاجاً،،، مقالاً كان أو محاضرة تتداولها المجتمعات بالرصد والإعجاب والمفاخرة.

ولكنه سقط تماماً مثل أصنام كفار قريش، كانوا يصنعون التماثيل من العجوة، وعندما يجوع أحدهم يأكله ويسد به رمقه، أو صنماً من الخشب عندما تضيق به الدنيا يكسره ويرفسه رفساً برجليه..!.

كنت أقرأ ردود د. محمد وقيع الله باندهاش شديد وما فيها من سّب وشتيمة وهمز ولمز لا تليق أبدا بالعُلماء ولا بالسنوات الطويلة والعجاف التي قارع فيها وقيع الله المكتبات وأمهات الكُتب والمراجع، وحقيقة لم يسقط في عيني بل في عيون الجميع الذين أتوقع أن يكونوا قد صُدموا أكثر مني، وعندما يكون السّب والشّتم وعدم المصداقية ديدن العالم (بكسر اللام) فما شان ضئيلي المعرفة من أمثالي، ليته وقف عند سب وشتم (الأَفندي) إذا به يُعدد خمسين انجازاً لحكم (الإنقاذ) ليس هذا فحسب بل طفق ينتقد مواقف الآخرين من القائمين على السلطة التي قال فيها من لم يقله مالك في الخمر..

ومبعث الألم هنا أنني يوماً ما كنت أظن و(أن بعض الظن اثم) أن الاسلاميين أكثر من غيرهم إعمالاً لأدب الحوار تنزيلاً لكل معاني الدين القيّم على أرض الخلافات، لكن للأسف بالدليل العملي سقطت لدي هذه النظرية وخاب ظني تماماً خاصة في مرحلة الخلافات فيما عرف بالرابع من رمضان، ثم جاء د. محمد وقيع الله ليؤكد أنه حتى قادة الشباب من المفكرين هم على الدرب سائرون ومُقتدون..!!

ويوماً ما تابعت بسعادة غامرة مساجلات تحلت بالأدب الرصين والأخلاق

الإسلامية الحقة في حوارات جمعت د.منصور خالد والأستاذ محمد ابوالقاسم حاج حمد عليه الرحمة والمغفرة، تعلمت منها الكثير من القيم والمبادئ، ثم تابعت مساجلات أخي العزيز المرحوم طه أبوقرجة مع د. خالد المبارك، وما اتسمت به من أخلاق رفيعة في أدب الحوار، ثم أصبحت أقرأ لـ د. الطيب زين العابدين و للأساتذة أبوبكر القاضي وكمال الجزولي والحاج وراق وعثمان ميرغني، وجدت واقعية وأدب حقيقي في التناول جاء به الإسلام، لكنني لم أتوقع أبداً أن تكون هنالك مساجلة لـ د.محمد وقيع الله بهذا المستوى من الإنحطاط بل الحقد والكراهية على كاتب عالم ومفكر بسبب أنه انتقد النظام نقداً موضوعياً، وبأدب اسلامي رصين، ولم يجنح إلى الشتيمة والهمز واللمز.

لا أحمل كراهية ضد الأخ محمد وقيع الله ولا أعتبر نفسي في هذا المحك مُنافساً له فهو رجل قد رزقه الله تعالى ويسّر له الدراسة وتلقي العلوم حتى نال درجة الدكتوراه وهنيئاً له بذلك، أما العبد الفقير لله لم أنل حظاً من العلم الأكاديمي كما أوتي وقيع الله، والآن أسابق الزمن مع أولادي لتلقي العلم، لكنني أفتخر بتجاربي في الحياة وخبرتي الطويلة في المجال الإعلامي التي بلغت قرابة الربع قرن من الزمان والحمد لله، وأعتبر نفسي استفدت من الحركة (الإسلامية) أكثر بكثير من أخي وقيع الله، لأن تجربتي هنا تجربة متكاملة نظرية وصُقلت بالجانب العملي في العمل بالنظام (الإنقاذ) الذي عصف بنا في كل أرجاء السودان شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وهذا فضل من الله لا يُقدّر بثمن، ونلت معرفة لم ينلها الأخ وقيع الله، فكل دراسته الأكاديمية المرتبطة بجوانب الفكر الإسلامي ما هي إلا تجارب نظرية فقط، مهما وصل صاحبها من علوم نظرية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصل للنتائج التي وصلنا إليها نحن الذين عشنا فترة التنظير والتطبيق، وشاهدنا بأم أعيننا مخازي ومآسي وكوارث التطبيق.

## السقوط المدوي

والدكتور محمد وقيع الله في موقفه من تقييم نظام (الإنقاذ الوطني) مثل ذلك الطالب الذي غاب عن الدراسة سنوات طويلة ثم رغب آخيراً في مواصلة دراسته لكن مع دفعته الدراسية، وأصر إصراراً شديداً على أن يمتحن معهم ففعل لكنه سقط سقوطاً مدوياً..!!

شخصياً أحسب أن الحركة (الإسلامية) في السودان مدرسة كبيرة نال كل منا نصيبه من المعرفة حسب استعداده الشخصي وميوله والبيئة التي عاش فيها، لكن أخينا محمد وقيع الله غاب عن هذه المدرسة سنوات طويلة وحضر معنا مرحلة من مراحل التنظير، وقبل مرحلة التطبيق بكثير غادر السودان ولم يعش معنا مراحل الابتلاءات ولا مراحل الفتن، وجاء مُؤخراً في مرحلة السقوط والانهيار لمبادئ الحركة، يُريد أن يغالط الحقائق والواقع والمنطق والشواهد التي لا ينكرها إلا عليل سقيم، وكان يكفيه فقط أن يذهب إلى تجمعات جرحي الحرب من ضحايا الألغام ليدرك حجم المآسي التي أصابت الشعب السوداني، وحجم ما وقعت فيه (الانقاذ) وكان يكفي محمد وقيع الله أن يذهب إلى منظمة الشهيد، ويفتح الملفات ليعرف الأعداد الحقيقية لضحايا الحرب في السودان من الكفاءات والخبرات ومن طلبة الجامعات في كل التخصصات ليدرك بوعي كامل حجم الدمار والخسارة التي أوقعتها (الانقاذ) في السودان..!!.

وعندما يُعدد الأخ وقيع الله انجازات (الإنقاذ) المادية فإنه لم يأت بجديد فلم ينكر أي من المعارضين للحُكم هذه (الانجازات) المادية التي أبعد ما تكون عن جوهر ما جاءت به الحركة بعد الانقلاب المشئوم في ١٩٨٩م، كما أنه ليس من المنطقي أن نحكُم على النظام بالانجازات التي ذكرها وقيع الله، حتى الانجازات هذه إذا تطرقنا إليها بالتفصيل سنُثبت الكثير من الأخطاء والعواقب المستقبلية التي تحيطها والقنابل الموقوتة في أكثر من مكان، لكن السودانيين يحاسبون النظام بالنهج الذي جاء به، وبالبرنامج الذي أعلنه من خلال حركته اليومية في الإعلام والعلاقات الدولية والدبلوماسية، كما لم يكن في حسابات الذين اجتمعوا في ذلك الشهر من العام ١٩٨٩م ليقرروا ما إذا كانت ساعة التغيير حانت أم لا أن يضعوا الانجازات المذكورة في حساباتهم، أبداً كان الهم الكبير يتلخص في (التمكين لدين الله في السودان)، وقد طالع القُراء مقالات محمد وقيع الله التي عدّد فيها انجازات النظام أنه هرب بشكل واضح وجلي من التطرق إلى نتائج الحكم في تردي الأخلاق وانتشار الدعارة بكل أنواعها والجريمة المنظمة، والزيادة الفلكية في أعداد المصابين بالإيدز (الآن يعقد في العاصمة الخرطوم مؤتمر دولي يبحث مشكلة انتشار المرض في السودان) وانتشار المخدرات بين طلبة الجامعات، والازدياد الخطير في معدلات الطلاق، والهجرة إلى الخارج، وهرب د. محمد وقيع الله هروب النعامة من الملفات

التي تتحدث عنها الصحافة السودانية في ذات الأيام التي كان صاحبنا يدبج في مقالاته مُعدداً إنجازات دولة بني أمية في السودان، هارباً من ملف (الأطفال مجهولي الوالدين) وموتهم بالعشرات يومياً ودفنهم بعيداً عن الأعين..!!.

**انجازات (الإنقاذ)**

تحدث د. وقيع الله عن انجازات النظام على محيط (التدين) والارتقاء بالإنسان السوداني، هذا هو المحك الحقيقي لكنني هنا لا بد أن أقدم مُختصراً للدروس العملية التي غاب عنها الأخ وقيع الله سنين عدداً، وشخصي صحفي وإعلامي وحركي غصت في أعمق مؤسسات الحركة الإعلامية والجهادية والتنظيمية، الأمر الذي يؤكد أن ما أقوله ليس أكاذيب ولا إملاءات من أحد انما أحداث عشتها لحظة بلحظة.

**التجاوزات الإنسانية وانتهاك التشريعات الإسلامية والدولية..!!**

كل السودان عاش سنوات الحديث عن تمسك الحكومة بالإسلام بل والدفاع عنه من كيد المتربصين، لكن من خلال معايشة في "مؤسسة الفداء للإنتاج الإعلامي" كمعد للبرنامج التلفزيوني الشهير بدأت تتكشف لّي من خلال الأشرطة الخام التي كانت تأتينا من مناطق القتال ما لا يمكن أن يتصوره عاقل، و تحديداً من أحدي الأشرطة الخام التي جاءتنا من منطقة شمال أعالي النيل متحرك (هدير الحق) عندما دخلوا منطقة شالي في النصف الثاني من التسعينات وهرب جنود الحركة الشعبية كان هناك طفل في الـ ١٤ أو ١٥ من عمره لم يتمكن من الهرب قاموا بقتله مع صيحات التكبير والتهليل وتم قتل كل الأسرى الذين كانوا داخل المعسكرات، وكان الشريط الخام يحتوي على مشاهد ليس لها أي علاقة بمن يدين بالإسلام ديناً، وعندما كنت أشاهد الشريط لفت بي الدنيا وكنت أحسب نفسي في كابوس لكنها كانت الحقيقة، علماً أن الأشرطة التي كانت تصلنا من مناطق القتال لا يشاهدها إلا مُعد الحلقة والُمخرج، ويمنع منعاً باتاً للآخرين مشاهدتها لما فيها من تجاوزات.

وفي الكثير من الأشرطة التي كانت موجودة في مكتبة المؤسسة كانت مشاهد دخول القوات الحكومية إلى بعض القرى في جنوب السودان منظراً لا يمكن أن يمحى من ذاكرتي أبداً، حيث يتم حرق البيوت المصنوعة من القش في مشاهد همجية وأحياناً يكون هناك بشر داخل هذه البيوت وتسمع صراخ العساكر وهم في حالة هستيريا

ويطلقون النار عشوائياً، لا يمكن أبداً أن يكون ذلك إسلاماً مهما كانت المبررات، وضرب بالقرآن الكريم والحديث النبوي الواضح عرض الحائط إذ يقول النبي الأمي صلى الله عليه وسلم:

"لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا إمرأة ولا شيخاً فانياً ولا مُنعزلاً بصومعته، ولا تحرقوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء"، لكنهم يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأتم التسليم فعلوا أكثر من ذلك بكثير...

المؤسسة نفسها (ساحات الفداء) تعج بالفساد المالي والإداري وكان يرأس مجلس إدارتها الوزير الحالي أسامة عبد الله محمد وزير الدولة بالري المسؤول الأول عن خزان مروي، ويديرها مدير مكتب المؤتمر الوطني بالقاهرة حالياً كمال حسن علي، وكان نفر من السُراق يلعبون بالمال لعباً باعتبار المؤسسة فوق الجميع، والكُل يخاف منها حتى رئاسة الجمهورية كانت تخشى سؤال القائمين على أمر المؤسسة خوفاً من ردة الفعل، حيث كان القائمين على المؤسسة يذكرون للبعض أن (ساحات الفداء تابعة لأمن الثورة) وكان البعض يقول (ساحات الفداء تابعة لإبراهيم شمس الدين) في حين أن المرحوم العقيد إبراهيم شمس الدين نفسه كان يتحفظ على ما يحدث في المؤسسة من تصرفات ومن ألاعيب.

ويوماً ما كان لدي عمل مع الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة اللواء آنذاك عبد الرحمن سرالختم باعتباره المسؤول عن التوجيه المعنوي وكان اللقاء بخصوص إنتاج حلقة خاصة بمناسبة عيد الجيش الذي يحتفل به سنوياً في ١٤ أغسطس، وبعد الانتهاء من الحديث والنقاش حول الحلقة، قام سرالختم بإغلاق باب مكتبه وقال ليّ ضاحكاً ( وهو الآن حي يُرزق) " ياخي بكل الصراحة أنا عاوز أعرف إنتو تابعين لمنو..؟؟" فضحكت ولم أرد، فكرر سؤاله مرة أخرى "إنتو تابعين لمنو ومن حقي أن أعرف إنتو تقوموا بشغلنا ونحن سعيدين بذلك لإمكانياتكم الضخمة وعملكم المُتقن، وانا ما عارف انتو مدنيين ولا عسكريين، لكن قول لي انتو مع سعادة إبراهيم شمس الدين..؟؟ ولا تابعين للتنظيم؟؟"، ومن هنا يدرك القاري كيف أن القائمين على المؤسسة كانوا يلعبون على ضبابية أيلولة المؤسسة، وهذه المسألة كانت تعود بالفائدة على هولاء من كل النواحي الاجتماعية والأدبية والمالية.

فعلاً كانت أسئلة عبدالرحمن سرالختم وجيهة للغاية وقد لا يتصور المرء المنصب الكبير للناطق الرسمي والمكانة الكبيرة التي يتميز بها ومدير المكتب برتبة عميد والموظفين العسكريين بالرتب العالية، ورتبة اللواء في الجيش السوداني ليس بالأمر الهين، كونه لا يعلم شيئاً عن جهاز إعلامي كبير يتقمص دور الإدارة التي يترأسها أليس هذا غريباً..؟!.

لم يكن للواء عبدالرحمن سر الختم الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة أي سلطان على مؤسسة تنفيذ استراتيجيات القوات المسلحة الاعلامية، وكانت مؤسسة الفداء للإنتاج الإعلامي مرتع للفساد المالي والإداري، والميزانية مفتوحة ويتم شراء الأجهزة من مدينة دبي بدون مناقصات، وقد أثرى مجموعة من ثلاثة أو أربعة أشخاص ثراءً كبيراً بسبب موجات الثراء العشوائية، وتم نشر كل ما يتعلق بالفضائح المالية، ولا حياة لمن تنادي، ذلك لأن الفساد انتشر في السواد الأعظم من دولاب الدولة، فيما مؤسسات الحركة (الإسلامية) بعيدة كل البعد عن الرقابة المالية، ليس هذا فحسب بل مؤسسة مثل (ساحات الفداء) يخاف منها الكثير من الناس، الأمر الذي جعل وزارة المالية تصرف للمؤسسة شهريا مبلغاً كبيراً بدون وجه حق، في حين أن الامكانيات التي تزخر بها المؤسسة يجعلها داعمة وليس متلقية للدعم، لا رقابة مالية ولا إدارية والمسئول الأول من المؤسسة أحد (رجالات) علي عثمان محمد طه ومرفوع عنه القلم..!!

**دولة العدل الرشيدة..!!**

وقد لا يصدق المرء أن القائمين على هذه المؤسسة هم أنفسم القائمين على أرواح أبناءنا في معسكرات الخدمة الالزامية، فمجموعة من رجال المستقبل طلاب على أبواب الجامعات ماتوا ضرباً مبرحاً داخل معسكرات الخدمة (الوطنية) الإلزامية، وعندما ذهبت إحدى أسر الضحايا إلى وزيرالعدل تشتكي القوات المسلحة بعد أن أكد تقرير الطبيب الشرعي د.عبد الله عقيل بمشرحة مستشفى الخرطوم أن الوفاة كانت لنتيجة ضرب في أماكن مختلفة ومنها الرأس قال لهم وزير العدل آنذاك (عل محمد عثمان ياسين)" أذهبوا أن القوات المسلحة مؤسسة سيادية لا أحد يستطيع محاكمتها".

اخي وقيع الله التقرير الطبي موجود ونسخة منه بطرف الكاتب اسحاق احمد فضل الله وانا من سلمها له، والشهود موجودون والدكتور الطبيب الشرعي عبد الله عقيل سوار موجود، ليس قضية واحدة بل قضايا كثيرة..!! هذه دولة الإنقاذ التي تدافع عنها وتطلب وُدها..!!

كلما أسرد هذه الواقعة أتذكر نفسي وأنا أنشد وأهتف باندفاع الشباب

لا أبـالي لا أبــالي انني شعبٌ رســالي

قد تربى بين قــرآن وساحات القتـــال

مسلم قالت جموعي لست بعثي لا شيوعي

عانقت أصلي فروعي رافضاً أي انفصــال

سوف نبني بالعقيدة دولة العدل الرشيدة

لا دويلات عديــدة شيدت فوق الرمـــال

قد عشقت البندقية هاتفاً عندي قضية

سحق حزب الماركسية انه حزب ضلالي

وقد بان أن كل ماكانت تخالفه الابيات أصبح واقعاً..!!.

السودان وقد أصبح دويلات عديدة- انفصل عن كل تجاربه السياسية السابقة وعن محيطه الإسلامي بهذه التجربة التي لا يمكن أبداً أن نجد لها وصفاً يمكن أن يليق بما فعلته في السودان- حزب الماركسية الشيوعي السوداني ما أظن أنه إذا استلم السُلطة يوماً أن يفعل في السودان ما فعلته (الانقاذ) وأهم شئ أنه سوف لا يتاجر بالدين ولا يرفع شعار الإسلام، وأن البندقية التي استخدمتها الحركة (الاسلامية) لم تجلب لنا إلا الدمار والقتل والإبادة الجماعية التي أصبحت وصمة عار في جبين الحُكم وهو يتحدث ويرفع شعار الإسلام، وقد بان واضحاً أن القضية هي الانتصار للنفس وقد سادت عقلية (التكويش) وقريباً ستظهر العقارات التي تم شراؤها في تركيا وفي ماليزيا، حتى زوجة الرئيس الجديدة أصبحت تنافس كبار التُجار

في العاصمة، وقد تم إعطاؤها مشروع صالات وقاعات كبيرة لعدد من الجامعات، وقامت بشراء منتجع كبير في إحدى دول النمور الآسيوية، وبعد أن كانت محبوسة بين جدران بيوت جهاز الأمن بالقرب من المطار أصبحت ست أعمال كبيرة تتحدث بالأرقام الكبيرة، فيما تم إعطاء أصغر أشقاء الرئيس رخصة لتصدير الماشية السودانية التي أصبحت حكراً على أشخاص بعينهم..

رحمك الله أخي عثمان حسن أحمد البشير (٣) وطبت في عليائك بُعداً عن أكل السُحت وقد كنت تقود الموتر (السوزوكي الأسود) وتجتهد في تعليم الناس قراءة (القرآن الكريم) وتحتفل وتسعد عندما تجد الجميع قد جلس على الأرض وبدأت التلاوة وزرفت الدموع الحرى محبة في الحبيب المصطفى.

**فساد المهندس..!!**

وثالثة الأثافي أن (المهندس) المدير العام لمجموعة شركات أحد البنوك السودانية المشهورة قد أفسد فساداً ليس له نظير في تاريخ السودان، وقد كُنا في الوسط الصحفي في فترة ( ١٩٩٤–١٩٩٨ ) نتبادل وثائق فضائحه المالية ونحن صحفيي الحركة (الإسلامية) نعرفه جيداً ونعرف الفاسدين معه وعندما أصبحت المسالة حديث كل مجالس الحركة الإسلامية قررت إحدى الجهات وضع حداً لفساد الرجل المهندس فتم تشكيل لجنة لتقصي الحقائق، وأعرف شخصياً رئيسها وقدم ملف الفساد بالأدلة إلى ديوان الثراء الحرام وأثناء البحث والتقصي ودراسة القضية جاء وفد من جهة عليا وطلب ملف المهندس الفاسد وعرّف أحدهم نفسه بأنه مرسل من (رئاسة الجمهورية) لاستلام ملف فساد الشخص المعني بل قام بتأنيب القائمين على أمر الديوان على فعلتهم ونيتهم في محاسبة الرجل.. وإلى هذه اللحظة لم يُقدم الرجل للمحاكمة أما مجموعة البنك فقد راحت في خبر كان، هذه قصة يعرفها كل قيادات وأعضاء الحركة الإسلامية وكل المنتمين للمؤتمرين الوطني والشعبي..!!.

**هذا قليل من كثير..!!**

هرب وقيع الله هروباً مخزياً عن ملفات الفساد المالي ووهنا أقتبس فقرة من مقال الاستاذ أسامة بابكر حسن في رده على وقيع الله "فطوال عمرنا هذا لم نسمع بأي مسؤول، صغيراً أو كبيراً في حكومة الإنقاذ وقف أمام محكمة في أي قضية، بينما

وقف الإمام العظيم أستاذ الإنسانية علي بن أبي طالب الذي منح هالرسول (ص) صفة " أقضى الناس" أمام قاضي دولته في خلاف مع يهودي على درع، والإمام يعلم كذب اليهودي في دعواه، لكنه وقف أمام القاضي لكي تنتظم ثقافة العدل المجتمع ليثبت في المجتمع حديث الرسول (( الناس سواسية))، ولكن حدث ذلك في أمريكا في عهد كلينتون الذي لا يحكم بالإسلام ووقف حاكم أكبر دولة في العصر الحديث أمام المحكمة وهو لم يضع قانوناً للحسبة شرط به أئمة المساجد آذان الناس تنظيراً".!!

## أطفال جيش الرب

بطبيعة الحال أن كل الذين شاركوا في الحرب اللعينة التي قتل فيها السوداني أخوه (السوداني) سواء في جنوب، أو في شرق أو غرب السودان، تمر عليهم الكثير من الذكريات المؤلمة، فأنا شخصيا أشعر بتأنيب ضمير شديد عندما كنت في جنوب السودان في ديسمبر من العام ١٩٩٥م فيما يعرف برد الهجوم الذي أطلقت عليه الحركة الشعبية (الأمطار الغزيرة) هذه العملية العسكرية الكبيرة والتي قتل فيها المئات بل آلاف السودانيين من الجانبين، تختلف عن كل العمليات العسكرية في جنوب السودان لما فيها من مفارقات وتجاوزات إنسانية، تجعل من الهدف الكبير للحرب ضد (المتمردين) علامات استفهام كبيرة متمثلة في الموقف اللا إنساني للحكومة السودانية إذ استعانت لفترات طويلة بجيش الرب اليوغندي الذي يتزعمه المتمرد اليوغندي جوزيف كوني (٤) وهذا الجيش للأسف استعان بمشاركته إلى جانبنا بحوالي الألف طفل من مجموع ٢٠٠٠ طفل كانوا موجودين تحت قيادة جيش الرب في المنطقة الاستوائية، والأطفال اليوغنديين التابعين لجيش الرب الذين كانوا معنا في ذلك اليوم تبلغ أعمارهم ما بين الثامنة والرابعة عشرة عاماً من الجنسين، وبالكاد تميز الذكر من الأنثى.

كانت لحظات محزنة وشعرت فيها بالألم النفسي لوجود هولاء الأطفال معنا في مكان واحد وكان منظرهم يُدمي القلوب وهو يحملون الآليات والأسلحة الثقيلة، ومهما يحاول المرء لا يمكن أبدا أن يصور هذه المناظر المرعبة، عشرات من الأنفس البريئة كانت تطوف حولنا في مساء يوم بارد استعدادا للهجوم على أكبر معسكرات (الحركة الشعبية) في الميل ٧٢ في طريق مدينة نمولي الحدودية مع يوغندا تحديداً

يوم الأربعاء الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٩٥م، أطفال في سن البراءة الواحد منهم يحمل فوق طاقته وما زنته ٤٠ كيلو جرام أو أكثر من العتاد العسكري الثقيل وصناديق الذخيرة، والذين حملوا مثل هذه الصناديق يعرفون كم هي قاسية الحمل في مسيرة قد تبلغ الساعات الطوال، وأحيانا اياما من السير في الطرق الوعرة، والرطوبة العالية حيث تتبلل الملابس تماما مما تُصيب المرء بالإعياء وفي الغالب التهاب الصدر و المفاصل الذي يعيق الحركة، وهذا ما حدث لي شخصيا، فكيف بالأطفال..؟!.

... يا إلهي.. انه أمر فظيع..

مهما أحاول لا يمكن أن أصور شكل الدموع الجافة على وجوه الصغار لا أجد لذلك سبيلا، ولم يكن هناك جنودا كبار السن فهم لا يتعدون العشرين من بين المئات من الجنود (الصغار) يساقون كالقطيع تماما يشهد الله على ذلك، وعلى بعد كل مائة (طفل) هناك جندي يوغندي يحث الأطفال بسرعة التحرك، و يضرب أحيانا الطفل في مؤخرته أو ظهره كي يستعجل ولا يبطئ، في أجواء غريبة على عالم الطفولة، صوت الدبابات والمجنزرات وهي تتحرك إلى مكان قريب من بداية المعركة، مع صوت أجهزة الاتصالات اللاسلكية،، لحظات من التوجس والترقب والأوامر العسكرية من القادة هنا وهناك بالعجلة، وطقطقة الأسلحة الشخصية كل هذه الضجة تجعل المحارب يعيش في لحظات غريبة، والمحارب أو المقاتل قاب قوسين أو أدنى من الموت،، لحظات صعبة حتى على كبار السن،، فكيف بالأطفال الصغار الذين استخدمتهم (الانقاذ) يا د. محمد وقيع الله..!!

تصور يا وقيع الله كم هي مكلفة تلك الحملة التي اقامتها حكومة (الانقاذ) عندما تم خطف أطفال دارفور من قبل منظمة فرنسية..؟؟ تتذكر كيف أن الحكومة السودانية جيشت الإعلام والرجرجة والدهماء وتباكت على الأطفال والطفولة البريئة، وكيف أن التلفزيون السوداني جند كل برامجه ضد المنظمة الفرنسية المسكينة لخطفها الأطفال..!!

### دارفور وأحداث تشاد

د. محمد وقيع الله لم يعش معنا المرحلة العملية في حياة الحركة الإسلامية التي نعتبرها الميدان الحقيقي للكفاءة والانقياد لأوامر الدين الحنيف، ومرحلة التنظير

كانت جميلة وزاهية ولكن ميدان العمل أظهر  أننا ضُعاف أمام حقائق الحياة، نعم هناك انجازات مادية ولكنها لا تساوي شيئاً ألبته مع الكوارث والمآسي التي جلبتها (الإنقاذ) للشعب السوداني ومهما حدث من انجازات  في نظره ونظر الآخرين لا يمكن أبداً رُؤيتها عندما ننظر إلى كارثة دارفور، أخي وقيع بكل الأمانة والصدق أن قادة (الانقاذ) هم الذين تسببوا في اندلاع شرارة مشكلة دارفور،كنت أعمل في صحيفة (دارفور الجديدة) ليس لي مصلحة في أن أكذب على النظام لكن الحقيقة الساطعة كالشمس أن الذين تذكر انجازاتهم عندما غرتهم الحياة الدنيا لم يتحملوا مطالبة الأهل في دارفور بحقوقهم، فقاموا بضربهم بالطائرات قاذفة اللهب وحرقوا بيوتهم، وأظنك طالعت أحاديث د.علي الحاج في صحيفة (الصحافة) في اللقاء الصحفي وكيف أن عنجهية أهلنا الشماليين وعنصريتهم هي التي كبدتنا جميعاً ملايين الضحايا في الجنوب والغرب ومكنت من دخول القوات الدولية بلادنا..!!.

ومن إنجازات (الانقاذ) التي تحدث عنها وقيع الله هي أن الشرخ بل الجرح الكبير الذي حدث في السودان بسبب مشكلة دارفور لا يمكن ألبته علاجه بالساهل ويحتاج لعقود من الزمان بعد حل المشكلة (إذا تم حلها)، ولدي الكثير من الاخوة الاعزاء من أبناء دارفور الذين راحت أسرهم ضحايا لمجازر القوات المسلحة السودانية في قراهم، أحد الاخوة قد وصل من بعد معاناة ومطاردة من أجهزة الأمن السودانية الى تشاد ثم الى الكاميرون ثم الى فرنسا فالسويد واتصل بي هنا بتوقيت مكة المكرمة الساعة الثانية صباحاً حكى لي كيف ان طائرات الجيش غارت على منطقتهم في غرب الجنينة وكان سارحاً مع الماشية وعندما رأي الطائرة في الجو تدق الارض بقذائفها جرى مسرعاً إلى منطقته ثم الى بيت فرأى والدته وشقيقاته على الأرض والدماء قد أغرقت المكان، وكان يحكي لي ويبكي بأعلي صوته ويسألني " أبواحمد انت عشت معنا هل نحن انفصاليون..؟؟" و"هل نحن أشرار يرسل أخواننا في الخرطوم الطائرات لتقتلنا..؟؟" كانت لحظات صعبة للغاية ولم أنم ليلتها ولم أهنأ بالنوم منذ تلك المكالمة قبل أكثر من ٣ سنوات.

الآن في الوقت الراهن كل العالم أصبح يدرك بوعي تام أن الحكومة السودانية لا تريد حسم قضية دارفور، وقد كشفت التقارير الإخبارية أن أيادي حكومة (الانقاذ) في أحداث شاد كانت واضحة جداً جداً وقد راح ضحية لذلك عشرات الأنفس البريئة،

وعندما حاولت بعض الصحف نشر جزء بسيط جداً من معلومات خاصة بتدخل أيادي حكومية في أحداث تشاد تم اعتقال رُؤساء تحرير تلك الصحف، وأفرج عنهم بعد ضغوط شديدة من الحركة الصحفية في بلادنا وقد أصبحوا هم خط الدفاع الأول عن السودان وليس الحكومة التي تدافع عن انجازاتها.

### محاولة اغتيال مبارك في أثيوبيا ١٩٩٥م

من أكثر الفترات العصيبة التي مر بها السودان كونه يتهم لأول مرة في تاريخه الطويل بمحاولة اغتيال رئيس دولة مجاورة هو محمد حسني مبارك في أثيوبيا، وأتذكر أن الرئيس البشير ود.حسن الترابي كان قد أقسما بالله قسماً غليظاً بأن السودان برئ من محاولة اغتيال الرئيس مبارك لكن المخابرات المصرية قد قامت بخديعة مخابراتية تم الكشف بعدها عن الذين قاموا بالمحاولة من أكبرهم الى أصغرهم، وتم تصفية عدد من (الصغار) وفي وضح النهار.!!.

أحلامنا التي .....

لا يستحي د. محمد وقيع الله عندما يقول أن "أحلامنا تحققت" ... يا الله.. يا الله.... كم هذا الكلام مُقزز ومُبكي.. ويمضي ويقول:

"لكن الحركة الإسلامية ماضية تحقق إنجازاتها غير مبالية بهم كثيرا أو قليلا"..

قد يكون قد تحققت لـ د.محمد وقيع الله كل أمنياته، لكن أعضاء الحركة (الإسلامية) المنتشرين في كل بقاع العالم يؤكدون عكس ذلك تماماً فالانجازات لا تتعدى البترول الذي لم ينتفع به الشعب السوداني ولا من المؤمل ان ينتفع به في القريب غير عوض الجاز (٥) وزمرته، الخدمة المدنية وقد دُمرت تماماً فحتى درجة وكيل الوزارة أصبحت وظيفة سياسية بالتعيين السياسي وقد كانت هي المرجعية المهنية والقانونية في كل وزارة، وكان وكيل الوزارة دائما هو القبلة التي يتجه اليها الجميع في كل شئ، هو الأب والأخ والصديق والزميل وهو المسؤول الأول والأب الروحي للجميع بدون فرز، أما وأن (الانقاذ) قد أحالت هذه الخاصية إلى الصالح العام، وأصبحت الوزارات تدار بالكذب والنفاق والتملق، والخدمة المدنية ليس بالشي الهين الذي نتقاضى الحديث عنه، فهي العمود الفقري للتطور البشري

على مر العصور.

وعن مشاريع التنمية حدث ولا حرج وقد بيعت كل المشاريع التي كانت تُوفر الغذاء للمواطنين (الرهد الزراعي- النيل الازرق- النيل الابيض - السوكي - الشمالية-إلخ).

التجارة أصبحت فقط للموالين للنظام وكذلك التصدير والاستيراد لقادة النظام وأعضاء المؤتمر الوطني من العضوية النشطة سياسياً واقتصادياً، منظمات النفع العام جميعها للموالين، أما التي يقودها غير موالين للحكم توضع العقبات في طريقها حتى يتعذر عليها الاستمرار في العمل.

الصناعات كذلك غالبيتها لأعضاء النظام خاصة القطاعات المؤثرة وهولاء تُوفر لهم التمويلات المصرفية وتزال من أمامهم كل المعوقات.

التعليم والتعليم العالي.. لا يحتاج مني لحديث فالكل يعلم والأمر جلي للعامة وباعتراف الكثير من المسؤولين في النظام.

الدبلوماسية أيضاً كتاب فاضح مفتوح الكل قرأه وقد تحولت السفارات جميعها الى مراكز مخابرات في الخارج والعمل القنصلي ما هو إلا ديكور، والعقلاء من السودانيين في الخارج يعرفون حتى رتب الدبوماسيين الأمنية وتخصصاتهم الأمنية، والآن قد عرف السودانيين من خلال ما ينشر في الاعلام أن ضباط الأمن هم الذين يتولون المناصب المهمة في سفارات السودان في الخارج.

ومن هنا لا أرى أي انجازات غير استخراج البترول وتصديره، دون أن يرفع من المستوى المعيشي للمواطنين.

لكن حلمنا في الدولة الاسلامية قد تحول إلى كابوس، بل أصبحت دولة مافيا اقتصادية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

هذا الحديث يذكرني أحد الاخوة من الصادقين عندما كنا في انتخابات الإعادة في دائرة أمبدة ١٩٨٨م بعد وفاة نائبها المرحوم صلاح الصديق المهدي كنا في مدينة امدرمان مستنفرين للعمل في هذا الدائرة التي تنافس فيها الشيخ صادق الكاروري من الجبهة مع أحد قادة حزب الأمة، وعندما كانت تأتي بنا الحافلة في

منتصف الليل او الساعات الأولى من الصباح كان يحدثني أخي ويقول الظاهر قصة الدولة الاسلامية بعيدة جدا" ورحنا نتذكر الصحابة الأجلاء ثم شهداء الحركة أمثال عبدالإله خوجلي و حسن سليمان و عبدالله ميرغني والامام الهادي المهدي (تقبلهم الله في الخالدين)، فبكى أخي بكاءً كثيراً، وحقيقة أن أشواقنا للدولة الإسلامية الحقة لا يمكن أن يصفها إنسان، فهي دولة العدل.. ودولة الدين.. دولة الرحمة.. دولة الصدق.. ودولة التسامح الديني، دولة نعيش فيها كلنا مسلمين ومسيحيين ويهودا ووثنيين في مكان واحد، نعم نختلف في عقائدنا لكن نحتمي ببعضنا البعض ونهرب من بعضنا لبعضنا البعض لا تفرق بيننا المناطق ولا الجهويات ولا القبليات ولا الكسب الدنيوي.

ترى كم من الآلاف من كادر الحركة الذين خرجوا من النظام مبكراً عندما تأكد لهم أن النظام يسير نحو عكس ما كانوا يعملوا من أجله السنين الطوال..؟؟؟ ترى كم من الشباب الذين غادروا محطة (الإنقاذ) وهربوا بدينهم من جحيم زيد وعبيد، ترى كم من الآلاف الذين قدمتهم الحركة في جنوب السودان ، مسيرة طويلة من الصديقين والشهداء الذين عافت أنفسهم نعيم الدنيا من شهداء ١٩٧٣م إلى عبيد ختم البدوي وأحمد عثمان مكي ومحمد عثمان محجوب مروراً بالهيثم عبدالهادي الحسن ويوسف سيد والبادرابي والمنصوري وعلي عبدالفتاح، وعبدالله جابر وعبدالله بابكر، وحسين سرالختم وشقيقه خالد، والكثير من الذين لا يعرفهم د.محمد وقيع الله باعوا حياتهم رخيصة من أجل دولة العدل الرشيدة.

ومن هنا أسأل الله للدكتور محمد وقيع الله أن تكون هذه شهادته لـ (الانقاذ) فيُبعث بها يوم القيامة يوم تصطف الخلائق جميعها أمام رب العزة والجلالة كُل بمظلمته وذنوبه، حينها يكون الكثير من الناس في موقف لا يحسدون عليه، فشهادة للنظام الذي قتل الأبرياء في الجنوب وفي دارفور والشرق وداخل المعتقلات وداخل معسكرات الخدمة الإلزامية لا يمكن بأي حال من الأحوال إلا أن يكون من أهل الجحيم لأن ما قاموا به من مجازر حقيقةً، وليس إدعاء كاذب، كل الشواهد والأدلة ستقف أمام رب العالمين في يوم يخسر فيه الظالمين ومن أيدهم وساندهم.

فإذا كنت قد دافعت عن النظام كل هذا الدفاع (بالصح والكضب) فمن الذي يدافع عنهم يوم العرض..يوم الدين.. يوم الحساب، وإذا كان للنظام أقلامه وكُتابه

وقنواته الفضائية تمجد كل أعماله وتصدق أكاذيبه فتذكر أخي د. محمد وقيع الله قول الله عز وجل:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء [ابراهيم:٤٢،٤٣]..

وقوله سبحانه: أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى [القيامة:٣٦].

وقوله تعالى: سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [القلم:٤٤،٤٥]. وقوله : إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود:١٠٢].

وفي يقيني التام أن الظالم مهما مكث في كرسي الحكم يوما ماً سيطاله الحساب في الدنيا والاخرة والتجارب علمتنا ذلك من الديكتاتورصدام حسين الذي أصبح يمثل أكبر النماذج القريبة جداً لعالمنا ولواقعنا، وأمامنا قوله تعالى: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ الشعراء:٢٢٧

هذه بعض من صفحات من تاريخ النظام المخزي كُتبت بصدق وبأمانة ويكفي أن كاتبها خارج السودان يعاني البعد عن الأهل وعن الأسرة، ويُعرف لدى الجميع في البحرين أنه أبعد الناس عن ممثلية النظام وحتى عن مقر الجالية، سبع سنوات خارج الوطن..

أتمنى من الاخ د. محمد وقيع الله أن يطالع هذه السيرة وأن يسأل عن كاتبها وعن صحة ما كتبه

وإذا ادعت الامور لكي أزيد فيما كتبت فسوف آتي لا محالة..

## د. مصطفى عثمان اسماعيل
## عندما ينكي جروح حرب الجنوب

التصريحات التي يدلي بها قادة الحزب الحاكم في السودان بين ألفينة والآخرى أصبحت مثار حديث الناس على إمتداد تواجد السودانيين المنتشرين على البسيطة، وبالنسبة للذين عملوا في مؤسسات النظام لم يستغربوا هذه التصريحات غير أنني استغرب كثيراً دهشة الناس حول تصريحات د. مصطفى اسماعيل في دعوته للاستعداد للحرب، ومكمن (الاستغراب) أن الرجل له تصريحات سابقة سّب وشتم فيها الشعب السوداني، وعندما نفى تصريحاته تلك أخرجت له صحيفة (الشرق الأوسط) التسجيل الصوتي ونشرته على موقعها الالكتروني، فبهت الذي كذب وأفترى الكذب، فسكت عن التصريحات حتى جاء تصريحه الأخير الذي كشف عن جهله بمدلول (الحرب) و(الاستعداد) لها وخسائر الحرب المالية والبشرية والمعنوية والنفسية..!!.

وللأسف نحن في السودان أمّعنا السكوت والخوف من بطش زبانية النظام فصمتنا صمت القبور، لأن الجماعة قد تفننوا في تخويف الناس وإرهابهم بالسجون والمعتقلات، وإغتصاب المعتقلين والتنكيل بهم، لذا لم تخرج لعامة الناس أسرار (حرب الجنوب) والتي أعتقد جازماً أنها إذا خرجت لم يتجرأ أحد من المسؤولين بالحديث عن (الحرب)، لأن ما تم دفعه فيها غال وثمين، والحرب التي استمرت قرابة العشر سنوات حدثت فيها إبادات جماعية راح ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء الشعب السوداني من كل مناطق الشمال والغرب والشرق والوسط، وأمثال د. مصطفى اسماعيل لم يعرفوا شيئاً عمّا حدث فيها من مآسي ومفارقات..والكثير من الناس لا يعرفون ذلك ألبتة، فحق على الناس أن تعرفوا ان الحرب ليس نزهة في مركز عفراء للتسوق ولا رحلة صيد الغزلان في الدندر..!!.
قبل فترة ذكر أحد المسؤولين أن الحكومة قدمت أكثر من ٤٠ ألف شهيد في الجنوب ولو أنني أشك في صحة الرقم إلا أنا إذا تجاوزنا ذلك، وفكرنا وقدرنا سنجد أن الذين فقدوا أطرافهم، أصبحت لديهم إعاقات وعاهات مستديمة يساوي ٤٠٠ ألف جريح إذا إفترضنا مقابل كل فقيد ١٠ جرحي، بجروح متفاوتة فإن النائج بينهم نسبة لا يستهان بها من الذين فقدوا أطرافهم، لكننا لسنا

بحاجة لهذه الحسبة لنؤكد أن (الحرب في الجنوب) خلفت من قتلى وجرحى إضافة للذين أصيبوا بأمراض نفسية وجنونٍ جراء الأجواء العصيبة التي كانت تمر بهم وهؤلاء في الغالب لم يتدربوا عملياً على حمل الأسلحة واستخدامها. وهناك الكثير والمثير من المعلومات الخاصة بالحرب في الجنوب التي تؤكد أن الإقتتال بين أبناء الوطن الواحد يزرع الفتنة والشقاق بل والحقد الأسود والكراهية العمياء،ويعمق في النفوس كراهية الآخر، فكان غريباً للغاية أن غالبية الطائرات العسكرية التي سقطت إبان المواجهة بين الطرفين بفعل فاعل، لكنه ليس من الجنوبيين بل من داخل المنتسبين للقوات المسلحة كان ينفذ توجيهات الحزب المُتحالف مع الحركة الشعبية، كما لم يكن غريباًً أن يكون من ضمن ضباط الجيش من يعمل لصالح الطرف الآخر، ويتم التعرف عليه وينفذ فيه حكم القتل فوراً، الحرب خلقت أجيالاً في الجنوب يمقتُون كل ما هو شمالي وخاصة أولئك الذين شاهدوا بأم أعينهم ممارسات الجيش عند دخوله مُدنهم ومناطقهم، وما يمارسه من قتل ومن حرق للبيوت..هؤلاء اليوم هم مؤيدي الإنفصال تختزن دواخلهم الأنّات والآهات المُؤلمة لا يرتاحون منها إلا عندما يأتي ذلك اليوم الذي يعلن فيه الفكاك من المغتصب..!!.
ولا يعلم مستشار الرئيس وغالبية الشعب السوداني أن هناك الكثير من الذين ماتوا في المستشفيات أيام الحرب نتيجة للإهمال، وبسبب غياب الأهل والصحبة فالمسألة كانت تحتاج مطاردة الأطباء والممرضين للاهتمام بهم وحدث ذلك بمستشفى السلاح الطبي بأمدرمان وكنت شخصياً شاهداً على ذلك، وقد شهد المستشفى ربكة غير مسبوقة في تاريخه نتيجة للزيادة المضطردة في أعداد الجرحى الذين إمتلات بهم كل مستشفيات السودان العسكرية والمدنية حتى بورتسودان والأبيض، بل المستشفيات الخاصة مثل مستشفى النيل الأزرق بأمدرمان ومستوصف الملازمين، وكانت منسقية الدفاع الشعبي قد استأجرت المستشفيات والمستوصفات لعلاج الجرحى وتم إخلاء كل المستشفيات المدنية على مستوى البلاد لإستضافة جرحي العمليات العسكرية في نهاية العام ١٩٩٥ وبدايات العام ١٩٩٦م وفي إحدى المرات تظاهر جرحي العمليات حيث خرجوا من السلاح الطبي حتى وصلوا إلى مقدمة كبري امدرمان للإحتجاج على سواء الخدمات المقدمة لهم، وخرجوا للشارع بأطرافهم المبتورة وهم يحملون العصي، وكادت أن تحدث كارثة لولا لطف الله سبحانه وتعالى. وأتذكر أننا في فترة من الفترات كنا مجموعات من المقاتلين نتذكر كيف ان القوة

الفلانية دخلت حقل ألغام فأبيدت فأبيدت عن بكرة أبيها، كان يتجاوز عددها الألف شخص محملين بالعتاد والمؤن، وكيف أن معركة من المعارك خسرنا فيها كل القوة، فمن نجا من القتل تم أسره، كانت كل الجبهات في جنوب السودان مفتوحة على مصراعيها في شرق وغرب الإستوائية وفي بحر الغزال بمناطقها المختلفة، ومناطق النيل الأزرق وفي الحدود مع يوغندا، وفي الحدود مع أثيوبيا، وفي جبال النوبة وبالغرب من بحر العرب، والذين كانوا يعلمون في هذا المجال كانوا يرون الطائرات العسكرية تقلع من القاعدة الجوية بمطار الخرطوم من بعد الرابعة صباح كل يوم ولا تتوقف الرحلات ذهاباً وإياباً إلا بعد الساعة الخامسة مساء، ومن الأشياء المهمة التي تحزن وينفطر لها القلب أن أعداداً كبيرة من الذين قتلوا في الجنوب جاءوا من أقاليم السودان المختلفة لم يسأل عنهم أحد، والكثير منهم لا يدري ذويهم أنهم ذهبوا للقتال في الجنوب. إن جروح حرب الجنوب لا زالت تُدمي القلوب..

ود. مصطفى عثمان اسماعيل من دون قادة النظام بعيد كل البعد عن ميادين الحرب، وما يتعلق بالأمور العسكرية و يعيش في أجواء رطبة منذ دخوله الحركة (الاسلامية) وحتى اليوم تماماً مثل علي عثمان محمد طه، لم يتدربا يوماً عسكرياً ولم يشاهدا معسكرات تدريبية لا في السودان ولا في اثيوبيا ولا ليبيا أيام الجبهة الوطنية ضد نظام مايو، ولم يدخلا سجناً يوماً ولا معتقلات،، وطيلة عهد (الإنقاذ) هما في الظل والأضواء الساطعة والتسفار المتواصل وتنقل الكاميرات ضحكاتهما المجلجلة، وقد أمتلكا البيوت الوثيرة والفاخرة التي لم يحلموا بها يوماً في حياتهم..!!. لذا من الطبيعي ان يدعو د. مصطفى عثمان اسماعيل للحرب ويحمس الصحافة والاقلام الحكومية على الترويج للكارثة فالذي يده في النار ليس كمن يده في الماء، وكما يقول أهلنا "جلداً ما جلدك جر فيه الشوك"، مستشار الرئيس لا يهمه أمر الناس بقدر ما يهمه موقعه في هذا الملك العضوض.

وإذا تجاوزنا خسائر الحرب التي جرت في الفترة الماضية بين الشمال والجنوب ولا زال ضحاياها ماثلون بيننا ومكابداتهم وآهاتهم، نقول أن هؤلاء..فضلاً عن جهلهم المُركب بنتائج الحرب المعروفة مسبقاً يريدون أن يقولوا للآخرين بأن الدين الاسلامي هو منطلقنا في خوض هذه الحرب وهذا كذب وإفتراء فاضح تكذبه كل المعطيات الراهنة لأن التعنّت في الوصول لنتائج تقود البلاد للأمن

والاستقرار ليس لها أي علاقة بالدين الاسلامي او المسيحي فإن رسالة الأديان رسالة سامية وعظيمة تتجلى في حفظ أشاعة السلام والمودة بين الناس، كما أن مقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء تتمثل في (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ليس الإعتداء على الآخرين لكن رغبتنا في التكويش تقف عائق دون ذلك.

وفي كتابها (الحرب المقدسة.. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم) تقول المؤلفة كارين أرمسترونغ "أن الحرب الصليبية امتزجت بها الدوافع الشخصية والمغامرة والمُثل المسيحية فكانت هذه الحملات، كما أوصلت تداعياتها وتطوراتها حالة من المساواة الجديدة المفروضة بين الفقراء والعاديين من الأوروبيين وبين الفرسان والنبلاء الذين جعلتهم المحنة والغربة والحاجة متساوين تماما، مما أعطى الفقراء فرصة بالشعور أنهم من الصفوة، وكانت غنائم بعضهم من الوفرة التي تجعلهم في مصاف النبلاء وتحررهم من شعور طويل متراكم بالمذلة والعبودية، وتعززت فكرة الصليبيين الفقراء الباحثين عن العدالة والمساواة".

وتذكر أن الصليبيين عندما وصلوا إلى القدس ودخلوها قتلوا كل من وجدوه في طريقهم من رجال ونساء وأطفال كما لو كانوا يستعيدون المشهد التوراتي الذي صور دخول يوشع بن نون للمدن والمناطق نفسها قبل ألفي عام، وفي ذات الاطار ذكر ريمون داغويليه الذي كان يرافق الحملة "أن رؤوس الناس كانت تقطع ويلقى بجثثهم في الشوارع، وحرق الكثير وعذبوا وألقي بهم من أبراج المدينة، وأما هيكل سليمان حيث تقام خدمة الرب فربما كان المشهد – كما يروي داغويليه– جذلًا لا يصدق، فقد غاص الرجال حتى الركب وأعنة الخيل في الدماء، وقتل في يومين زهاء ٤٠ ألفا من أهل المدينة".

وفي المقابل أن صلاح الدين الأيوبي عندما خلف نور الدين زنكي مدشناً حرباً شاملة على الصليبيين، وأصبح الوجود الصليبي في الشرق ضعيفاً وهامشياً، فقد أوقع صلاح الدين جيوش الصليبيين في فخ بالغ الإحكام والذكاء وأباده تقريبا عن بكرة أبيها، وسقطت القُدس تلقائيا بعد معركة حطين عام ١١٨٦ بيد صلاح الدين الأيوبي، وجرت بعد ذلك عمليات واسعة لإطلاق سراح بقايا الصليبيين من الأسرى وجمع شملهم بعائلاتهم، ونقلهم إلى بلادهم أو بقايا مدنهم على البحر المتوسط مثل عكا وصور.

وتقول المُؤلفة "إنه لم يقتل مسيحي واحد من المدنيين بعد معركة حطين، ومازال صلاح الدين موضع تقدير العالم المسيحي، ونسجت حوله الأساطير الضخمة إلى حد اعتباره أحد القديسين المسيحيين"..!!.

فدكتور مصطفى اسماعيل وعلي كرتي وغيرهم من منظري النظام يحتاجون لقراءة التاريخ، وقبل هذا وذاك هم مُطالبون بمعرفة الدين الذي يزعمون انهم ينطلقون من موجهاته في حكمهم للبلاد والعباد.

السابع من اكتوبر ٢٠١٠م

# الحزب الحاكم في رأسه ريشة..!!

التصريحات التي يطلقها أرباب النظام في السودان تستفز المشاعر وتدخل في النفس المزيد من الحنق، و كان اكثرها استفزازًا ووشعوراً بالمرارة ما ذُكر من قبل قيادات حزب المؤتمر (الوطني) الحاكم منتصف نهارالثلاثاء ١٤/أبريل نيسان ٢٠٠٤م في ختام انعقاد مجلس شورى الذي خاطبه رئيس الجمهورية عمر حسن أحمد البشير.

هذا اللقاء الذي قامت بتغطيته صحيفة (الأنباء) الحكومية اليومية وقام الزميل الصحافي (يسن عثمان) برصد لأهم ما قيل فيه بدقة متناهية أكدتها التغطية التلفزيونية التي بثت في ذات اليوم، ولم تكن تخوفات وتوجسات المؤتمرون من السلام القادم بمستغرب لها، و التي عبر عنها البروفيسور الزبير بشير طه بقوله "التحديات التي تواجه المؤتمر الوطني خلال المرحلة القادمة مرحلة ما بعد السلام وافرازاتها على أرض الواقع"، وما عبر عنها مجذوب الخليفة "آثار اتفاقية السلام على سياسة الجهاز التنفيذي ومستحقات السلام"، وما عبر عنه محمود ابودقن من ولاية النيل الابيض "لا نخشى المرحلة القادمة".

وكانت الدهشة هي سيدة الموقف عندما قال البروفيسور "أن السلام لا يعني نهاية (المؤامرة) الدولية على السودان، وكنت أحسب انها سقطة (خبرية) من الزميل الصحفي في تغطيته للخبر، ولكن تأكدت تماماً من صحة ما نقله الزميل يسن عثمان عندما تابعت البث التلفزيوني للجلسة.

**السلام (مؤامرة) على السودان..!!.**

لما كنت متيقن أن الذين يديرون دفة الدولة في السودان الآن لا يريدون السلام الحقيقي الذي يمُكن من المشاركة وبالتالي انخفاض معدلات الغبن لدي الاخرين الذي يرون تلاعب (الاسلاميين)..(الانقاذيين) بمقدرات الشعب السوداني، ويمُكن بالتالي من توسيع المشاركة الوطنية لكافة الأطياف وهذا لا تريده (الجماعة) الحاكمة لانها ببساطة لا تتحمل مشاركة الآخرين وتعتبرها بمثابة (حرب) عليها، والذي يعني

أيضاً القبض بيد من حديد على ما تحقق لها من مكاسب مادية، المهم أن الرجل (البروفسيور) قال مُؤكداً ما بداخل أعضاء الحزب أن السلام هو مؤامرة..!!.

لم يكن كل الذي حدث في دارفور من أبادة عرقية وتصفيات جسدية هو كذلك .. فاذا كانت هذه هي (الحقيقة) التي يراها سعادة (البرفيسور) الزبير بشير طه فما بال البقية من الدرجات والشرائح الاخرى..!!

وبدون أدنى شك أن قضية (الحقيقة) دوماً كانت هي مشكلة (الاسلاميين ) في السودان ليس مع السودانيين فحسب بل مع المجتمع المحيط بالسودان، ومع المجتمع الدولي منذ الثلاثين من يونيوحزيران ١٩٨٩م وكانت (الانقاذ) ولا زالت تتدعي أنها تمتلك الحقيقة المطلقة، ولذا كان رفض الآخر من خلال هذا الفهم والذي لا يتسق قولاً أو فعلاً مع القول أو الفعل الذي تعتنقه، هذا ليس فيه مجال إلا لراي واحد، وفعل واحد، وقول واحد ضمن مقياس واحد، وكان من المنطقي أن ترى أي شي، أو فعل يحدث خارج نطاق الجماعة (الحزب الحاكم) إنما مؤامرة كبرى هدفها القضاء على النظام.

من هذا وذاك يرى غالبية أهل ومؤيدي (الحزب الحاكم ) أن السلام في البلاد هو مؤامرة كُبرى ولعمري هذه أهم سمات (التطرف) بل والجهل بحقائق الأمور، الشئ الذي أوقع الحكومة في حالة التناقض العنيف مع كل ما هو رشيد لأن العقلانية والرُشد سيتوجبان علاقة وطيدة مع حركة وأمنيات الواقع السوداني المعاش، والذي يحلم بالسلام العادل، والخلاص من قبضة الحكم الذي أمال بالبلاد إلى العُنف والتطرف في تحقيق الأهداف وفرضها وامتلاك السلطة بقبضة من حديد حتي أصبح العُنف جزءاً لا يتجزء من بنية النظام الحاكم خطاباً وسلوكاً، ولا يغالطنا في ذلك أحد فالسنوات الماضية من الحكم الإسلاموي في السودان فيها الكثير من الحقائق التي تؤكد ما ذهبنا إليه من تتطرف، ومحاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك في صيف ١٩٩٥م في أثيوبيا هي أكبر دليل على ذلك.

**استخدام القوة في غير مكانها..!!.**

الذين خاضوا تجربة العمل في نظام (الانقاذ الوطني) أدركوا بقين تام أن الخطاب المتطرف أخفق إخفاقاً مُدمراً للحياة في السودان، عندما تمكنوا من السلطة وحكم

البلاد نتيجة للظروف التي كانت محيطة ببلادنا إستطاعت الحركة (الاسلامية) من خلال تجيشها المواطنين أن تتجه بالمجتمع إلى حيث التطرف الذي أدى إلى ما وصلت إليه بلادنا حال يعصب على المرء التعبير عنه مما أوتي من بلاغة في اللغة، كان السبب الأول والآخير هو استخدام القوة في غير مكانها، وهو النظام الذي توقع منه البسطاء من أبناء بلادي أن يكون رحيماً بالناس، وهو يرفع الإسلام شعاراً للحكم.

وعندما نتناول التطرف في نظام الانقاذ فان الكثير من الناس لا يدرون أن للتطرف الانقاذي أكثر من وجه ممعن في الغباء والسذاجة عندما ينكر النظام تهمة التطهير العرقي والإبادة الجماعية في الوقت الذي وثقت فيه الكاميرات الفضائية مشاهد ضرب وحرق المدن الخالية من المسلحين، ونقلت الصحف الغربية والأوربية والمواقع الإلكترونية صور الأطفال الأبرياء الذين نالت منهم طائرات الأباتشي والانتنوف.

وفي مشهد أقرب إلى الجهل المتسربل بالمغالاة في ايراد الحقيقة تستنكف الحكومة على أبناء دارفور في سلاح الطيران رفضهم ضرب أوطانهم التي شهدت طفولتهم ومسقط رأسهم، الأرض التي تربوا عليها وإنتسبوا باسمها، وتعتقلهم وتكذب على العالم قاطبة بأن الضباط الذين رفضوا تنفيذ أوامر الضرب على الأهداف التي تريد الحكومة تدميرها قد شّكلوا مجموعة للتخريب وتارة مجموعة انقلابية..!!.

كاتب هذا المقال قبل خروجه من السودان وعندما كان معدًا لبرنامج (في ساحات الفداء) التلفزيوني المعروف في العام ١٩٩٧م وفي اللحظة التي اكتشف فيها فسادًا ماليًا كبيرًا جلس مع المدير العام للمؤسسة كمال حسن علي (مسئول طلاب الحزب الحاكم حاليًا) وبين له هذا الفساد طالبًا منه التحقيق فيه، فما كان منه إلا أن رفض وإستنكر بقوة هذا الاتهام، فكتب مقالة كبيرة عن فساد (ساحات الفداء) في صحيفة (ألوان) وبينت فيه بالارقام حجم التلاعب والاختلاسات، ويشهد الله أني لم أكن اتوقع ألبته أن أنام في بيتي دون التحقيق معي ومع آخرين، ولكن للأسف مرت الحادثة مُرور الكرام.

بعد أكثر من شهرين عاودت الكتابة مرة أخرى عن فساد مؤسسة (الشهداء) و(المجاهدين) والتي هي عند كثير من العاملين في هذا الحقل مكان (مقدس) وقد

انتقد أحد كبار المجاهدين القدامى كتابتي في الفساد المالي والاداري للمؤسسة، دون أن يكون له موقف صارم تجاهها، وهو الذي صال وجال في ميدان المعارك العسكرية وكأن المسألة ليست معنية بالمبادئ التي من أجلها يُحارب ومضى فيها الكثير من الشباب إلى رحاب الله تعالى، إنما هي من قبيل الحمية والتلذذ بمصاحبة الكاميرات التلفزيونية التي تُصور شخوصهم عبر شاشات الفضائية التلفزيونية، وهم باللباس العسكري مُمسكين بالأسلحة وأجهزة الاتصال، دون أن يمنعوا المفسدين من فسادهم، وأضعف الايمان توجيه النقد لهم، ولكن ذلك لم يحدث، قمة في مفارقة (الحق) و(الحقيقة).

واذا عدنا إلى لقاء مجلس شورى (الحزب الحاكم) وما قيل فيه من أحاديث والإسقاطات التي وردت فيه من قبل الشخصيات القيادية مثل (البروفسيور) الزبير بشير طه يدرك المتابع أن النظام الحاكم يلفظ أنفاسه الآخيرة بذات الطريقة التي انتهت به الحقب التاريخية للنازية الهتلرية والستالينية الروسية، والفاشية الإيطالية والبعثية بقيادة صدام حسين وغيرها من أنظمة الحكم ذات الإتجاه الواحد التعصبي المتطرف الذي لا يعترف إلا بذاته، ولا يقول إلا بخطابه.

نعم نجح نظام (الانقاذ) في استخراج البترول وفي تصديره فيما فشل آخرون حكموا السودان، وجعل السودان من الدول المصدرة للبترول..!!.

كذلك هتلر صعد بألمانيا من قاع البطالة والافلاس عام ١٩٣٣م إلى قمة الإزدهار العالمي عام ١٩٣٦م ولأنه نظام شمولي ذهب غير مأسوفا عليه..!!.

وكان ستالين الذي صنع روسيا ونقلها من دول زراعية متخلفة إلى مصاف الدول الصناعية المتقدمة في العالم من خلال سلسلة من الخطط الخمسية الجرئية، ولكنه كان نظاماً شمولياً ذهب وذهبت معه الشيوعية..!!.

صدام حسين رغم انه دخل بالعراق إلى عالم الصدارة البترولية والإجتماعية والصناعية والعسكرية والرفاهية، ولأنه كان شمولياً بذات الطريقة الإسلاموية في السودان ذهب غير مأسوفاً عليه وأصبحت المقابر الجماعية والتطهير العرقي شاهدة عليه تماماً كما فعلت (الانقاذ)

في السودان ستذهب غير مأسوفا عليها.

أما التوجس الذي أمعن الحديث عنه في جلسة شورى الحزب الحاكم فهو حقيقة واقعة لأن (الحرامي في رأسه ريشة) وهناك الكثير من ملابسات بسرقة أموال الدولة سيكشف عنها بعد السلام (المؤامرة) وكل الدلائل موجودة والأرقام والأشخاص الذين تسببوا في ضياع أموال الشعب باسم الإسلام، وأن كثيراً من الحقائق ستخرج لأهلنا البسطاء في البطاح والحلال والقرى لتخبرهم عما فعلته (الانقاذ) ولم يعرفونه.

نعم هناك الكثير من ملابسات مقتل أبناء وأطفال ونساء ورجال قُتلوا ومنع أهليهم من التقاضي لأن المؤسسة العسكرية ذات سيادة كما يُكرر وزير العدل (محمد عثمان يسن) لا يحق لأحد مهما كان أن يقاضيها لأن دولة (الإسلام) في السودان تُحرم ذلك.

١٧ /أبريل نيسان ٢٠٠٤م

# تأملات في فراعنة السودان الجُدد..!!.

منذ ثلاثة أسابيع غبت عن العالم الاسفيري ولم افتح المواقع الالكترونية التي تعودت أن أمارس فيها اتصالي بالوطن والأصحاب والأحباب، فضلاً عن الرياضة الذهنية والفكرية والتزود بالأخبار، جزى الله عني الشدائد خير الجزاء أن خلوت إلى نفسي متأملاً في سيرة هذه الحياة العجيبة التي يعيشها عموم الشعب السوداني، وقد قال لي أحد الاخوة معاتباً أراك تغلظ على اخوتك السابقين في كل مقالاتك، فطيلة أيام هذه الخلوة وانا أفكر متسائلاً.. هل بالفعل ظلمت أخوتي ..أم أخوتي قد ظلموا كل الشعب السوداني الذي تاه في البرية، وشردوا الكفاءات الوطنية المخلصة..؟.

تذكرت أياماً صعبة ولا زالت في الذاكرة المعارك وأصوات الراجمات والرد عليها، ورائحة الحرب والدماء والأشلاء المتناثرة..، ووصايا الراحلين موسيقى أسمعها كل يوم في صباحي ومسائي، وتتراءى لي صور أسرهم وأبنائهم وزوجاتهم،وأيامهم الجميلة، ولا زالت أصداء هتافات وخطابات شيوخنا النارية تلهب مسامعي، يدعوننا إلى بذل النفس رخيصة، والفوز بالجنان والحور العين، وقد ذهبوا هم وامتلكوا العمارات السوامق في كافوري وقاردن سيتي، وفي دولة الامارات العربية المتحدة وماليزيا، بينما فقد السودان أغلى أبناءه وأخلصهم من الجانبين، والأسر بالتالي فقدت فلذات أكبادها في حرب طاحنة لم يفز فيها أحد من المتقاتلين.

يذكر المُفكر الايراني(٦) د. علي شريعتي أنه لما قصد زيارة مصر ليرى الأهرامات التي تعتبر من عجائب الدنيا السبع، قد سُر في نفسه كثيراً لوجوده هناك، وقد كان يسمع بكل جوارحه للشرح الذي قدمه الدليل عن تاريخ الاهرام وكيفية بنائها، وكشف له عن عمل (العبيد) في حمل الألواح الحجرية التي بلغت ثمانمائة مليون لوح نقلوها من أسوان إلى مكان الاهرام قرب القاهرة، ليشيدوا هناك تسعة أهرام، ستة منها صغيرة وثلاثة هي الأهرام الأكبر والأكثر صيتاً في العالم، وقد سار العبيد بهذه الحجارة الضخمة، عرف د. شريعتي أن المسافة تصل إلى أكثر من تسعمائة كيلومتر، ليبنى بها ذلك البناء الضخم الشاهق، حيث استقرت أجساد الفراعنة المحنطة، وبينما هو كذلك رأى على مقربة من الاهرام أكواماً من الحجارة، وقد وضعت من غير ترتيب،

فسأل عنها، فأجابه الدليل انها قبور جماعية عميقة، حفرت ليدفن فيها من هلك من العبيد أثناء العمل الشاق في بناء الأهرام، مشيراً إلى أن العبيد وعددهم ثلاثون ألفاً نقلوا حجارة الأهرام في ثلاثين عاماً وكان مئات منهم يسقطون كل يوم من الإعياء ويلفظون أنفاسهم الأخيرة، فيأمر الفرعون بدفنهم في حفر تحيط بالاهرام، ليظلوا يحيطون به في موته، لتخدمه أرواحهم في الموت كما خدمته اجسادهم في الحياة..!!.

ويقول د. علي شريعتي:

"برغم إلحاح دليلي بأن تلك الحفر ليس لها أي قيمة أثرية تذكر، فقد تركته وجلست إلى جانبها، أحاول أن أتذكر آلاف البشر الذين ماتوا كي يصنعوا قبراً لفرعون من فراعنة التاريخ".

وبروحه الشفافة ونفسه الزكية شعر د.علي شريعتي بعلاقة متينة ربطته وهؤلاء الذين اندثرت عظامهم في الحفر..!!.

بل شعر بأنه والعبيد المدفونيين في تلك الحفرة من أصل واحد، وكان يقول في نفسه "أنهم مني وأنا منهم رغم انني من بلاد غير بلادهم، ورغم أن مسافات وحدود وأزمان تفصل ما بيننا، ولكن الفواصل كلها مكروهة وظالمة، وقد فرضت على العالم لتفكك صلات البشر ببعضهم.

قال "شعرت برابطة حميمة مع هؤلاء وسرى في جسدي شيء من معاناتهم وآلامهم، ثم نظرت إلى الاهرام مرة أخرى فشعرت بالغربة عنها، بل شعرت بنوع من الحقد عليها فهي وكل الآثار والقصور الشاهقة التي بقيت من التاريخ، انما قامت على دماء وأشلاء أجدادي وأسلافي".

كان يرى د.شريعتي منجزات الحضارات وكأنها تراكم للمظالم عبر آلاف السنين، طوت في ثناياها أجساد الأجداد.. لذلك بقي بين هذه القبور لحظات تأمل عميقة وهو يحس وكأنه جالس بين إخوة له، فكانت هذه الرحلة أعمق رحلة في حياته تركت أثرها الكبير على نفسه، وفي مكان آخر كتب شريعتي يسرد ويقول أن الرقيق كانوا موجودين باستمرار بأشكال وصور مختلفة على مر المراحل التي عاش فيها الإنسان، وكان البسطاء دائما هم العبيد..!!.

فكتب علي شريعتي هذه الرسالة المفعمة بروح ونكران الذات لأحد أولئك الذين دفنوا بتلك الطريقة:

لقد رحلت عنا، ونحن لم نزل نبني الحضارات العريقة ونعد العُدة من أجل فتوحات ومآثر جديدة، كانوا يأتون إلى قُرانا وضياعنا فيجروننا وراءهم كالبهائم إلى حيث نصنع قبورهم، وعندما كنا ننتهي من بناء الصرح كان المجد لهم وحدهم، أما نحن.. فعندما كانت تخور قُوانا، بعد ذلك الجهد الجهيد كنا ندفن هناك بين صخور المقبرة، كانوا يسوقوننا أحياناً إلى الحرب، لحرب أناس لم نعرفهم ولم نكرههم من قبل، بل وربما لحرب أناس من مُواطنينا ورفاقنا وأقرب الناس إلينا، كنا نحن نُساق للحرب، بينما ينتظر آباؤنا وامهاتنا المسنون عودتنا بفارغ الصبر، انتظاراً من دون جدوى ولا نتيجة، هذه الحروب – على حد قول أحد المفكرين – كانت حرباً بين فريقين، لا يعرف أحدهما الآخر، لحساب فريقين يعرف أحدهما الآخر ولكنهما لا يتقاتلان بأنفسهما...!.

كنا نُبيد بعضنا بعضاً، إذ كنا مضطرين اما لنقتل ونقيم المذابح للآخرين، أو نواجه الهزيمة، وعند الهزائم كان الخراب والمُدن المُهدمة والمزارع المحروقة الجرداء تبقى لنا ولآبائنا وامهاتنا، أما عند النصر، فقد كان المجد والعز يسجلان لغيرنا، هكذا كنا نحن أدوات فقط.. مهزومين في النصر كما في الهزيمة، لكن يا أخي حدث بعدك تحول كبير فقد بدأ الفراعنة والقياصرة وطواغيت العالم يتغيرون في تفكيرهم، فتركوا عقائدهم عن الموت وبناء القبور كي تبقى الارواح فيها حية، وقد فرحنا لذلك التحول كثيراً، إذ لاحت لنا نهاية المسيرات المرهقة والمهلكة التي جلبنا بها ملايين الاحجار من مسافة ألف كيلومتر، ورصفناها على بعض كي نصنع قبراً خالداً.

لقد ذهبت أنت يا أخي ضحية بناء قبور الفراعنة، بينما جعلت أنا فداء لقصور الحكام وقلاعهم الشاهقة، ووجدت نفسي مُكبلاً بقيود خُلفاء فرعون وقارون الذين استرقونا وسخرونا لخدمتهم، لقد شكل هؤلاء الخلفاء طبقة رجال الدين الرسميين (الكهنة)، التي اصبحت طبقة فوقية متنفذة ومستكبرة، وقد كتب عليّ أن أخدم هؤلاء وأبني لهم القصور والمعابد الفخمة، في ايران وفلسطين ومصر والصين، وفي كل مكان يوجد فيه محروم مغلوب على امره ومستعبد، إن هؤلاء القيمين الرسميين

على الدين الذين ادعوا تمثيل الله وخلافة أنبيائه نهبونا الزكاة وساقونا للقتال باسم الجهاد، بل أنهم أجبرونا على تقديم فلذات اكبادنا على مذبح الاصنام قربانا للآلهة، حتى أصبحت المعابد تُسقى باستمرار من دماء أبنائنا وبناتنا الأبرياء.

**الاستغلال باسم الآلهة**

لقد اصبحنا نعاني أسوأ أنواع الاستغلال باسم الآلهة، وذلك على أيدي فرعون وقارون وخلفائهما والقيمين الرسميين على دينهما، لقد اغتصب مؤيدو الأهواز (كهنة المجوس) ثلاثة أخماس أراضينا، وجعلونا أشباه عبيد، كذلك فعل كهنة المسيحية، حيث استولوا باسم الكنيسة على أموال وأراضي الناس.

في آلاف السنين، بنينا المعابد والقُصور في روما والتماثيل الضخمة في الصين، كنا نحن نهلك بصمت أما المجد فكان يبقى نصيب الكهنة والقساوسة والمقيمين والمتاجرين به، وارثي قارون وفرعون.

انا الذي عشت بعدك بآلاف السنين، وتتبعت ما جرى في هذه السنين، وصلت إلى نتيجة مفادها أن الآلهة أيضاً تكره العبيد وأن هذه الأديان ما هي إلا قيود جديدة أرسلت إلينا وأن الكهنة والقائمين على أمر الدين إنما استخدموا تلك القيود لاسترقاقنا ولتبرير سيطرة أصحاب القصور.

ثم عرف عالمنا فلاسفة وحُكماء، كان فهمهم عميقاً وعلمهم غزيراً، ولكن حتى هؤلاء لم يجدونا نفعاً، فأرسطو مثلاً، اعتقد بأن من الناس من ولد ليكون عبداً، ومنهم من ولد نبيلاً وسيداً، لذلك رأى من الطبيعي أن نبقى في الطبقة الدنيا من المجتمع نُسام العناء ونعامل بالسوط، فلذلك كان قدرنا حسب رأي اولئك الفلاسفة.

لكن العالم شهد مفاجأة جديدة، عندما ظهر نبي جديد، وقد نزل من الجبل متجهاً للناس، قائلاً لهم " أني رسول الله اليكم جميعاً"، كتمت أنفاسي وأنا بين الدهشة والشك، فلعل في الأمر خدعة جديدة لكنه استمر في الكلام "أني بعثت من قبل الله القائل "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين"، عجباً كيف يحدث الله العبيد والمستضعفين فيبشرهم بالنجاة ويجعلهم وارثي الأرض وسادة العالم، كدت لا أصدق، إذ اعتقدته كأنبياء آخرين، جاءونا من ايران والهند والصين، أو ربما كان أميراً ادعى النّبوة، كي يعبئ الناس ضد أمير

آخر، فيبلغ مناله من خلال الدين.

قالوا:" لا.. انه يتيم، شاهده الناس جميعاً وهو يرعى الغنم في سفح الجبل فتعجبت أكثر: كيف يصطفي الله رسولاً بين الرعاة، فقالوا لي بل أنه آخر واحد من سلسلة الأنبياء –الرعاة –، وقد كان أجداده الأنبياء أيضاً هم من الرُعاة والفقراء، فارتجفت أوصالي، وشعرت برعشة امتزج فيها الارتباك والخوف والرجاء.. فهذا نبي يبعث منا وفينا، وزال ترددي عندما رأيت حولي أخواني من الفقراء والعبيد: بلال.. ذلك العبد الحبشي.. سلمان.. أسير حرب ايران ثم مستعبد، أبوذر.. أعرابي مُعدم من الصحراء.. سالم.. مولى زوجة أبي حُذيفة وآخرون غيرهم هم من العبيد والفقراء، التفوا حول النبي ثم أصبحوا سادة قومهم.

## رسالة محفوفة بالمخاطر

آمنت بذلك النبي، لأن (قصره) كان بضع غرف من الطين بناها بعد إلحاح الناس وقد ساهم هو في بنائها، و(بلاطه) كان خشبة ثبتت على سعف النخيل، هكذا كان كل متاعه في الدنيا.. وقد رحل عنها وهو لا يملك أكثر، فهربت من ايران، ناجياً بجلدي من ظلم المؤبدين (الكهنة المجوس) الذين استرقونا وساقونا إلى حروبهم التافهة، هربت إلى مدينة النبي واعتصمت بها إلى جانب رفاقي من العبيد والمظلومين والمستضعفين في الأرض، وبقيت إلى جانبه إلى أن وافاه الأجل وتركنا، ولازالت قضية رسالته محفوفة بالمخاطر والاحتمالات المختلفة.

يئست من جديد وشعرت أني مغلوب على أمري، فها هي سلطة جديدة تستتر برداء التوحيد، وهي تنشر الكذب في المساجد وتحارب الله باسم الله.. وعرفنا مرة أخرى وجوها فرعونية وقارونية تحكم بصوت الدين، وتستغلنا من أجل بناء المعابد والقصور وهكذا بدأنا ببناء الصروح الضخمة.

ولقد بني كل ذلك على أكتافنا، وأعطينا لها دماً وحياة.. فقد كان يُفرض علينا كل ذلك باسم الله وخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكدت أعتقد بأن الخلاص مُستحيل وأن العبودية انما كتبت علينا، من كان ذلك النبي، هل جاءنا برسالة مزيفة، هل خدعنا ونظم صفوفنا لكي نسخر فيما بعد لخدمة فئة من الناس، هل أنه عِرف بأننا سنسبى ونضطهد باسمه..؟ كلا.. فقد كان هو مثلنا ضحية لما حدث

بعده. والآن.. أين المفر، أي طريق أسلك للنجاة..؟.. هل أرجع إلى الجاهلية إلى كهنة مجوس، أم إلى معابد قامت على أساس الظلم والتزييف..؟ أم تراني ارجع إلى قادة شعبي الذين يعملون من أجل تحررها، أي إلى الذين خسروا سلطانهم في ثورة الاسلام فيحاولون العودة اليوم إلى تراثهم البالي وجاهليتهم الأولى بعد أن جاءتهم البينات، أم ألتجئ للمساجد.. ولكن ما الفرق بين المساجد الجديدة والمعابد القديمة..؟.. وقد رأيت المتلبسين لباس الخلافة والمُدَّعين السير على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيوفاً كتب على حدها (الجهاد)، ومآذن ارتفعت باسم التوحيد.؟ رأيت ذلك كله يستخدم مرة أخرى لاستغلالي وجرِّي إلى ساحات الحروب والدمار والتكفير.

## قصور قادة (الإنقاذ)

وعندما رجعت بنفسي لقصص المدفونين في السودان لصالح بناء قصور قادة (الإنقاذ) رحت أشتم عبق سيرتهم العطرة متذكراً مناقبهم السامية وأرواحهم النقية الصافية، سلسلة من الأنقياء اليوم تذكرتهم برغم أنني لم أنساهم أبداً، وكأني أعيش بينهم..ماجد كامل، وأخي الحبيب الذي فقدته معاوية أبوتراب، ابوالقاسم عيدالروس،بدرالدين البادرابي، حسين دبشك، ميسرة عثمان، وشيخي أحمد شيخ الأمين ومعاوية عبدالمالك ومحمد شيبة، وأخي العزيز وابن حلتي عبود علي الأمين ياسين، وعلي عبدالفتاح، وابن خالي العزيز عبدالخالق حيدر،مرتضى عبدالسلام، ويوسف سيد، وعبدالله بابكر، وعبدالله جابر، وأخي ابن عمي طارق السيد الحسين ومن قادتنا الذين أحببناهم في الله تعالى شهداء لمسيرة السلام في السودان– أحمد الرضي جابر، عبدالسلام سليمان، فضل السيد أبوقصيصة– واستاذي أحمد عثمان مكي، ومحمد عثمان محجوب، و أخي الحبيب معتصم الفادني..عليهم رحمة الله جميعاً.. يا لهم من شباب تركوا هذه الدنيا لينعم بها الذين لم ترق منهم نقطة عرق في سبيل استقرار ورفعة السودان دعك من رفعة الإسلام، لكنهم أراقوا الدماء الطاهرة من أجل ذاتهم الدنيئة، فكلما نقلت القنوات الفضائية صور السودانيين البسطاء من الجنوب ودارفور والشمال وشرق البلاد أحاول تقبيل وجوههم النيرة، وأن أصافح أياديهم الطاهرة التي لم تتلوث بدماء الأبرياء ولم تأكل أموال الفقراء والمساكين لتبني لها مساكن فارهة في مدن الأحلام في دبي وماليزيا وغيرها.

هؤلاء الذين تسيدوا زمام الحكم في السودان تماماً مثل فراعنة مصر الذين حكى عنهم د. علي شريعتي تلذذوا بعذابات الناس وبنوا قصورهم الفارهة على جثث وأشلاء أبناء بلادي، ولم تدمع عيونهم بل لم يرف لهم جفن بسقوط العدد الكبير من ضحايا الحروب التي افتعلوها.

**وهل اعتبر القوم..؟.**

للأسف لا زال القوم في ضلالهم القديم..فهذا نافع علي نافع يؤكد على ذات النهج الذي أراق الدماء في البلاد ويقسم على رؤوس الأشهاد بأن (الانقاذ) "قدمت ٤٠ ألفاً من الشهداء في جنوب السودان ومستعدون لتقديم ١٠٠ ألف آخرين"..يا سلام..يا سلام على التصميم والإرادة على القتال لا على إرساء السلام وحقن الدماء، وأين كانت هذه الخطبة العصماء في يوم ١٠ مايو الماضي عندما أسرع نافع للهروب من السودان ناجياً بجلده من هول المعارك التي أشعلها هو وأمثاله الذين تعودوا أن يشعللوها ويهربون ويدفع الثمن البسطاء من النساء والأطفال، وفي العاشر من مايو انكشف القناع الكبير وأصبح يوماً في تاريخ السودان لا تخطئه صفحات التوثيق.

وهذا الأخ هيثم بابكر الزميل السابق في إعداد برنامج (ساحات الفداء) التلفزيوني والضابط بهيئة التصنيع الحربي التابع لجهاز المخابرات الوطني في مداخلة له في إحدى الموضوعات بمنبر سودانيزأونلاين قبل أيام قليلة يقول:

"فوالله لم ولن يزحزحنا كل ذلك عن يقيننا أننا على حق وأن الذين يريدون زوال دعوة الله، ويريدون ليطفئوا نور الله على باطل ... سرق من سرق، وقتل من قتل، وأبى من أبى، فكل أولئك آتيه يوم القيامة فرداً، ويبقى يقيننا أن يزيدنا الابتلاء تماسكاً ليميز الله الخبيث من الطيب، نسير على طريق الحق، نذكر بالله، ونخوف بالله، ونقاتل فى سبيله لا نخاف فى الله لومة لائم".

وبالطبع لم أستغرب هذا الكلام فكل عضوية الحكومة وخاصة الذين يعملون في مؤسساتها الكبيرة الأمنية والإستراتيجية يقولون بقول واحد هو أنهم على حق وأن كل من وقف ضدهم على باطل، وأنهم يمثلون الاسلام والدفاع عن بيضته وكل الآخرين "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم"، وليس غريباً تواصل هذه اللغة وهذا الاسلوب لذا نجد أن الاقتتال لم يتوقف بعد التوقيع على اتفاق نيفاشا لأن

النهج هو ذات النهج الذي تسير به الحكومة (فرع) المؤتمر الوطني فيما تركت الحركة الشعبية نهجها القتالي السابق بعد الاتفاقية بل قامت بتسليم أسرى الطرف الحكومي بينما الذين يدافعون عن الاسلام ويتمسكون بنهجه قتلوا الأسرى ولم يتركوا منهم أحداً..!!.

لا زالت صور ضحايا الجنوب في مخيلة الناس.

ولا زالت صور ضحايا دارفور منشورة على الشبكة العنكبوتية..

صور الأقمار الصناعية التي كشفت للعالم قاطبة عن حرق القرى والإبادة الجماعية.

ويقول الأخ هيثم بابكر

"ويبقى يقيننا أن يزيدنا الابتلاء تماسكاً ليميز الله الخبيث من الطيب، نسير على طريق الحق"..!!.

يريدون أن يقيموا دولة (الحق) على جماجم البشر تماماً كما فعل أبو مسلم الخرساني الذي قتل لوحده ٦٠٠ ألف إنسان من أجل أن تقوم الدولة العباسية في العراق..!!.

..يا لها من مفارقة..!. أشد كفراً ونفاقاً..!!

بالطبع أن ما يصدر من المسؤولين من تصريحات استفزازية للشارع السوداني يجعل المرء يتساءل أي منهج هذا الذي تتبعه قيادة النظام في تعاملها مع الأحداث وهذا الأمر شغلني كثيراً بالبحث المستمر، ولما كنت على قناعة بمفارقة النظام للدين الإسلامي الحنيف أقبلت على قراءة كتاب المؤلف سعيد الشبلي(٧) حول النفاق ويقول الكاتب مفسراً آية نفاق الأعراب التي وردت في سورة (التوبة) الآية (٩٧)، في قوله تعالى "الأعراب أشد كُفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلمُوا حُدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم"،إن الأعراب قد أسلموا مع جملة من أسلم من عرب الجزيرة، إلا أن القرآن الكريم خصّهم بخطاب خاص ليبين لهم ما تشكوه أنفسهم دون سواهم من توحش وتمرد، وما ينطوي عليه سلوكهم من غلظة وجفاء وشدة آن لها جميعا أن تزول إذا أرادوا فعلا أن يرقوا بأنفسهم إلى مراتب الأنفس المطمئنة،

وإذ لم ينفِ القرآن الكريم عنهم وصف الإسلام إلا أن مرحلة الإيمان بما أنها أساساً مرحلة إخبات وإنابة وخضوع وخشوع قلبي، احتاجت منهم هم بالذات إلى بذل جهد مضاعف إذا كانوا فعلا ممن يريدون بلوغها، ومن هنا كان تعبيره سبحانه بقوله "ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" تعبيراً عما يلاقيه الإيمان من صعوبة في النفاذ إلى أنفس متوحشة متمردة على عدم الخضوع.

فرغم أن القرآن الكريم لم يستعمل إطلاقا لفظ العرب، ولم يصف بـ (العربي) سوى القرآن الكريم، إلا أنه تحدث في مواضع كثيرة عن الأعراب كنموذج لمن ترسخت فيهم مظاهر الكفر النفاقي، ولمن تعودوا على السلوك النفاقي وعلى تصرفات المنافقين.

معلوم أن الأعراب هم أولئك البدو الذين لم يتمدنوا والذين لم يعرفوا نظام الحياة الجماعية المستقرة بقدر ما تعودوا على الرحيل طلبا للماء والكلا ... وفي خضم حياتهم البدوية تلك، لم يلزموا أنفسهم بأن تستقر هي أيضا وأن تلتزم أنظمة وشرائع وأن تخضع لحدود وقوانين، بل كانت حياتهم تقوم على كثير من التحرر والانطلاق وقليل من الالتزامات التي لم يكن منها مفر، فلما جاء الدين الجديد ليكون دستوراً لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وليهدي الأمم إلى ما فيه صلاح العمران واستقراره ورقيه وازدهاره، وجاءت آياته تهدف إلى تأسيس بناء حضاري ووجودي متكامل، تطلب ذلك أن يكون اتباع هذا الدين ممن تهيأت أنفسهم للخضوع للأوامر الحقية، وممن ربوا أنفسهم على السمع والطاعة وعلى الالتزام الصارم بما في الشريعة من أحكام، فإذا التفتنا إلى النفس الأعرابية التي تربت على التحرر وتعودت على عدم الخضوع لأي شئ، فإننا حينئذ سنرى الفاصل بين الإسلام بما هو دين ونظام وأحكام وشريعة متكاملة، وبين الأعراب الذين لا يحبون الخضوع ولا يعترفون بشئ اسمه الطاعة، وقد تعودت أنفسهم على الانطلاق ولم تألف الحدود ولا التنظيمات، وما نزول الآيات السالفة في سورة الحجرات التي جاءت آياتها ببيانٍ قواعد السلوك الاجتماعي المتحضر والإرشاد إلى آداب الحياة الاجتماعية، إلا دليلاً على ما يعانيه النموذج الأعرابي أصلاً من عُسر على هذا المستوى هدد بأن يعرقل مسيرة إيمان هذه الطائفة من الناس.

فقد دخل عدد كبير من الأعراب في الإسلام وآمنوا بالله، إلا أنهم لم يسعوا أبدا

إلى تغيير ما بأنفسهم ، بل ظنوا أنهم ليسوا مطالبين أصلا بهذا التغيير ومالوا بما تطبعوا عليه إلى إقرار أنفسهم على هواها الأعرابي، ولم تنفذ كلمات الإيمان ومصطلحات الخشوع والتسليم إلى حنايا أنفسهم، وقد هدد ذلك بأن يجعل منهم أسوأ المنافقين عن جدارة فأخذ الدين على أنه عقيدة جديدة بدون إخضاع الأنفس لتربية جديدة تبلغ بها مراتب التسليم والخضوع الكامل الواعي بين يدي الحق سبحانه وتعالى، الأمر الذي يبرز في استجابة حية لأوامر الشريعة المطهرة وليس في مجرد التطبيق الشكلي أو القيام بحركات شكلية لا صلة للقلب بها، مثل هذا المسلك في اعتراف اللسان وخضوع الجوارح بدون استجابة النفس، هو القاعدة التي ينبني عليها النفاق ويؤسس أركانه. ويضيف الشبلي: لقد نزلت آيات أخرى تصرح بأن الأعراب أصبحوا في معظمهم، معدناً ممتازا لتصنيع النفاق، وخاصة لتوليد طوائفه وأجياله، إذ يقول تعالى "الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم"، الآية الكريمة صريحة في أن الأعراب إذا سلكوا مسلك الكفر والنفاق، فهم الأشد ظهوراً فيه، وذلك بسبب تلك العداوة التي توشك أن تصبح طبيعية بينهم وبين (الحدود)، فالأعراب وبسبب ميلهم الطبيعي إلى عدم الخضوع والطاعة، لن ينظروا في الحدود الجديدة التي نزلت من السماء بمنظار العلم والفهم والتدبر، بل سيتلقونها منذ البداية على أنها (حدود) أي (قيود) يراد لهم أن يتقيدوا بها وضغوط.

فقد اعتبر الأعراب الدين الجديد مجرد حدود تقيدهم وتمنعهم مما مردوا عليه من عدم الائتمار بأية شريعة، وعدم الالتزام بأية طريقة، ومنذئذ أصبح الفهم الأعرابي للدين وحدوده أحد أكبر المحاذير التي واجهها ويواجهها الإسلام إلى اليوم، فالنفس الأعرابية هي رمز لكل نفس تربت على التفسخ من القيود وعلى التجرد من الحدود، وعلى رفض القوانين من أصلها بدون النظر في صلاحها أو فسادها. ومثل هذه النفس التي لم تخرج من دائرة التوحش، لا يمكن إلا أن تكون نفساً أمارة بالسُوء، ولا يمكن لها أن تنخرط في مشروع وجودي واجتماعي هدفه تحضرها وتقدمها وتغيير ما بها إلا مكرهة، فإذا فعلت ذلك مكرهة ، فإنها ستتحايل عندئذ لتقدم وجها ظاهرا من الطاعة والالتزام ، بدون أي وعي حقيقي بحقيقة ما تفعل، ولا اقتناع فعلي به.

هذا السلوك الأعرابي القائم على إظهار الطاعة وإعلان الإسلام بدون فقه ولا

وعي، وبدون إلتزام حقيقي بحدود ما أنزل الله على رسوله، هو الوجه الأصفى للنفاق ولعلامة المنافقين بالإسلام، فالمنافقون وقد أحاط بهم الإسلام من كل جانب، لم يجدوا بدا من إعلان الشهادتين ومن الصلاة مع سائر المصلين رغم أنهم في الحقيقة لا زالت أنفسهم منطلقة مع أهوائها سادرة في غيها، لا تريد إلى الهدى سبيلا ، فلما أسلموا كان إسلامهم عملاً تجارياً لا عملاً إيمانياً، حيث ما قصدوا من ورائه إلا ضمان الأمن لأنفسهم وتحقيق المنافع المادية من مغانم وصدقات.

القارئ الكريم.. أرجو ألا تستغرب مما ذكرت آنفاً... لم آتي بشئ من عندي بل من مؤلف جدير بالاحترام والتقدير على ما كتبه في هذا الكتاب والذي تناول (النفاق) في صورته العامة ومن حيث الفهم القرآني الذي جاء من لدن الله سبحانه وتعالى، ومع ما جاء من اقتباسات من هذا الكتاب في مقابل سلوك النظام الحاكم على أرض الواقع المعاش في السياسة والاقتصاد والمجتمع، وما نتج عن سياسات أفقرت البلاد والعباد وشردت الأسر في دول الاغتراب والهجرة للمنافي القسرية، وساءت سمعة السودان الوطن الذي اشتهر بكل ما هو جميل ورائع، ومع العهد (الانقاذي) التصقت بالسودان كل الأفعال السيئة والمسيئة لتاريخه الناصع البياض..تقارير المنظمات الدولية في مراتب التطور والازدهار تؤكد الانحدار الرهيب للوطن، ثم جاءت فضيحة جلد الصحفية الزميلة لبنى الحسين لتؤكد للعالم قاطبة خبل وشطط القائمين على الأمر في بلادنا الذين أساءوا للاسلام وضربوا قيمه الرصينة في مقتل.

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٩م

# أين موقع نظرية المؤامرة
# في اغتيال جون قرنق..؟؟

منذ الساعات الأولى لإعلان رحيل الدكتور جون قرنق بهذه الطريقة الديناميكية والصحف والمنتديات السودانية على الشبكة الدولية للاتصالات (الانترنيت) تستقبل عشرات بل مئات المقالات والتحليلات والبعض أطلق مجموعة من الأسئلة وعلامات الاستفهام الكبيرة، والآخر نعي الفقيد وتأسف على غيابه بينما أنصار ومؤيدي الحكومة استماتوا كتابة وتحليلا في أبعاد شبهة العمل الإجرامي المنظم من قبل عصابة النائب على عثمان محمد طه تجاه اغتيال جون قرنق، والحمد لله أن الكثير من القراء والمتابعين كانوا قد طالعوا أكثر من مقال وتحليل في عدد من المواقع السودانية تتحدث عن خطط العصابة (النائب علي عثمان وجماعته) في اغتيال جون قرنق قبل أكثر من ثلاث أشهر، وحتى لا نخوض في حديث لا يؤدي بنا إلي نتيجة تعالوا جميعا نتساءل بهدوء:-

- هل لعلي عثمان محمد طه ومجموعته مصلحة في غياب الدكتور جون قرنق..؟؟

- هل يمتلك علي عثمان وجماعته ورع وخلق ومخالفة من الله بحيث يمنعهم ذلك من اغتيال جون قرنق أو إبعاد أي شخص يهدد مصالحهم..؟؟؟

- هل يمثل جون قرنق خطرا علي مشروع علي عثمان وجماعته..؟؟؟

- هل عملية الاغتيال صعبة عليهم..؟؟

أرى انه من خلال الإجابة علي هذه الأسئلة الموضوعية والمنطقية يمكن ببساطة الوصول إلي النتائج الموضوعية ونبداء الآن في الإجابة بصوت عال في الرد علي الأسئلة التي طرحت.

– هناك مصلحة كبيرة للغاية في غياب جون قرنق عن الساحة ولأن علي عثمان ذو تفكير استراتيجي يدرك أن عقلية الدكتور جون قرنق عقلية ذات أبعاد استراتيجية

أيضا وفي ذات الوقت يدرك علي عثمان والعالم قاطبة أن لدي جون قرنق شخصية قيادية نافذة كما يملك حضورا عالميا ومشروعاً كبيرًا ينطلق من واقعية وحاجة ماسة لأهل السودان قاطبة الذين يريدون بالفعل سوداناً جديدًا يسوده العدل والحكم الراشد بعد أن فشلت الحركة الإسلامية فشلا ذريعا في تحقيق هذا المبتغى، ولذا لا يمكن لعلي عثمان وجماعته أن يحتملوا وجود شخصية في حجم جون قرنق في دسك الحكم وقد أبعدوا من قبل شيخهم الدكتور حسن الترابي ومن قبله رجل البترول في السودان الأستاذ محمد عبدالله جار النبي بل طردوه إلي خارج السودان والقائمة تطول، وهولاء كلهم كوم وقرنق كوم آخر فهو موصول بالمجتمع الدولي ومؤسساته ويدرك حجم لعبة السياسة الدولية وتحديات المنطقة وتحديات بلاده في المقام الأول، و علي عثمان محمد طه يعرف جيدا أن الجنوبيين أمثال قرنق ورياك مشار من الصادقين في القول وفي التحالف ليس لهم (خساسات) كما التي لديهم وسبق أن عاش بينهم الدكتور ريك مشار زمنا طويلا ولما عرف ما بالقوم من كذب ونفاق خرج منهم، وقديما كان الدكتور الترابي يقول "أن الجنوبيين عامة صادقين في كلامهم وهم كالمحجة البيضاء لا يعرفون الكذب والنفاق والواحد منهم صادق في عداوته تجاهك وصادق في صداقته إذا صادقك" فجماعة علي عثمان لا يدركون عظم هذه المعاني لأنهم ينطلقون من منطلق المؤامرة والاستئصال.

– بكل تأكيد أن علي عثمان وجماعته ليس لهم أدني إحساس بالورع والمسئولية كما ليس لهم أدنى خلق بحيث يمنعهم من ارتكاب جرائم كما حدثت من خلال محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك وارتكاب جرائم الحرب في دار فور بل في جنوب السودان بحرق القرى والناس بداخلها وهذة لها حديث آخر، والذي يريد أن يتأكد من ورع علي عثمان وجماعته فليسأل متقاعدي القوات الجوية السودانية من الطيارين والفنيين..!!

– أن عملية الاغتيال في عرف علي عثمان محمد طه شي طبيعي ما دامت تحقق الأهداف الكبيرة، ومن السهولة بمكان تنفيذها ما دامت السيولة المالية متوفرة والكادر موجود والوسيلة متوفرة والمهم أيضا الغرض الاستراتيجي في أهمية اغتيال جون قرنق موجود، ومن هنا لا بد أن ندرك أن الجهاز الأمني الخاص بنائب عمر البشير علي عثمان محمد طه يعرف تماما كل تحركات جون قرنق ومن المؤكد

أنهم كانوا على علم بتحركه من الخرطوم إلي يوغندا وإلى حيث يريد الذهاب، بل كانوا على معرفة تامة ببرنامج الزيارة وأجندتها وقد يتسنى لأي شخص عمل في دوائر الحركة الإسلامية العسكرية والامنية في عهد الإنقاذ أن يلم إلماما تاما بأسلوب تفكير علي عثمان وجماعته، بحيث لا يستبعد فرضية اغتيال جون قرنق، مثلما كانت عملية اغتيال حسني مبارك في أديس أبابا.

– وشخصي الآن خارج البلاد أتأمل كيف أن شخصا مثل إبراهيم السنوسي يوما ما كان مسوؤلا عن الأجهزة الأمنية ويدير العمل من مكتب خاص خارج نطاق العمل الأمني، وكيف أن شخصا مثل د. عوض الجاز كان مسوؤلا عن المؤسسات العسكرية من حيث التمويل والإعداد ويقود الجيوش من خلال مكتب خاص ليس له علاقة بالعسكرية..... وكيف أن شخصا ما غير معروف للناس كان مسوؤلا عن أمن جنوب السودان كله يدير العمل من خلال شركة حكومية تتبع للمؤسسة العسكرية..!!.

– فلذا فإن عقلية التنظيم الذي يقوده علي عثمان وعوض الجاز ود. نافع تتحرك من شبكات عنكبوتية منظمة ذات أطر تشبه عصابات ألمافيا وتنطلق من أهداف التمكين الاسلاموي المتربل بالإسلام من أجل تحقيق مكاسب شخصية للغاية ليس لها أي علاقة بالإسلام ولا بأهداف الوطن ولا بطموح المواطن السوداني.

– أن عملية اغتيال جون قرنق وإبعاده نهائيا من دسك الحكم تشبه إلي حد بعيد عملية أبعاد الدكتور حسن الترابي من الحكم ودوائر التأثير، وقد خلا الملعب الحاكم لعلي عثمان وذمرته بحيث لا يضايقهم شخص وعندما جاءت الظروف والضغوط الدولية بجون قرنق في موقع التأثير الذي أبعد منه الترابي كان القرار جاهز لأن الاستراتيجيات الكبيرة موضوعة سلفا ولا يمكن لأي فرد مهما علا شأنه أن يعوقها وهم أي جماعة علي عثمان يدركون خطورة الرجل جون قرنق والآن قد تم أبعاده نهائيا، وهم في ذات الوقت يدركون أن نائبه سلفا كير رجل عسكري بحت ليس له أي بعد استراتيجي مثل الراحل جون قرنق.

– علي عثمان والذين معه لديهم استراتيجيات طويلة الأمد تصل إلي حد التفكير في حكم المنطقة بكالمها وليس السودان فحسب بحيث يتم القضاء علي كل المعوقات في سبيل هذا المشروع.. وها قد حدث،، وفي ظني انه مهما طال الزمن أو

قصر فلا محالة أن الشعب السوداني والمجتمع الدولي سيعرف كم هذا الرجل مخادع ومغامر، ومهما طال الزمن ومهما كتب مؤيدو الحكومة والمتعاطفين معها نافين أي صلة لعلي عثمان باغتيال قرنق فيوما ما سيعرف الناس الحقيقة، كما سيعرف السودانيين ان هذا الحمل الوديع ما هو الا ذئب كاسر.

٨ أغسطس ٢٠٠٥

# السودان وإيران ..معارك الدين والدنيا..!!.

على الرغم من أن النظامين السوداني الإسلاموي (بالإنقلاب) والنظام الإيراني الجمهوري الإسلامي (بالثورة) يرتكزان على مدرستين مختلفتين مذهباً، ووسيلةً للوصول للحكم إلا أن الحراك السياسي والجماهيري في البلدين يؤكد أن معركة الإنسان نحو الحرية الأصيلة لن تنتهي إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وأن ترقي الإنسان نحو حرية الاختيار (حتى للدين) هي الخيار الإلهي للإنسان ليشق طريقه نحو العبودية الحقة دون عوامل تأثير اجتماعي أو بيئي أو سياسي على شاكلة ( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ...). وأن المتلهفين لحسم السلطة لتطبيق الخيار الاسلاموي عجلةً إنما يقبضون الريح، فما باتت الشعارات بالإسلاموية السياسية لقيام الدولة المتوضئة تحت فوهات البنادق مقنعة للجماهير ما دام سلوك متبنيها يجانف القيم الداعين إليها ظاهراً وعياناً بياناً، بل يجافي أيما مجافاة معايير الحرية النبوية في تناقض فاضح لكل ذي بصر ناهيك عن أصحاب البصيرة، ما يؤكد بروز أنواتهم في هذه المشاريع.

إن ما يحدث في السودان وايران حالياً يمثل صورة طبيعية لحقيقة الصراع الكوني في الانعتاق من قبضة القوى الباطشة والظالمة على مقدرات الشعوب لذا نجد (الأنا) هي أساس الصراع الإنساني المختزن كله في قصة إبليس المتمرد رفضاً للسجود لأهل الحرية الحقة، والمُتسبب عناداً وكفراً في الإنزال للأرض لتبدأ قصة الإنسانية في الصراع المستمر بين الأنا و (اللا أنا) والذي تلعب فيه (الأنا) السياسية دور الوقود الحيوي، هذا وما زال إبليس الكبير يزعم أنه أكبر المُوحدين، ما يدلل بأن هناك فرقاً بين الشرك والكفر وليس كما أوهمنا المفسرون، فهو لم يقل لله أشركت بك بل أقر له بالإلوهية والعزة ( فبعزتك لأغوينهم ...)، وهذه هي الجدلية التي سيمارسها الإنسان عند نزوله إلى الأرض، فيصلي لله ويعلن الشهادة له لكنه يسلك سلوكاً يعبد به (الأنا) المستمدة نسخة طبق الأصل من محاجة إبليس الذي مازال مصراً أن يجول ويصول حوله ومعه ثم به، كما أن انتزاع الأنا من الناس هي أكبر المعاناة التي عاناها الرسل والأنبياء في مسيرة تبليغهم الناس رسالات الله وبعد إسلامهم لله.

وإن قال قائل بأن لأصحاب المشاريع الإسلاموية المزعومين أتباع من حملة أعلى الشهادات وأدناها، أقول بأن هؤلاء الأتباع لهم أيضاً (أنوات) تُشاكل وتُطابق (أنوات) القادة إلا أن هؤلاء الأتباع ما وجدوا فرصة تفريغها في الغير فانبطحوا لمن يظهر أنواتهم بالأصالة عنهم فتبعوهم حالهم حال المصريين عندما قال لهم فرعون "أنا ربكم الأعلى" فهتفوا دون تفكر قائلين ( يعيش ربنا الأعلى)، ( فاستخف قومه فأطاعوه) حتى أداة العطف (فـ) تدل على العطف بدون تراخي مما يدل أن بعض الناس لا يفكر ولا يتروى ولا يتعظ، .. ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم " الأرواح جُنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف"..؟.

هل هناك يا هداك الله ( كما يحلو لأستاذنا مصطفى البطل التعبير ) إنسان يكره قيم العدل التي جاء بها كل الرسل وبذل لها الفلاسفة أرواحهم، ويحب الظلم والظالم سواء على مستوى الممارسة الحياتية اليومية أو الممارسة السياسية العامة مسلماً كان أو هندوسياً إلا إذا كان مختلاً.. هل هناك إنسان كهذا .. كلا وألف كلا .. وبحديث الرسول، لا حاجة لنا هنا بمجادلات الأشاعرة والمعتزلة حول قُبح أو حُسن العدل، فالعدل حسن حتى عند الحمير لو نطقت بدل النهيق كلاماً عند ضربها لتحث على السير أكثر مما تطيق.

ليس في القرآن الكريم ولا الإسلام تفريغ عقد السادية ،لا بل عفو وصفح وتفويض الأمر لله ولكن يفعل ذلك الصفوة من أصحاب القلوب الزكية، الذين يخدمون المشروع الإلهي الحق وعينهم على الجزاء هناك لا هنا، لا أصحاب الذكاء العقلي فما وجدت في القرآن آية واحدة ذكرت العقل بخير، بل المدح كله للقلب عند المقاربة بينهما ما يدل أن قيم الخير لا ارتباط لها بالعقل وإنما جماع أمرها هو القلب وما العقل إلا Filter لا يقبل منه القلب إلا المصفى من الأمور، فالدين لا يكون في العقول إنما في القلوب،لذلك ما جبر الله حتى الرسل أن يسوقوا الناس إليه سوق البهائم ، ناهيك عن أن تقوم بذلك (أنوات) عاجزة عن كبت طبيعة اللحم المكتنز والدم الجاري فيها على حساب القلب في أقل الابتلاءات اليومية المتعرضين لها، مدعين أنهم الأعقل مما يؤكد أن إجماع العقلاء الذي أسست له المدارس الفقهية يحتاج للمراجعة خصوصاً بعد التجربة السياسية السودانية الإسلاموية الحاضرة التي من ورائها مجموعة كبيرة من عقلاء المستنيرين، والتي تجعلني أؤكد أن العقلاء قد

يجتمعون في أحياناً كثيرة على الأمر (الشين) وترفض قلوبهم (الزين) لأنه يجانب مصلحتهم، ودونكم في حياتنا الشاخصة هذه نماذج جماعية أخرى... هذا مع وجود كثير من أهل العفو والصفح ومحبي العدل المبتعدين من تسيير شؤون الناس العامة حكمةً وإدراكاً منهم لوعورة طرق سوق الناس إلى الله غصباً مثل ما يفعل سُرّاق الدين الذين أخرجوه من قواعده الأصيلة ليحققوا أنواتهم، فطمسوا جمال أمره، ومضاء عزمه، ورحمة نهجه.

هذا الأمر يقودنا تلقائياً للسؤال الموضوعي والمنطقي..كيف تمكنت الدُول الأوربية من خلال المشروع الفكري الإنساني أن تُؤسس معايير سياسية واقتصادية واجتماعية رفعت بها إنسانها إلى ممارسات حياتية يومية راقية، مقابل حالتنا الماثلة نحن المسلمون من المحيط للخليج مع تفاوت في المقدار، كيف عجز سدنة المشاريع الإسلاموية الحاليين عن تحقيق ذلك؟، ومن سوء الحال تأتي الأسئلة تباعاً.. لماذا يهرب كثير من العُلماء والمهنيين من دُولنا إلى دول الغرب ملتجئين لعفوها وسعة صدرها..؟ تساؤل مشروع يضرب في صميم الأسس الفكرية المرتكزة عليها مفاهيم أنظمتنا ممن ترفع راية الدين، وتتاجر بها وتريق بها الدماء البريئة.

وتساؤل مشروع ما دمنا والحمد لله نؤمن بأن القرآن مشروع إلهي مقابل المشروع البشري الواصل للفضاء، والمتواصل بالانترنت في عصرنا هذا، فهل يقول لنا سدنة المشاريع السياسية الإسلاموية أن الحالة الواصلة إليها شعوبنا هي كل ما استقوه من القرآن ليضعوا به هذه الشعوب في مصافي الجهل وأفكار الحقد وضيق مواعين الحوار؟ هذا والقرآن أكبر كتاب يدعو للحوار (كتاباً قيماً) بل أغلبه حوار بنصوص عالية القيمة راقية النهج .... هل تعلمنا منه كيف ندير الحوار مع أنفسنا أم لجأنا للإقصاء وحرب الملفات القذرة لإثبات أنواتنا إلى أن أدى ذلك أن نرفع الإسلام شعاراً للوصول لمآربنا في سابقة تكرر رفع قميص عثمان، ورفع المصاحف في وقعة صفين ضاربين بالمبادئ الأصيلة للدين عرض الحائط مقابل نفخ أهوج وبليد للأنا.

ما يعني لو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسير الآن في شوارع نيويورك أو إحدى أرقى العواصم العالمية ويتعامل مع تفاصيل الحياة المعقدة فيها لتعامل بتمدن، وتحضر، وأدب، وجمال سلوك يلفت إليه دهشةً أنظار مواطني هذه المُدن

الذين ابتكروا تفاصيل حياتهم وقوانينهم خلال قرون من الجهود والتعب، فكل متمدن متحضر وليس كل متحضر متمدن فقد يعيش الإنسان في قمة الحضارة وليس له نصيب من المدنية كما يفعل قادة لنا حاليين عاشوا ودرسوا في دول هي قمة العصر الحالي من الحضارة العلمية والفكرية والمعمارية، لكنهم طبقوا شريعة الأسود لا شريعة الله.

إن العُذر والتفسير الوحيدين الذي أجده لهم أن إسلامهم يعتمد على الشق العقلي لا القلبي– بيد أن الأسود لا تفترس طرائدها من الخلف وتمنحها على الأقل حق الاختيار في الدفاع عن نفسها مواجهةً أو هرباً ثم تصرعها، وكثير من البشر لا يتسع خُلقهم فعل ذلك في ثورة غضبهم عند تصفية خصوماتهم تحديداً السياسية منها .. خُيرّ الرسول بأن يتدخل الأخشبين لحسم الصراع فاختار العفو والدعاء لهم لا عليهم، ولم يعيرهم بأنهم كانوا قبله من شدة الجوع يسافرون في رحلة الشتاء والصيف للشام في ستة شهور لجلب الطعام، بل بشرهم بانفتاح الدنيا لهم والفوز بالآخرة .. عكس ما تم وصفنا إعلامياً أمام الوكالات بأننا كنا نصطف في صفوف الخبز ساعات .. نعم وقفنا وكانت (الرغيفة) أكبر حجماً... وما وقفنا وغابت قيم التكافل وما زالت (الرغيفة) بقروش كما كانت وخرجت عيون الرأسمالية العشوائية الجديدة من محاجرها تكنس أخضر ويابس البلد دون مبالاة مثل طوفان الجراد الذي لا يشبع .. كذلك خُيرّ الرسول أن يكون ملكاً رسولاً فاختار أن يجوع يوماً مع الفقراء ويأكل يوماً مثلهم فما بال الهمازين، اللماظين، النهازين يطمسون هذا الجمال وهذه الروعة وهذا البهاء.

لا يمكن أن يجتمع لدى من يقود الدين في حياة الناس حسابات (متلتلة) في البنوك، ولا عقارات شاخصة تحجب نزول الماء من السماء، بل حياة شظف وترقي تفتح للقلب معارف، ورحمة وأخلاق الله ليُساس بها الناس. إن أصحاب المشروع الإسلاموي بفهمهم هذا يحجبون نور الإسلام عن الآخرين بل يضعضعون إسلام المسلمين أنفسهم ... ودونكم حكاوى ونكات في بلادنا أصبحت أقرب إلى قول الكفر الصراح، حيث أصبحت النكتة السوداء في أمور الدين مادة متداولة بين العامة دون محاذير.

ثم أليس من المخجل أن تأتينا نشرات الأخبار منذ فترة في كل يوم جمعة عن تفجير مسجد في إحدى الدول، وقد أخذت بلادنا نصيباً من ذلك وكاد أن يستمر لولا لطف الله وسماحة الشعب السوداني ورسوخ قيمه، مسجد يفجره مُسلمون يصلون على مسلمين مُقيمين للصلاة التي يقول البارئ جلَّ وعلا عنها إنها لكبيرة إلا على الخاشعين.. وبين الخاشعين وكبيرة تشخص في الخاطر صور حياتنا وكلام أحد المسؤولين بأن المساجد أصبحت ممتلئة بالمصلين. لكني أسأله ما هو مردود إمتلاء المساجد بالمصلين على الحياة العامة..؟!.

فلقد صار لدينا الدين مظهراً من مظاهر الكمال البشري مثل أن يتزوج المرء لكي يقال فلاناً قد أكمل دينه لا أن يحقق الهدف الرباني من هذا الاقتران العظيم، فنحن بعد إقامة الصلاة.. نكذب.. ونسرق.. ونظلم.. ونسفك الدماء بأسهل ما يكون، وكل ذلك تقرباً لله حسب فهمنا، فما خشعنا لله في الصلاة ولا قدرناه حق قدره في مجريات الحياة، وما استجمعنا قيمه القرآنية بعد الصلاة للتزود منها وشحذ نفوسنا بقيمه في الممارسة الحياتية اليومية لتكون الحياة كذلك صلاة لله فلا ظلم ولا كذب ولا أكل لأموال الناس بخطط وسياسات إن انطلت على البسطاء لا تنطلي على الملأ الأعلى الذي لعله ينظر إلى سلوكنا السياسي اللامبالي نظرة غضب جف جراءها الزرع والضرع، وفشلت من جرائها الخطط الزراعية، وقد أعمى الله بصيرتهم فاصبحوا مشغولين بخدمة أنفسهم وذويهم حتى أطبقت عليهم الأمطار من كل جانب كشفت عن سوءاتهم الدنيئة..فتهدمت البيوت ودمرت الطرق التي (شرطوا) بها آذاننا عبر الأجهزة الإعلامية وجاء الخريف وكأن شيئاً لم يكن، فرددوا الأسطوانة السنوية "أننا تفاجأنا بالأمطار"، فسلوك الإنسان ينعكس على حياته إما نعمةً أو نغمةً، لكن القوم لا يتعلمون من التجارب، وقد بين لنا المولى تعالى بأنه لا يفلح المجرمون.

إنني لم أجد في الحياة أو في الكتب أناساً في مثل حالتنا السياسية الراهنة يتقربون لله بالابتعاد عنه، لكنه لا يعتدي على أهل مملكته وذلك مداً لنا برحمته للتعلم منها لنؤسس لنظام حياتي رحيم ليس همه جلد الناس وقهرهم بل تأديبهم بلين القول وإرشادهم وعلاجهم وتعليمهم مجاناً، ودفع الضمان الاجتماعي لهم، وتوفير طبيب أسرة يفحصهم دورياً، وبناء الإصحاح الصحي لهم، وتشييد الطرق بمواصفات عالمية لهم، حينها سيخشعون لله في الصلاة وفي الحياة ولن يكذبوا أو يزيدوا اللبن

بالماء، أو يبيعوا لحم الحمير على أنه لحم بقر ..ذلك هو التوجه الحضاري الحق وما بعد الحق إلا ضنك العيش ولو جرى النيل بترولاً.

إن الإشكالية الكبرى التي تواجه النظام الإسلاموي في السودان ليس المعارضة السياسية، ولا التلويح بحصاره اقتصادياً، فهذه أمور تتراوح وتزول بالالتفاف عليها كما حدث خلال ٢٠ عاماً في مضيعة لوقت البلاد ما شهد لها التاريخ مثيلاً، لكن إشكاليته الكبرى أن الشعب السوداني بحسه الصوفي من أكثر الشعوب معرفةً ووعياً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذه السيرة سيلزمهم ويحاسبهم بما قالوا ... فحساب التاريخ أوجع من ثورة عابرة لأنه سيطعن في آدميتهم مدى الدهر بما كسبت أيديهم.

ومن غرائب الصدف أننا كل يوم نكتشف جديد عن احتراف الكذب لهؤلاء القوم فقد اعترف الرئيس عمر البشير هذا العام بحقيقة بيوت الأشباح والممارسات التي تمت في الماضي، في سياق حديثه حول تغيير النظام لاستراتيجيته السابقة، ومؤكداً ما ظل ينفيه الانقاذيون على مدى عشرين عاماً مضت، وصرفت فيه الدولة المال الكثير لتسويق هذه الأكاذيب من أكل وراحة الشعب السوداني، أخيراً اعترف الرئيس بعد كذبة استمرت عقدين من الزمان في ظل نفي شبه يومي وعلى كل المستويات من الاعلام وعلى كل الصعد المحلية والإقليمية والدولية. وفي ذات السياق فضح موقع "جهان نيوز" الإيراني العالم الإسلامي بنشر صوراً لوزير العلوم في حكومة أحمدي نجاد السابقة وهو يلتقي بنظيره الإسرائيلي، وقد سبب نشر الصور حرجاً بالغاً للرئيس الإيراني الذي طالما انتقد إسرائيل وطالب بمحوها من الوجود، وقد كان يتاجر سياسياً باظهاره العداء لإسرائيل لكسب أكبر عدد من المؤيدين، وكذلك يفعل النظام السوداني وقد احترف الكذب على الشعب ٢٠ عاماً، أي مستقبل هذا الذي ينتظرنا مع أنظمة ترفع شعار الإسلام وتفعل نقيضه..؟!.

٩ نوفمبر ٢٠٠٩م

# الـمُـؤتمر الـوْطـنِـي..
# إنْ تـحِـمِلْ عَـلَيْـهِ يَلْهَـثْ أَوْ تـتـُرْكـهُ يَلْهَـث !!

**" إذا ما ارتدى الزُور والمكر لباس التقوى ستقع أكبر فاجعة في التاريخ"..!!**

الفيلسوف الهندي رادها كريشنان

أي لغة هذه التي تعبر عما وصل إليه حال الحاكمين في السودان من وصف يليق بأفعالهم المنكرة يسبُون ويشتُمون ويتهمون بالعمالة كل من عارض فوضتهم وفسادهم الذي أزكم الأنوف، وقد تبخرت كل شعاراتهم من لدن لا ولاء لغير الله إلى الرد.. الرد.. السد.. السد..!!.

وإذا ما تجاهلهم الناس ظلوا في طغيانهم يعمهون..يخربون البلاد بأيديهم، وإذا ما حاول أصحاب الوجعة الخروج من الأزمة التي أوقعوهم فيها أرغوا وأزبدوا، وجندوا المنخنقة والنطيحة وما أكل السبع، والفضائيات التي قامت على أكتاف الشعب المطحون، وعرق المغتربين والمهجرين.

إنْ تـحِمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ..!!.

فإن المؤتمر العام للمؤتمر الوطني (الحزب الحاكم) الذي انفض سامره قبل أيام قليلة كشف عن ضحالة الفكر الذي يقود البلاد، وقادها بالفعل إلى ما نعاني منه في كل مناحي الحياة، وعندما اطلعت على البيان الختامي للمؤتمر وجدت ذات الصيغة التي صبغت كل بيانات المؤتمرات السابقة منذ تأسيس هذا المُلك العضوض وذات المفردات وذات العبارات التي تمجد الحزب الحاكم وتكرار سمج وممجوج للأكاذيب والأوهام والخيالات المريضة.

واقتبس للقارئ الكريم من توصيات هذا المؤتمر ما يلي:

والمؤتمر العام الثالث للمؤتمر الوطني اذ يختتم اعماله، يؤكد فى بيانه الختامى أنه:

– يحي جماهيره العريضة الممتدة فى انحاء السودان، ويرحب ترحيبا حارا بالاعداد الكبيرة التى انضمت لركبه من القيادات السياسية والاجتماعية والفئوية والوظيفية، يرحب بهم فى مسيرة البذل والعطاء والتضحية لاجل بناء الوطن وعزته وكرامته ، ويحي المؤتمر اهل السودان كافة بمختلف أحزابهم ومشاربهم السياسية والثقافية.

– ويؤكد المؤتمر الوطنى للجميع ثباته على مبادئه السياسية المرتكزة على مبادئ الدين والوطن،.. وانه مصمم على استكمال بناء حزب قائد لوطن رائد، يبنى نهضته وعزة شعبه على دوافع الايمان بالله تعالى وقيم الشريعة الاسلامية السمحاء وهدى واخلاق الدين الحق ، ثم على العلم والمعرفة والبحث العلمى ، التقانة للقيادة والرياده.

– ثم يمهر كل ذلك بالصدق مع الشعب والوطن وبالعزيمة والثبات والصمود ، والتعاون مع الجهود المخلصة لكل القوى والتنظيمات السياسية السودانية.

Ø ويؤكد المؤتمر الوطنى للشعب السودانى، أنه يتاهل لصياغة مستقبل السودان الزاهر بالبناء على رصيده من الخبرة والتجربة وإنجازاته الظاهرة، وهو كذلك يتاهل لصياغة مستقبل السودان، باعمال مبادئ الحق والاصلاح لمسيرته والتطوير والتحديث والتجديد فى السياسات وفى القيادات.. ويعتمد مبادئ الالتزام التنظيمى والسياسي ومبدأ المحاسبة والشفافية والمؤسسية واعتماد عنصر الكفاءة فى التكاليف والنقد البناء للأداء ، معايير للتجربة التنظيمية الناضجة والمسؤولة.

**الخبرة والتجربة..!!**

والحزب الحاكم في السودان عندما يصدر بيانات وينشرها في أجهزة الاعلام المختلفة لا يدري أن هذا الشعب يدرك كذبه خاصه في الفقرة الثالثة من الاقتباس " ويؤكد المؤتمر الوطنى للجميع ثباته على مبادئه السياسية المرتكزة على مبادئ الدين والوطن"، عن أي دين يتحدث الحزب.. وعن أي وطن يتحدث الحزب الحاكم..؟؟، لكن ما دام البيان موجه لعموم الشعب السوداني فهو يعلم أي خزي..وأي عار يعيش فيه،

والاحتفالات التي صرف فيها مليارات الدينارات لتجار الحزب احتفالاً بسد مروي قد ضاعت سدىً، وعاصمة البلاد أصبحت تعيش في الظلام الدامس وأجزاء كبيرة منها لا تجد ماء الشرب، ويتحدث المؤتمر الوطني في الفقرة الأخيرة من الاقتباس " ويؤكد المؤتمر الوطنى للشعب السودانى، أنه يتاهل لصياغة مستقبل السودان الزاهر بالبناء على رصيده من الخبرة والتجربة وإنجازاته الظاهرة"، عشرون عاماً والبلاد تئن من الحاجات الأساسية، والأتاوات تزداد على كاهل المواطنين..!!.

كشفت الحملة الاعلامية التي قادها كُتاب المؤتمر الوطني ضد مؤتمر جوبا عن هزة قوية أصابت الحزب في مقتل وقد كان يُعول على فشل المؤتمر بسبب اختلافات وجهات نظر مختلفة مزعومة بين الكيانات السياسية المشاركة فيه، بالطبع أن الحزب الحاكم لم يتعود على التحالفات السياسية ضده طيلة العقدين المنصرمين، الأمر الذي أربك حساباته وخلق حالة من ردود الأفعال لم تكن في صالحه بأي حال من الأحوال ذلك لأن العبارات المتشنجة التي صاحبت مقالات مؤيديه أكدت أن مؤتمر مدينة جوبا قد نجح نجاحاً غير متصور في حسابات المتابعين للمعركة التي يخوضها الحزب الحاكم ضد المعارضين.

في ذات الاطار بينت الاحداث أن نجاح مؤتمر جوبا نجح أولاً في التأكيد على امكانية حدوث تحالفات ضد الحزب الحاكم وهذا في نظري من أكبر النجاحات التي تحققت مؤخراً أشاعت جواً من الفرحة والأمل في تحالف كبير وقوي يضم كل الكيانات السياسية ضد جبروت (الإنقاذ)، وقد كانت تصريحات د. قطبي المهدي ضد مؤتمر جوبا هزيلة وكلنا رأينا الهزيمة النفسية على قسمات وجهه، والأحاديث الكاذبة التي أطلقها على الهواء دون أدلة موثوقة.

**من هو الكاسب الأكبر..؟.**

وفي طريق د. قطبي المهدي سار د. محمد وقيع الله في تعليقه على مؤتمر جوبا بمقالة كاملة نشرتها مجلة (سودانايل) الالكترونية قال فيها "...وهكذا اجتمعوا، وأكثروا من اللغو، ثم انفضوا، وآبوا بالخسارة، والخيبة، والخذلان، بينما أُوتي المؤتمر الوطني نصرا عزيزا لم يكن في الحسبان،وبغير جدال يمكن أن يقول القائل إن المؤتمر الوطني كان هو الكاسب الأكبر من وراء مؤتمر جوبا".

وواصل د. وقيع الله تأكيده على نجاح مؤتمر جوبا قائلاً:

"فقد كشف هذا المؤتمر للشعب السوداني، مدى هزال المعارضة السياسية، اللا مبدئية، اللا وطنية، وأبان عن تهافتها، وانتهازيتها، وزيفها، وعدم التقائها إلا على هدف سلبي وقتي، يتلخص في معارضة المؤتمر الوطني، وسبِّ الشعب السوداني الشمالي، والعمل على ابتزازه، مع التهرب من الاستحقاق الانتخابي، والاتجاه إلى ممارسة التخريب، مع العزم على فصل الجنوب"..!!.

ومقال د. محمد وقيع الله كعادته.. زادت فيه العبارات المتشنجة والتي لا يسندها منطق ولاعقل، بينما قال كلاماً عن مؤتمره (الوطني) يكذبه فيه الواقع مثل جملة " بينما أُوتي المؤتمر الوطني نصراً عزيزاً لم يكن في الحسبان،وبغير جدال يمكن أن يقول القائل إن المؤتمر الوطني كان هو الكاسب الأكبر من وراء مؤتمر جوبا"، وفي اعتقادي أن المواطن السوداني واع ومدرك لهذه الخطرفات..

ومؤتمر الحزب الحاكم.. ومؤتمر جوبا..ليس الموضوع الذي أنا بصدده إنما جاءت في سياق الأحداث الجارية في البلاد والتي تستحق التعليق عليها..

في أواخر شهر رمضان المنصرم ارتكب فينا النظام الحاكم وعتاولته في الاجهزة الامنية والقانونية والشرطية جرماً كبيراً، إذ بشعوا بسمعة السودان فيما عرف بأزمة (البنطلون) وجعلوا سيرتنا على كل قنوات الدنيا، وبكل لغات العالم تساءلت البشرية جمعاء.. أي نظام حكم هذا الذي يرتكب حماقة مثل هذه..إنَّها "الجاهلية" بعينها، فنظام (الانقاذ) الذي لم ينتصر قط لقضايا المواطنين وللتحول الديمقراطي (والحضاري والإنساني) يأبى إلا أن يختزل في المرأة جُل، إنْ لم يكن كل، معاني الشرف والأخلاق، فموت الأطفال والنساء في دارفور أهون عليه من أن تعيش المرأة السودانية حرَّةً من وصاية نظام يعاني من القصور المعرفي والسياسي والديمقراطي والحضاري، لذا لم يكن غريباً أن يحدث في بلادنا ما حدث..يكفي أن العاصمة الخرطوم لا زالت تعاني من الانقطاع المتكرر للكهرباء وماء الشرب، فيما يتبجح اعلاميو الحزب الحاكم والنفعيين من تكرار مفردة (الانجازات) و(التنمية الشاملة)..!!.

**الدولة السودانية العظمى..!!**

بينما كانت العاصمة الخرطوم ممتلئة شوارعها بمياه المطر والوحل جراء أمطار

الثلاث ساعات التي أغرقتها وأصبحت سيمفونية نقيق الضفادع مع كورس طنين البعوض في مستنقعات وحفر العاصمة ملء الآذان، إذ بالدكتور (نافع) علي نافع يواسي السودانيين المنكوبين مبشراً لهم بدولة سودانية عظمى خلال الثلاث سنوات القادمة، لا أدري لماذا اختار الدكتور الرقم (ثلاثة)، ففي عهد الإنقاذ حتى الأعداد البسيطة لم تسلم من التحوير والتحريف، فإذا قلت إن الساعة في السودان ١٢ ستكذبك الطبيعة بشمسها وظلالها الممدودة معالماً للوقت وتقول لك هي ١١ ولكن أهل الإنقاذ لم يسلم من تزييفهم حتى ملكوت الله مصرين تقديم التوقيت صيفاً وشتاءً عكس المعمول به في كل الدنيا.

عدم مصداقية القوم أصبحت حقيقة لا تنتطح عليها عنزتان. وكان حرياً في هذا الظرف بالدكتور نافع علي نافع أن يرحم هذا الشعب المكلوم، ويبشر أهل العاصمة فقط لا كل السودان الكبير بشبكة مجاري حضارية وخلال خمس سنوات بدلاً من دولة عظمى خلال ثلاث سنوات فقط يتحدث العالم عن قوتها الكلامية. لقد أعلن القوم رمضان قبل الفائت النفرة الزراعية التي خابت ، ولكم خابت لهم وعود فأصبحوا كحال عرقوب التي وصفها حسان بن ثابت في لاميته في مدح الرسول الأكرم بـ (وما مواعيدها إلا الأباطيل) وهم مازالوا يستسيغون وعودهم الخوالف، حتى أصبح كلام ليلهم يمحوه نهارهم لأنهم تناسوا قاعدة بسيطة وهي أن القوة يصنعها الصدق مع النفس ومع الإنسان وتأهيله لا استنزافه وتدميره وهي قاعدة قرآنية يعرفها حتى غير المسلمين ولكن القوم يقرأون القرآن ويستدلون به استدلالاً لا يتجاوز حلاقيمهم.

كل السودانيين يريدون للسودان القوة والمنعة ولكن قوة حق وعدل ومساواة، الضعيف فيها قوي حتى يؤخذ الحق له، دولة يأخذ أهلها الظالم حتى يرجع إلى رشده، دولة تحترم القوانين والعهود، لا دولة تفتل عضلاتها ضد بنيها تجرهم نحو المهالك لأجل أشواق عصبة ضربت بالدين والأعراف عرض الحائط حتى صارت الدولة السودانية دولة منبوذة لا مصداقية لها بعد أن كان السوداني في الداخل والخارج مثالاً لمكارم الأخلاق والحمية والشهامة، ولو لا الإرث السوداني الطيب لما قبل الإنقاذ لأصبح الشعب السوداني منبوذاً في العالم جراء سلوك حكومته المنقذة التي غيبت بقهرها وجبروتها شمس المحنة وأصبح الظالم معه الحق والمظلوم لا

نصير له. كيف تصبح الدولة عظمى والعالم مشغول بانفلونزا الخنازير وهي مشغولة بلابسات بناطلين، وإذا بالمطر ينهمر على عاصمتها الحضارية فتقف الحياة وتغرق في شبر موية.

**يحبون السودان كأنهم يكرهونه..!!.**

إن القوة التي يتحدث عنها د.(نافع) ستأكله وتأكل أخضر ويابس البلد، لأنها قوة مستمدة من شعور استبدادي متسلق بالدين للسلطة التي أصبحت هي الدين بل أضحت ديناً ضد الدين، إنها ليست القوة لأجل الحق لكنها القوة لأجل القوة، لقد وصل القوم إلى حالة من اللامبالاة والغطرسة جعلتهم مصداقية القول المأثور "راكب السلطة كراكب ظهر الأسد"، وهل استأسدت حكومة على الشعب السوداني كما استأسدوا.

د. (نافع) من الذين من الله عليهم بالدراسة عندما كان التعليم مجاناً، وربما من عليه سودان الخير آنذاك بالإبتعاث للخارج عله يرجع ويخدمه في مجاله بالتخصص الزراعي، ولكن الرجل له أشواق أن يكون السودان –الذي ترقد فيه ملايين الأفدنة الزراعية بوراً– أن يكون دولة عظمى بفهمه هو للقوة، ود. نافع ممن رأى وسار في شوارع دُول عُظمى ينهمر فيها المطر لساعات وأيام وبعد لحظات تنساب المياه وكأن شيئاً لم يكن وتستمر الحياة في سلاسة، أليس في تجارب هذه الدُول ما يلفت نظر هؤلاء القوم إلى كيفية صناعة الحياة بدلاً من صناعة الوهم والهموم التي أثقلت كاهل الشعب المغلوب على أمره.

صدق المرحوم الطيب صالح حينما تساءل عنهم قائلاً "لماذا يحبون السودان كأنهم يكرهونه..!"، خروج (نافع) بمثل هذا الكلام وفي هذا الظرف وبهذه اللامبالاة يعني أن القوم غارقون في الوهم حتى أنوفهم، وإلا فما هي بُثريات الدولة العُظمى والناس في هم جراء سقوط منازلهم وسقوط مدارس عديدة، إن الصُور التي عرضتها القنوات الفضائية من الجو للخرطوم وهي تعوم في المياه جد مُخجلة، لقد أخجلتنا وخجلنا للإنقاذيين على هذا المنظر اللاحضاري الذي شاهده الأجانب وكفروا لنا ما حدث ودعوا لنا أن يحفظ الله أهل السودان، ولكنهم والحمدلله لم يسمعوا نافع الذي يعد السودانيين وعد الغرور وهم يخرجون من منازلهم يغوصون في الوحل في

عاصمة التوجه الحضاري الذي انقضت منه ٢٠ سنة، ولا ندري متى نصل لمرحلة الدولة العُظمى.

**لماذا لا يأكلون مُعجنات..؟!.**

د. (نافع) بتصريحه هذا كأنه يكرر قول ملكة فرنسا وهي ترى من شرفة قصرها الفرنسيين يتظاهرون من حياة البؤس فتساءلت ما بال هؤلاء..؟. فقيل لها إنهم لا يجدون الخبز.. فقالت لماذا لا يأكلون مُعجنات..؟!.

هل ستكون دولة (نافع) العُظمى بدون شبكة مجاري في العاصمة أم أن شبكة المجاري ستكون بعد قيام دولته العظمى، إن نظرية نافع العظموية هذه ستنسف مقدمة ابن خلدون التي عمل بها الغرب طويلاً فحققها علماً مادياً ستأتي أجيال لاحقة فترى طبائع عمرانه فتدرك انه كانت هنا حضارة، أما طبائع عمران (نافع) فهو الكلام وما أسهل الجُهود على الإنسان عندما تكون كلاماً مجانياً يدفع فاتورته الشعب المكلوم.

سيقولون هناك نهضة في الكباري وفي السدود ولكن ما دفعه الشعب السوداني فقط ناهيك عن المداخيل الزراعية والنفطية كفيل ببناء أكثر من سودان، إن أغرب التبريرات في احتباس مياه المطر هو التخريج غير المسبوق حتى في القرون الوسطى الذي أطلقه احد المسؤولين المنقذين حينما نسب أحد أسباب احتباس مياه الأمطار إلى ستات الشاي اللائي تسبب (تفل) شايهن في إغلاق المجاري في كثير من المناطق، ولعمري هذا هراء يؤسس لغرس الاستحمار في محل النباهة وكان الأجدر به أن يسكت فمن كان يؤمن بالله فليقل خيراً أو ليصمت، ولكن هذه المأثورات ذابت في وهيج السلطة، ولعل هذا المأفون بالسُلطة تناسى أن من بين ستات الشاي عصاميات يدفعن مصاريف دراسة أبنائهن للدولة التي لا يحن لها قلب، ولا يرف لها جفن، ولا تأخذها في جمع الضرائب والزكوات لومة لائم، ومن نفس ستات الشاي اللائي سد (تفل) شايهن مصارف عاصمة الدولة العظمى، نحمد الله أنه لم ينسب المسؤولون الأمطار لمؤامرة خارجية حسب ما تواتر عنهم في أحداث كثيرة.

إني أسأل القوم لو أن ما حدث في الخرطوم من لا مبالاة أدت إلى كارثة تراكم مياه الأمطار، لو حدث هذا في دولة مثل أمريكا أو اليابان أو ألمانيا أو بريطانيا أو فرنسا (

دول الشياطين كما يسمونها) هل سيظل وزير الطرق أو وزير الإسكان أو المعتمد في منصبه، بالطبع هناك سيستقيل بنفسه دون أن يطلب منه أحد ذلك، ولكن القوم عندنا لا يستقيلون ولا يقالون حتى لو غرقت البلد عن بكرة أبيها، العالم يسابق الزمن للوصول لمصل يكافح به أنفلونزا الخنازير، ما هو رصيد دولة (نافع) العُظمى في هذا التسابق، هل هي القوة التي يسعى إليها ليهدد بها الدول التي تنتج للبشرية مثل هذه اللقاحات، سيكون السودان يا (دكتور) دولة قوية عندما يأتي من يهتم باستئصال الملاريا التي أصبحت من الإمراض المتخلفة وعندما تنتج أرضه المنتجات الزراعية ويكتفي شعبها ويمد الغير بما فاض من منتجات، وعندما يُسهم في حل مشاكل الغير لا زيادتها، الدولة القوية تسعى إليها الدول لا تهرب منها كما يهرب الصحيح من الأجرب.

سيكون السودان قوياً لا عظيماً (فالعظمة لله يا دكتور) عندما تعود العافية للتعليم وللصحة وللبلديات وللمستشفيات، عندما لا يدفع التلاميذ في المدارس الحكومية قروش الطباشير وفواتير كهرباء المدارس كما يحدث في مناطق لا تبعد عن العاصمة ١٠٠ كلم، القوة والعافية ستعود للسودان عندما تعود جامعة الخرطوم منارة كما كانت عندما كنت طالباً فيها لا ما آلت إليه عندما صرت أحد المتنفذين الحكوميين.

## لا يسألون عما يفعلون..!!.

اللافت للنظر أن الذين آلت إليهم الأمور في حكم السودان من الشق المنفصل ( المؤتمر الوطني) لم تكن لهم سيرة تذكر في مجالس الحركة الإسلامية الروحية والتربوية، خصوصاً أيام الجبهة الإسلامية القومية التي ظهر فيها قادة الحركة (الإسلامية) يجوبون مدن وقرى السودان لطرح برنامج الجبهة أيام الديمقراطية الثالثة في الثمانينات، ولعل هذا ما يعكس الوجه والأسلوب الذي يحكمون به البلد، إذ أن تصرفاتهم حيرت الشعب بل حيرت حتى غير الملتزمين بحكم الدين للحياة السياسية، وحتى كثير من الشيوعيين والبعثيين الذين كان يتم تصويرهم على أنهم أعداء للتوجه الإسلامي لم يصل سلوكهم في ظلم الناس هذا المنحى البغيض، بل منهم كثيرون ممن يتصف بعفة اليد واللسان ويخشون أن تجترح أيديهم شيئاً من حقوق الناس عُدواناً وظلماً ويعرفون جيداً أن الظلم ظلمات لا يسقط عند الله

بالتقادم أو لأن مقترفيه يُقدمون لله خدمة إقامة الدولة الإسلامية بالتالي فهم لا يسألون عما يفعلون.

متى تدرك العُصبة الحاكمة أن الإسلام ليس شعاراً يُرفع وإنما مسؤولية تجاه النفس والمجتمع والعالم، ولو عرفوا ذلك لما كانت السلطة هي أكبر هممهم ومبلغ علمهم، وحتى لا تنسى ذاكرة الشعب ما جرى من تخريب ديني وفكري واجتماعي خلال حكمهم لا بد من البحث في السؤال الخالد الذي تركه المرحوم الطيب صالح حتى لا يقع الشعب فريسة مرة أخرى للأنبياء الكذبة ( من أين جاء هؤلاء.. ومن هم هؤلاء..!!!)، هل سمع هؤلاء قول أحد الخلفاء بأن "هم المسلم بذل السلام للعالم".

أضاف شيوخ الإنقاذ وكهولها من ماسكي زمام الُحكم أو الُمؤثرين فيه ٢٠ عاماً إلى سنوات عمرهم الذي استلموا عنده السلطة، فمنهم من بلغ الستين والسبعين وهو عمر يصبح فيه الإنسان أكثر قرباً من الله وانكساراً إليه وليناً مع البشر، لكنهم لا يزدادون إلا شراسةً كأنهم من فطرة غير فطرة هذا الشعب، مؤكدين قول أحد الحكماء "يشيخ الإنسان ويلازمه شيئان، الحرص وطول الأمل"،وهل هناك حرص وطول أمل أكثر مما نراه فيهم..؟!.

في ذات الأيام التي خرج فيها (الدكتور) بتصريح العظمة، كان يجري في كينيا منتدىً عالمياً لتوفير الشبكة العريضة للإنترنت بعنوانConnecting Africa لتوفير الخدمات الحكومية للمواطنين الريفيين عبر الانترنت، وعلق وزير الاتصالات الكيني بأن اهتمامه ينصب نحو الطبقة السكانية دون خط الفقر في الريف لتستفيد من هذه الشبكة وبأسعار في المتناول حتى يحصلوا على الطلبات والخدمات الحكومية باستخدامها مما سيساعد في خفض الرشوة والمحسوبية في القطاع الحكومي، هذا يجري في الجارة كينيا في سياسة واقعية تخدم الُمواطن البسيط، وإني أكاد أجزم أن الدخل القومي الكيني أقل من السوداني بكثير، والمتابعين للحركة العالمية في مجال تقنية معلومات الاتصالات يعلمون جيداً الحراك العالمي في هذا المجال، ولكن ما يجري عندنا هو العكس، فجودة تقديم الخدمات الحكومية مضرة للنظام لأن الفوضى الخلاقة Creative Chaos هي أفضل الطرق لبقائه، وجودة الخدمات ستفضح انه جعل مُؤسسات السودان دكاناً للاسترزاق وبلا أدنى دفاتر للحسابات، لذلك فان الخدمات الحكومية الجيدة عندنا هي آخر ما سيخطر على بال المسؤولين،

اللهم إلا بارقة واحدة في هذا المجال أسسها والي القضارف (سابقاً) والي الخرطوم حالياً، والعشم أن يواصل في مثل هذه المشاريع المهمة للمواطنين ولا ينجر وراء هرطقة العظمة المدفوعة بالفكر النفعي، يا لها من عظمة جهُولة عجُولة وما أرى فهماً لها سوى امتلاك السلاح لا امتلاك العلم والفكر وتنوير الشعب بمبادئ الحرية والعدل والمساواة وحب الخير، عظمة تمتلك السلاح ظناً أنها تخدم الدين ولا تدري بجهلها أنها تحارب الدين بل تؤسس ديناً ضد الدين الحنيف.

لقد أسقط سلوك (الإنقاذيين) الجُدد الدين الحنيف في السودان شهيداً في سابقة لن ينساها تاريخ هذا البلد المتسامح، وبعد مضي العشرين عاما من حكمهم التي تعادل ١٠٠ سنة من التخريب الديني والاجتماعي يتطلب هول حادثاتهم وحوادثهم ظهور مُجدد للدين يكنس موبقاتهم ويوضح لأهل السودان حتى المسلمين منهم أن الذي كان لم يكن ديناً وإنما ديناً ضد الدين..!.

١٠ يوليو ٢٠٠٩م

# الرئيس البشير.. الفرصة الأخيرة للإصلاح..!!

القرار الذي أصدره الرئيس عمر البشير بإحالة الفريق أول صلاح عبدالله (قوش) من منصبه كوزير لجهاز الأمن وتعيينه مستشاراً أمنياً برئاسة الجمهورية أعطى الناس انطباعاً بأن الرئيس بدأ لتوه مسيرة إصلاح الحكم في البلاد، وقد جاء قرار أحالة قوش من منصبه من بعد همس كثير في مجالس العاصمة السياسية المختلفة بل داخل دوائر الحزب الحاكم حول امبراطورية الرجل القابض على كل الملفات تقريباً السياسية منها والأمنية والعسكرية، والهمس وصل لعمر البشير مُؤخراً بعد أن وصلت امبراطورية الفريق صلاح قوش أصبحت تُشكل خطراً مُحدقاً بوجود السودان على الخارطة من خلال اعتماده على قبيلته وأبناء أهله، وتزامن ذلك مع الهمس الذي يؤكده الواقع المعاش في دولاب الخدمة في البلاد للشبكة الكبيرة لنائب الرئيس علي عثمان محمد طه التي أصبحت تمسك بالأمن والجيش والبترول والمال وكل المؤسسات الاستراتيجية في البلاد، طبعاً لا أحد يقبل لهذه القبيلة العظيمة أن تدخل نفسها في هكذا نفق لأنها ستكون أول المتضررين، وهي القبيلة الوحيدة في السودان التي تعبر عن كل ما تجيش به مشاعر ودواخل السودانيين من خلال أصدق الكلمات وأجمل الألحان، فلا أحد يريد لها أن تورط نفسها في صراعات تجعل من البلاد صومالاً آخراً.

أعتقد أن حالة الأخ الرئيس عمر البشير مع المحيطين به من حاشية أشبه بحالة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أبر قرابته فاستغلوا بره إليهم وألبوا عليه بتصرفاتهم الرعناء وطموحاتهم الارستقراطية فتنة نتجت عنها واقعة الجمل، والنهروان، وصفين وزالت جراءها الخلافة وحل محلها مُلكاً عضُوضاً لأسرة أرستقراطية تربصت كثيراً لانتهاز الفرصة منذ أمية الكبير وانتهزتها بوسائل لا تخفى على قُراء التاريخ.

غير أن الفارق بين حالة الرئيس والخليفة الراشد مع البطانة يختلف من حيث النوع والمقدار، فبطانة الرئيس تنظيم انزوى بعضه ورابط بعضه في تيار السلطة، ووافدون جُدد بعضهم يريد أن يلحق ما فاته من مغانم ومكاسب ،لا يعرفون عن

المبادئ الأولى التي قامت عليها (الثورة) الا اللهث وراء المكاسب في حالة أشبه بمقولة (الأكل مع معاوية ألذ وأدسم، والصلاة خلف علي  أفضل وأتم) ، والرئيس الذي يحسبه بعض الناس صادق النية لا فكاك له من هذه الحاشية التي بنت لنفسها إمبراطورية مالية وأمنية داخل مؤسسات الدولة  بوسائل ميكافيلية لم ير السودان في تاريخه القديم والحديث مثلها، ما جعل الشعب السوداني يتناول هذه الممارسات ويتندر بها في مجالسه العامة في حالة من الذهول.

كما هو معروف في السودان الكبير لا تخفى خافية اقتصادية كانت أم سياسية فوشائج الاجتماع أقوى من وشائج السياسة التي في أيامنا هذه انبتت عن قواعد الممارسة الشفافة ولم تعد إليها سالمة، والشعب يعلم أن من أبناء السودان من تعلق في صدورهم نياشين الصدق والإخلاص والنزاهة، وإذا ضربت مثلاً بمملكة البحرين فقط فيها من الكفاءات السودانية ما يشكل حكومة قوية في السودان ذات خبرة وكفاءة يشهد عليها العالم، دعك من خبراتنا في قطر والسعودية والإمارات وأمريكا وكندا وبريطانيا..والرئيس يعلم ذلك، ولكن هل من سبيل إلى فتح الفرصة من خلال شراكة نزيهة ليؤدي المخلصون دورهم في انتشال البلد من الهوة التي وضعته الحاشية فيها، وهي تصور للرئيس صحة وصدق التوجه بينما في كواليسهم ومع أصدقائهم المقربين يتحدثون عن أن الحالة مخيفة.

ويذكر القُراء الكرام قبل ايام قليلة  أن عبدالرحيم حمدي وزير المالية الأسبق في حواره مع الزميل كمال حسن بخيت في (الرأي العام) قد تجرأ بقول ما لم يقله مالك في الخمر عن سياسة اقتصادية وضعها هو بيديه مؤكداً أن الوضع الاقتصادي أصبح حرجاً وأن الدولة ستعتمد أكثر على الضرائب والزكاة وتناسى أن سياسته أدخلت ٩٥٪ من الشعب السوداني في أصناف مستحقيها الخمسة باستثناء العاملين عليها...!!.

إذاً ما الذي يمنع الرئيس عمر البشير من الوقوف مع نفسه وقفة صدق ليبرئ ذمته أمام الله وأمام دينه الذي ارتضاه دستوراً لحكم البلد ويتخذ خطوات إصلاح كفيلة بان تجمع الشعب حوله أكثر بعد أن يزيل حفنة الحاشية التي أساءت للتوجه وللشعب بممارساتها المجانبة للمبادئ المرفوعة وصولاً للحكم ، والبعيدة عن الخلق السوداني الأصيل..؟.

ألا يعلم الأخ الرئيس بالخسائر التي منيت بها البنوك، وبصفقات الاستثمار المنفلتة والعمولات، والمليارات المهدرة دون وجود ديوان رقابة مالي فاعل في الوقت الذي تقوم فيه كثير من الدول والتي لا ترفع الإسلام حكماً بتأسيس دواوين رقابة مالية صارمة حتى لا يكون المال سائباً في أيدي أصحاب النفوذ فيكون دولة بينهم فيجمعون رهبة السلطة وسطوة المال ليفعلوا الأفاعيل والشعب يدفع من دمه الزكوات والضرائب والعشرات من الأتاوات التي لا تراعي فيهم إلاً ولا ذمة.

أليس في مُصابرة هذا الشعب الأغبش الذي استقبل رمضان بارتفاع سعر شوال السكر من ١١٠ جنية إلى ١٥٠ جنيه في صمت دون أن يرمي أحدهم حجراً دافع للإصلاح؟ بإزالة كل مفسد لصالح قطاع كبير من الشعب الذي سيدافع هو عن الحكومة عند شعوره بأبوتها لا الحاشية المتخمة التي لن تصبر على أدنى اختبار يحل بها..؟.

وإني على يقين أن الرئيس يعلم أن الشعب السوداني (أغبش) وأن هذا الشعب لو رفع يديه إلى الله لأبره وقد قالها في إحدى خطاباته للمواطنين "ما تدعوا علينا ياجماعة... الله بقبل دعوة المظلوم"، ومادام يتذكر أن هناك ظلم ودعاء وقبول لهذا الدعاء وهي ثقافة مغروسة في عموم السودانيين، إلا أنها مفردات تغيب عن مفردات الحاشية لأنها منغمسة في أشواقها الذاتية.

إن مجرد النية الحسنة للحُكم بالإسلام لا تكفي فلطالما كان الطريق إلى جهنم محفوف بالنوايا الحسنة، وقد يقع الخطأ، وفي السودان قد وقعت بالفعل فطيلة سنوات (الانقاذ) العجاف قد وقع المظالم التي لا يمكن حصرها وأنا شخصياً كنت شاهد على العشرات من المظالم والتجاوزات التي راح ضحيته أبرياء.

عمر البشير قد بلغ من العمر و المكانة (تحتم عليه) أن يقف مع نفسه وقفه بعيدة عن حظوظ الدنيا، أولاً أن يتمعن في من حوله من حاشية يسميهم أصحاب وأصدقاء ومن منهم استنصحه بالله وكشف له عن مكامن الفساد وألح عليه في العلاج، حتماً سيجد أنه لا أحد منهم فعل ذلك وإلا ما كان الفساد قد استشرى بهذا الشكل حتى وصل عقر داره.

عشنا عهد الرئيس نميري وكُنا في الطلائع والرُواد والكشافة البحرية ونشترك

في كل الاحتفالات وكنا الأقرب إليه وكان الأقرب إلينا زيادة على ذلك معرفتنا بآل نميري في ودنوباوي، لم يذكر سوداني واحد أن السيدة بثينة خليل زوجة الرئيس أثرت على حساب الشعب السوداني، نميري نفسه وحتى وفاته كان يسكن بيت الأسرة الكبيرة في ودنوباوي شارع ود البصير، لم نشهد له ولأهله وذويه بالثراء الحرام..!!.

إن الرئيس البشير يحتاج لوقفة مع نفسه، متسائلاً :

هل المسؤولون الذين سيكون مسؤولاً أمام الله عن تصرفاتهم نزيهين..؟؟.

هل أموال البلد والتي هي أموال الله حسب تعاليم الدين تذهب إلى مصارفها الحقة..؟.

هل يعيش المسؤولون كلهم في حدود أوضاعهم التي تحددها وظائفهم ومدخولاتهم..؟.

هل هناك جهاز مالي رقابي للدولة يضبط أموال الدولة ويراقب مصارفها ..؟. وهل وهل...؟؟!!.

الـ ١٠ ألف الذين قال أنهم قضوا في دارفور ألا يعلم الرئيس البشير أنه المسؤول الأول أمام الله تعالى عنهم..؟.

إن كانت الإجابة عن هذه التساؤلات سهلة في عالمنا الحاضر فان الإجابة عليها صعبة في مقاييس يوم معايير المحاسبة فيه مثقال حبة من خردل يأتي بها الله.

أعتقد أن الرئيس البشير في استطاعته أن يقود انقلاباً كبيراً في السودان للأفضل متجاوزاً كل العقبات التي تعوق إحلال الأمن والسلام في البلاد، وأني على قناعة لا تتزحزح أن عمر البشير بإمكانه تغيير الواقع الحالي في البلاد وإيقاف الحرب في كل ربوعه، إذا استمع إلى صوت الضمير الوطني، ومن ذات المنطلق أقول أن عمر البشير بإمكانه الوصول مع د. خليل ابراهيم رئيس حركة العدل والمساواة إلى حل لمشكلة دارفور إذا تلاقيا وجها لوجه بعيداً عن أي وساطات إقليمية و دولية.

وإن بإمكان الرئيس عمر البشير أن يحل مشاكل السودان إذا ركب طائرته

الرئاسية وجاء واستمع إلى الكفاءات السودانية في البحرين وقطر والسعودية والامارات وبريطانيا..إلخ.. بدون أن يأتي معه عبدالرحيم محمد حسين أو شلة (الأفاكين) و(المصلحجية) و(الذاتيين)، وأنا متأكد تماماً أنه سيجد الحل عند هذه الكفاءات التي تقود الآن هذه البلاد المذكورة إلى قمة التفوق والنبوغ الانساني في كافة المجالات، وتشهد بذلك تقارير التنمية البشرية التي تصدرها المنظمة الدولية.

وعلى الأخ الرئيس عمر البشير أن يعرف إن الاحتماء بحزب حاكم مترهل يُهلل له ويُكبر ويرفع الشعارات الإسلامية لا يُجدي نفعاً وأن الحزب الحاكم في نظر السودانيين ما هو إلا مكان للحرامية واللصوص وآكلي قوت الشعب تماماً كما كان (الإتحاد االإشتراكي) من قبل، وأتذكر أن الرئيس الاسبق جعفر نميري كان قد أجتمع مع قادة الاتحاد الاشتراكي اجتماعاً تاريخياً لكن سرعة بديهة المجتمع السوداني كانت حاضرة فذاعت في البلاد نكتة سريعة جدا متوافقة ومتزامنة مع الحدث تقول (أن زوجة نميري بثينة خليل اتصلت بزوجها في لحظة اجتماعه مع الجماعة قالت له "أنا براي وخائفة" رد عليها النميري "لا تخافي كل الحرامية معاي").

وخلاصة القول أن الاخ عمر البشير مُطالب الآن قبل الغد بالإصلاح في نظام الحكم خاصة وأن المتشددين في حزبه يقودون البلاد الآن إلى ما لا يحمد عقباه، والذي يتابع ما يجري في البلاد حالياً يدرك أن الطوفان قادم لا محالة، سيما وأن الضوائق المعيشية تفتك بالناس وقد وضح للعامة كذب ما تكرره الحكومة من تنمية وإزدهار والخريف الذي بين ظهرانينا قد عرى بالدليل القاطع كل انجازات الحكومة وكشف عن سوءاها الذي نقلتها الفضائيات ووكالات الأنباء.

السيد الرئيس عمر البشير ليس لديك غير فرصة واحدة للإصلاح..أو الطوفان..

اللهم اني قد بلغت فاشهد.

اللهم اني قد بلغت فاشهد.

اللهم اني قد بلغت فاشهد.

٢٨ أغسطس ٢٠٠٩م

# أطلقوا سراح الرئيس عمر البشير..!!.

لاشك أن مؤسسة الرئاسة في بلد كالسودان تمثل البوصلة التي تسير عليها البلاد والعباد، وهي مربط الفرس في كل ما يمس البلاد، وهي المسؤولة دون غيرها عن وحدة الأرض والشعب، والموارد البشرية والمادية، في بلاد يمثل فيها رئيس الجمهورية (الكُل في الكُل) حيث البرلمان (سُلطة) ليس لها أي (سُلطة) على القرارات التي تحدد مُستقبل البلاد، كما معمول به في سائر بلاد العالم.

ولذا نقول أن (رئيس الجمهورية) تقع على عاتقه مسؤولية عظيمة وتاريخية، وهو الوحيد في الدولة الذي تسلط عليه الأضواء أكثر من أي منصب آخر، هو الذي (يُحيي ويُميت) إن شاء دخل بالبلاد في حرب ضروس لا تبقي ولا تزر، وإن شاء وفر للبلاد حالة السلم والاستقرار والتنمية والرفاهية وأخرج خيرات البلاد من باطن الأرض، ومن ينكر ذلك يعيش في عالم آخر غير السودان.

وكل ما يصدر عن رئيس الجمهورية له مكان في سجلات التاريخ ليس الوطني فحسب بل الإقليمي والدولي، ومن هنا تأتي أهمية التطرق إلى مواقف رئيس الجمهورية في الأحداث التي حدثت في السودان منذ العام ٣٠ يونيو ١٩٨٩م وحتى اليوم.

في صحيفة (الراية) الناطقة بلسان الجبهة الإسلامية القومية ربطتني علاقة أخوية حميمة بالأخ الفقيد عثمان حسن أحمد البشير شقيق رئيس الجمهورية، وكان عُثمان قمة في التدين الذي صبغ على كل حياته ألق من الصفاء الروحي والأخلاقي، كان قُرآنا يمشي بين الناس، توطدت علاقتي به بعد ٣٠يونيو حيث أصبح أكثر تواضعاً من ذي قبل، كنا نتقابل في صحيفة (الإنقاذ الوطني) في بداياتها الأولى، وتقابلنا أكثر من مرة عندما كان مسئولاً عن جمعية القرآن الكريم، وكان أحد أوائل المنضمين إلى كتيبة (الأهوال) أولى الكتائب الدعوية التي وصلت جنوب السودان بدءاً من منطقة شمال أعالي النيل، وهناك تفتحت قريحته وجادت بعدد وافر من القصائد وأشهرها قصيدة جميلة عن منطقة (جلهاك) صب فيها كل إبداعه وفنونه، إذ عبرت هذه القصيدة عن روحه وسويداء قلبه.

قبل انقلاب يونيو وداخل مكاتب صحيفة (الراية) بالقرب من المركز الثقافي الأمريكي بالخرطوم كنا نتناقش بشأن الأحوال التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، وعِبنا على الجيش ضعف دوره في تدهور الأحوال ووقوعه تحت يد (الطائفية) ووصفنا ضُباطه بالسوء، وحينها قال لنا الأخ عثمان " لدي شقيق أكبر مني ضابط كبير في الجيش لا أزكيه على الله" ولم يزد عليها، وإذا بنا بعد أيام قليلة نكتشف أن رئيس الانقلاب هو شقيق عثمان الذي لم يزكه على الله..!!.

هذه الكلمات كانت أول من شكل لدي صورة رئيس مؤسسة الرئاسة عمر حسن البشير، ومن خلال احتكاكي مع أشخاص نافذين في الدولة تشكلت لدي صُور أخرى، وفي مدينة بورسودان في العام ١٩٩١م قابلت الرئيس هناك في احتفال قوات الدفاع الجوي بإعادة تشغيل صواريخ روسية قديمة، سلمت عليه مع مجموعة من الناس.

وبعد فترة ومن خلال صحيفة (ألوان) أثنيت عليه ثناءً شديداً بسبب موقف كنت شاهدا عليه، وفي فترة من الفترات، عندما كان الأخ أمين حسن عمر مستشاراً صحفياً لرئيس الجمهورية كنت من ضمن الصحافيين نتردد على المكتب الصحفي برئاسة الجمهورية وربطتنا الظروف ببعض الشخصيات الذين كانوا أكثر إلتصاقاً بالرئيس، وأستطيع القول أن عمر البشير ليس بالإنسان السيئ الطوية.

**المؤامرة على الرئيس..!!**

أي صحفي قريب من ديسك الحكم ..أمين وصادق، وأي مراقب حصيف قارئ للأحداث متابع لمجريات الأمور، عالم ببواطن الأمور يدرك أن رئيس الجمهورية وقع ضحية مؤامرة من جهات نافذة، وساهم في ذلك شخصية الرئيس نفسه.. كيف..؟.

**أولاً:**

شخصية عمر البشير انفعالية وعاطفية، يحمل جينات الشعب السوداني التي تعودت على عدم التريث في قراءة الأحداث، والبعد عن المشورة في اتخاذ القرارات التاريخية والمفصلية، وعدم الرجوع إلى المؤسسات.. وهذه هي طبيعة غالبية الذين حكموا السودان، وأسلوب حكم متأصل فينا جميعاً وليس عمر البشير وحده.

استغل آخرين في الرئيس عمر البشير سلبية التعامل العاطفي مع الأحداث، هذه

الجهات تتمترس خلفه وقد أبعدوا أنفسهم عن التصريحات السلبية حتى لا تحسب عليهم، وتسجل ضدهم، لذا وجدنا رئيس الجمهورية دائما يتصدى للأحداث مهما صغرت أو كبرت بانفعال شديد وبتصريحات سجلت ضده في الداخل والخارج صورة وصوت.

في الاحتفال بافتتاح ميناء بشائر في بورسودان وقد كنت ضمن الوفد الإعلامي قال الرئيس عمر البشير في الحشد الجماهيري في معرض حديثه حول الأحداث السياسية " على المعارضة أن تشرب من البحر" وفي ذات الوقت كانت هناك اتصالات من طرف الحكومة مع عدد من المعارضين في القاهرة وغيرها.

ثانياً:

في الاحتفال بافتتاح مصنع جياد قبل ثماني سنوات والاحتفال بذكرى (الانقلاب) عملت الحكومة بجهد شديد على الإعلان عن دخول السودان مرحلة جديدة في التصنيع والاعتماد على الذات، فنصبت المحطات التلفزيونية كاميراتها والجهة المعنية بخطاب الرئيس كتبت خطاب متوازن لخدمة أهداف بعينها، وطلبوا من السيد الرئيس عدم الخروج عن النص، لكنه خرج بالنص بعيداً قائلاً " نحن في السودان من اليوم سنصنع من الإبرة للصاروخ"، مضيعاً كل الجهود التي بُذلت، مُرسلاً رسالة للآخرين ساهمت في زيادة العداء للبلاد بعكس ما كان يهدف الذين كتبوا الخطاب الرسمي، هذا الخروج عن النص أضر بالبلاد ضرراً كبيراً.

وكل الذين تابعوا خطابات الرئيس ولقاءاته مع المواطنين أدركوا كم أن مؤسسة الرئاسة في أزمة مزمنة.. إذ كيف بالله يطلق رئيس الجمهورية تصريحات على الهواء وفي الفضاء الطلق دون أي تحسُب لأي خطأ في هذه التصريحات التي تضرب يمنة ويسرى، وفي الغالب هناك قرارات كثيرة صدرت وسط هتافات المواطنين تهليلاً وتكبيراً بقطع علاقات مع دولة تربطها بالبلاد علاقات قوية.

الكثير من القرارات المهمة في بلادنا لم تخرج من مؤسسات بل من تصريحات في غير مكانها، ولذا فقد السودان كدولة الكثير، وكان الارتباك سيد الموقف وظهر ذلك خلال قضية دارفور، وفي كل لقاء جماهيري كان السيد الرئيسي يتهم دولة بدعم (التمرد) وخلال سنوات الصراع مع الحركات المتمردة وجه الرئيس البشير

الاتهام إلى كل من تشاد واريتريا وفرنسا وألمانيا وأمريكا واسرائيل، حتى أن دُولاً مثل فرنسا وألمانيا كانتا تقدمان دعومات للسودان في أشكال متعددة ولها علاقات دبلوماسية مع السودان على أحسن ما يكون..أيضاً وصلها الاتهام من خلال نقل خطاب جماهيري للسيد رئيس الجمهورية.

هذه التصريحات جعلت وزارة الخارجية في مهب الريح أمام كل المواقف الكبيرة والحاسمة، وفي زيارة وزير الخارجية السابق د. لام أكول للجالية السودانية بمملكة البحرين العام الماضي كنت قد وصلت متأخراً بعض الشئ وسألت الوزير د. لام أكول وسط العشرات من أعضاء الجالية .. ما هي تأثيرات تصريحات الرئيس عمر البشير على الدبلوماسية السودانية..؟.. فأنفجر الجميع بالضحك، قائلاً "قد أجبت على هذا السؤال قبل حضورك"..!!.

وقد بان لِيّ أن وزير الخارجية يُسأل هذا السؤال كثيراً في كل زياراته للجاليات في الخارج..!!.

وفي المقابل كانت تصريحات نائب الرئيس علي عثمان محمد طه رصينة وموزونة تعطي الانطباع بأن السيد الرئيس (متشنج وانفعالي) ولا يحسن معالجة الأزمات ولا يدرك أهمية ما يصرح به في تشكيل الرأي العام الداخلي والخارجي، بل تذهب أكثر من ذلك بأن هذه التصريحات تشكل خطراً على الأوضاع في البلاد، أن الرئيس عمر البشير يحتاج حقيقة لفريق عمل من نوع خاص بأي حال من الأحوال ليس بينهم عبد الرحيم محمد حسين..!!.

ثالثاً:

أكثر التصريحات التي حُسبت على الرئيس قبل اندلاع شرارة التمرد المسلح في دارفور عندما قال له مقربيه "ناس دارفور يريدون التفاوض" فقال الرئيس قولته الشهيرة " نحن لا نفاوض إلا حاملي السلاح فقط"، حينما لم تكن هناك حركات مسلحة، وما هي إلا فترة قليلة من الزمن حتى برزت الحركات المسلحة التي اقتنع من قاموا عليها أن الحكومة صادقة فيما قالت أنها لا تفاوض بالفعل إلا من يحمل السلاح ويجري العمليات العسكرية ويوقع الضحايا حتى تستعد الحكومة للتفاوض معه، وكانت التجربة خير برهان..!!.

وبعد تأسيس هذه الحركات كان يمكن الوصول معها إلى إتفاق وتجنيب البلاد خطر التدويل والحرب الضروس التي دائما ضحاياها من المواطنين البسطاء، لكن أين هي العقول والمؤسسات التي تتبع الرئيس حتى تُخرج القرار المناسب في المكان المناسب، وفي يقيني هذا الأمر مقصود ..تعرية الرئيس وإضفاء العقلانية والجدية على نائبه..؟!.

وخلال الخطاب الارتجالي أثناء مخاطبة مُنتسبي جهاز الأمن الوطني والمخابرات بعد فشل الهجوم الذي قامت به حركة العدل والمساواة كرر الرئيس هوايته المحببة قائلاً بصوت عال مع صيحات التهليل والتكبير " ما داير زول عدل ومساواة ينوم في بيته ..لا طالب ولا موظف"، الرسالة سُجلت لرئيس جمهورية السودان في كل السجلات الإعلامية والسياسية وفي قلوب وأذهان الناس، ومكمن المشكلة أن الرئيس كأنه يأمر الأجهزة الأمنية باعتقال كل أبناء دارفور في العاصمة المثلثة وبطبيعة الحال ليس هناك دارفوري واحد يلبس علامة في مقدمة رأسه مكتوب عليها (عضو بحركة العدل والمساواة) لكن الأجهزة الأمنية قامت بالواجب، وكان بإمكان السيد الرئيس أن يُشاور ويرجع إلى المؤسسات الخاصة لكنه لم يفعل لسبب واحد هو أن الجانب الآخر في رئاسة الجمهورية قد نجح في إبعاد كل القيادات الشابة المتمرسة من الرئيس عمر البشير وقام باعتقاله داخل عقلية عبد الرحيم محمد حسين..!!.

رابعاً:

في منتصف التسعينات على ما اعتقد كان الأخ أمين حسن عمر مستشاراً صحافياً لرئيس الجمهورية، وفي هدوء تام انسحب عن العمل في المستشارية، وكان واضحاً لدينا كصحافيين أن أميناً قد واجه مُضايقات من طرف عبد الرحيم محمد حسين..!!.

بعدها جاء من سفارتنا في واشنطن الأخ الأستاذ الصادق بخيت كمستشار للرئيس في مكان أمين حسن عمر، ومن ضمن ترددي على القصر الجمهوري والمكتب الصحفي دخلت على الصادق بخيت ودارت بيننا أحاديث ودية وحول طبيعة العمل الاستشاري أفادني بأنه قد قدم استقالته من مكتب السيد الرئيس وأنه في انتظار الموافقة بسبب عدم وجود عمل يقوم به، وقد فهمت منه أن الرئيس لا يستشيره

ولذلك لا معنى للجلوس في المكتب دون عمل، وطلب مني عدم نشر الخبر إلى حين، ونزلت عند رغبته، وبعد فترة من المتابعة وافق بنشر الخبر وبالفعل نشرت الخبر في صحيفة (ألوان) على الصفحة الأولى، ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم ليس للرئيس (مستشار) صحافي بمعنى (مستشار) نعم لديه مدير للمكتب الصحفي.

وللأسف أن رئيس الجمهورية ليس له أي مرجعية غير عبد الرحيم محمد حسين، وأن كل المستشارين ما هم إلا ديكورات اقتضتها الضرورة السياسية للمرحلة التي تمر بها البلاد ، فالجهة التي لا تريد للرئيس عمر البشير أن يقوم بواجبه تجاه قضايا البلاد الشائكة تستأنس من تصريحاته.

أن رئيس جمهورية في بداية الألفية الثالثة وليس له كفاءات وخبراء بجانبه يشيرون عليه بفعل كل ما يوحد بين أبناء الوطن ويمنعونه من كل ما من شأنه ان يفرق وحدة الشعب سيما وكان طبيعياً إطلاق تصريحات ترسخت في دواخل الناس وبالتأكيد لا ولن تُمحى من الذاكرة وخلقت الأضرار النفسية والاجتماعية الفتاكة، التي لا يعلمها السيد الرئيس المعتقل في عقليات وأفكار أصبحت من التاريخ.

إيران تقدم لنا أنموذجاً في المؤسسة الرئاسية باعتبار أن لها مشروع إسلامي بغض النظر عن رأيي فيه لكنه يلقي بظلاله على الأحداث في العالم، وليس في المنطقة أو في المحيط الإسلامي، ولذا أقول أن الرئيس الإيراني السابق سيد محمد خاتمي وبرغم أنه مفكر إسلامي كبير وسياسي محنك، له أكثر من ١٠ مؤلفات رصينة وقدم آلاف المحاضرات التي شغلت بال المفكرين وطلاب العلم، كان له مستشارين عُلماء ومُفكرين من القامات البارزة في هذه الدولة أمثال د.عطا الله مُهاجراني وزير الثقافة والإرشاد الأسبق ورئيس مركز حوار الحضارات حالياً، وكان مدير مكتبه وكاتم أسراره د. محمد علي أبطحي الذي ألف عدداً كبيراً من المؤلفات المهمة في المكتبة الإسلامية، وآخرون لهم مساهماتهم في أدب الثورة الإسلامية، مستشارين يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم.

الرئيس الإيراني الذي يأتي بالانتخاب المباشر من الشعب في انتخابات نزهية يشهد عليها أعداء هذا البلد، لا يصرح في كل الأوقات ولا يركز على التصريحات في أي مكان ويلعب المكتب الصحفي برئاسة الجمهورية دوراً كبيراً في الحفاظ على سمعة

وصورة الرئيس إذ يقوم بإصدار التصريحات التي تتطلب وجهة نظر رئاسية، وهناك ناطق رسمي بكل من الرئاسة ووزارة الخارجية تجعل الرئيس في وضع مرتاح يبعده عناء التصريحات العشوائية والارتجالية، إيران هذه فيها قوميات مختلفة وديانات مختلفة لم يحدث أن أصابها أذى من الرئيس سواء كان خاتمي أو رفسنجاني أو نجاد ذلك لأن العمق الحضاري للشعب الإيراني ضارب في القدم وله تأثيره على المواطن العادي، ثم أن المشروع الإسلامي في إيران شعاره (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها) وفي صيف ١٩٩٨م شهدت محاكمة أحد قيادات الثورة الإسلامية وهو محمد حسين كرباتشي محافظة العاصمة طهران وبحضور عدد كبير من القنوات الفضائية العالمية ما يعني أن القوة الفكرية هي التي تحرك دولاب الدولة وليس العاطفة و(الهاشمية)..!!.

ومن باب أولى أن يكون رئيس الجمهورية مقيد بقيم عالية الوصوف وبطانة من أفضل الكفاءات.

أيها السادة

شكلوا للرئيس فريق عمل تكون من أولى أولياته التخطيط لمحادثات جادة مع أبناء دارفور في كافة الحركات المسلحة للوصول بحل عاجل قبل نهاية العام الجاري.

لذا أقول:

أرجوكم أطلقوا سراح الرئيس من سجن عبد الرحيم محمد حسين..!!.

٧ يونيو ٢٠٠٨م

# من وحي حديث الرئيس السوداني عن استعداد حكومته للحرب..!!

التصريحات غير المسئولة التي قال بها (الرئيس) عمر (البشير) قبل ايام كاشفاً فيها استعداد الحكومة لشن الحرب في جنوب السودان مرة آخرى، تؤكد أن الرجل لم يستفيد من تجربة الحرب التي خضناها جميعا كسودانيين من الجانبين وسوادنا الأعظم تأسف على الدماء العزيزة الغالية التي أريقت في تلك الأرض، والصحفيين والاعلاميين الذين كانوا هناك على أرض المعارك، أو على صلة بالحرب أكثرنا ألماً وتجرعاً للذنب لأننا رأينا بأم أعيننا الأنفس التي رحلت والدماء التي أسيلت والأشلاء الممزقة التي انتثرت في الأرض وأكلها الدود، وأكثرنا عاش اللحظات القاسية والمؤلمة والتي انحفرت في وجداننا مدى الحياة تظل تألمنا وتأخذ منا الكثير لأننا كنا شهوداً على تلك المآسي الانسانية.

كنت على صلة بالحرب في جنوب السودان مرة مُقاتل ومرة صحفي، وآخرى متابع ومرات كثيرة مُودع للذين يغادرون إلى مناطق العمليات، ومرة مُعد برنامج (في ساحات الفداء) انقل للناس ما يجري هناك على ارض المعركة، ثم جاءت فترة كنت صديقا لعدد كبير من أسر (الشهداء) في عدد من مدن السودان وليس لي مدينة ليس لي فيها ذكرى مع شهيد أو علاقة مع أسرة شهيد أو أسرة شهيدين من بيت واحد وعشت آلام هذه الأسر، وقد ارتبطت للبعض منهم بذكرى أبنهم، آلام واحساس بالفجيعة ليس بعده ألم ومرارة فالكثير من الأسر فارقت الاحساس بالسعادة، خاصة أن هناك آلاف الأسر التي لم تبلغ حتى هذه اللحظة بحقيقة ما حدث لإبنها وهناك القتلى المجهولين الذين لا أحد يعرف لهم مكان، فالذي يديه في النار ليس كمن يده في الماء.

لا أذيع سراً إن قلت أن الجيش وقوات الدفاع الشعبي في جنوب السودان في فترة من الفترات تعرُضوا لأبشع أنواع الإبادة الجماعية في حرب غير متكافئة، الأمر الذي جعل عدد كبير من (المجاهدين) المتمرسين أن يفكروا بشكل جاد في أنشاء ما عُرف بـ(القوات الخاصة للدفاع الشعبي) وقد نجحوا في هذا المسعى وقاموا بدور

كبير في تغيير استراتيجية و طبيعة الحرب التي تخوضها الحكومة ضد الجنوبيين، وجاءت فكرة انشاء هذه القوات بعد الفشل المستمر والمتكرر للحملات العسكرية التي تخوضها الحكومة.يعرف قادة الجيش السوداني في هيئةٍ الاركان في الفترة من ١٩٩٣–١٩٩٦م أن أعداداً هائلة من الكتائب العسكرية قد أُبيدت على بكرة أبيها، وبسبب ذلك استند (المجاهدون) في تأسيسهم للقوات الخاصة على أن الحكومة تحارب بأعداد كبيرة تفوق الثلاثة آلاف عسكري تدخل بهم في معارك خاسرة يًقابلها في الجانب الآخر جنوداً لا يتعدون الـ ٦٠ شخصاً وأحياناً أكثر أو أقل، برغم فارق العدد والعتاد نسبة لأن جنود الحركة الشعبية يحاربون على أرضهم وهم الأدرى بطبيعة الأرض وبيئتها.لذا أقول أن حديث (الرئيس) عمر (البشير) في امكانية العودة للحرب كالعادة لم يتم بدراسة ولا تفكيروقد تعود الرئيس الذي دائما ما (تشيلة الهاشمية) التحدث بدون وعي وإدراك لعواقب ما يقول، ويدفع الشعب السوداني كله أخطاءه التي تترتب عليها دماء غالية ستهدر كما هدرت من قبل في الجنوب وفي دارفور وفي شرق السودان، فلماذا لم يعي هذا (الرئيس) خطورة اقواله وأفعاله؟ وإلى متى هذا التخبط والشطط..؟؟.ولكن أود حقيقة من رئيس الجمهورية عمل الآتي:

• أن يذهب إلى فرع العمليات العسكرية بهيئة الأركان في القيادة العامة وأن يطلع بنفسه على خسائر الجيش السوداني منذ بداية الحرب في عهده الى أن توقفت بفعل (الضغوط الامريكية)، وأنا مدرك تماماً ومتيقن أن الرئيس سيغير رأئه تماماً وأنه سوف لا يقول كلمة (الحرب) مرة أخرى على لسانه، وله أن يتأكد من الارقام، كم فقد الجيش السوداني من أرواح، وكم فقد من طائرات مقاتلة وملاحيها، وكم فقد من الأسلحة والعتاد الذي لا يمكن أن يخطر ببال أحد من الناس العاديين..!!.

• وأن يذهب الى منظمة الشهيد المعنية بحقوق شهداء القوات المسلحة ليتأكد بنفسه كم من إمرأة ترملت، ومن طفل فقد والده، وكم أسرة لم تستلم حقوقها، وكم أسرة شهيد تابع للقوات المسلحة ولم تعرف مكان منظمة الشهيد حتى تنال حقها الشرعي. • وأدعو الرئيس الى زيارة مكتبة مؤسسة الفداء للانتاج الاعلامي التي كانت تنتج برنامج (في ساحات الفداء) وأدعوه الى تفحص الأشرطة الخام ووأن يعيش لحظات من مشاهد القتلى المنتثرين على أرض المعارك، والأشلاء الممزقة

هنا وهناك،وأطلب منه مشاهدة أشرطة متحرك (هديرالحق) الذي خاض المعارض في جنوب النيل الازرق منطلقاً من منطقة عداربيل وكيف أن أفراد المتحرك قد قتلوا الأسرى مع صرخات(الله أكبر) وقد حرقوا البيوت المصنوعة من القش (القطاطي).

• وأدعو عمر البشير وهو يدعو الى الاستعداد للحرب أن يجتمع مع جرحى القوات المسلحة ويستمع منهم شخصياً لمعاناتهم وأهليهم، وخاصة من الذين كانوا من ضحايا الألغام الأرضية.

• وكما أدعو الرئيس أن يذهب الى الجامعات السودانية ويستفسر عن أعداد الطلاب الذين خرجوا من الجامعة الى ميادين القتال ولم يعودوا اليها وكانوا من ضم الذين فقدتهم البلاد مع الجرحي والمفقودين.

• وأطلب من الرئيس أن يذهب الى قيادة قاعدة الخرطوم الجوية ويستفسر عن كمية الأخشاب التي كانت تأتي من الجنوب على طائرات الجيش لتباع في الخرطوم في حين يمنع الجرحى أحيانا من الصعود على الطائرة بسبب أنها تحمل أخشاباً للضابط زيد أو عبيد وبكميات تجارية وشخصياً أكثر من ثلاثة مرات وأنا قادم من جنوبا كنا نجلس في الطائرة على كميات كبيرة من الخشب المقطوع بعناية فائقة ومُعد للبيع في أسواق الخرطوم ولأجل ذلك شهدت العاصمة في فترة من الفترات انتعاش سوق السراير والكراسي الخشبية الملونة، وكان الخشب الخام يأتي في طائرات الجرحي والمعوقين، وهذا ليس خافياً على أحد وكانت تتم هذه المسألة (عينك يا تاجر)..!!!!!.

• وأطلب من الرئيس أن يجتمع بقادة السلاح الطبي في أمدرمان ويطلع على أعداد الجرحى الذين عالجهم من بداية الحرب حتى تاريخ أيقافها،، وأقول له "ذاكرتنا قوية جداً فلا زلت اتذكر أنه في العامين ١٩٩٥و ١٩٩٦م صدرت الأوامر بإخلاء كل من مستشفيات السلاح الطبي بجوبا وأمدرمان والابيض وبورتسودان لجرحى العمليات الذين فاقت أعدادهم كل حروب السودان منذ قيامه الى اليوم، بل حتى المستشفيات الخاصة في امدرمان استقبلت الجرحي مثل مستشفى (النيل الازرق) و(الملازمين) و،،،و،،،و،،؟؟!!.

وأقول للرئيس بأي روح تستعد للحرب..؟ وبأي حقائق تذهب للقتال.. وبأي

خطط عسكرية وأهداف استراتيجية..؟، ان قرار الحرب والسلم لا بد أن تتخذ بدراسة وافية من كل الجوانب وليس العسكرية فحسب، فالأرواح التي تخوض الحرب لها أسر ومجتمع يحتاج إليها، فالحرب ليس شهوة ولا نزوة شخصية الحرب دمار وقتل وفناء.لك أنت أيها القاري.نسمع الكثير من الناس يتألم على ما فقده السودان في معركة كرري التي أبيد فيها الآلاف من الرجال السودانيين نتيجة لتعنت من بيده القرار تماماً كما حدث ويحدث في عهد (الانقاذ) التي أدعت العمل على انقاذ الشعب فعملت على إبادته في الجنوب ودارفور.

ومن خلال تجربة قتالية في جنوب السودان ووسط أكثر من مائتي شخص كنا المتزوجين من كل هذا العدد لا نتعدى أصابع اليد الواحدة، وفي كل المتحركات العسكرية كان المقاتلين من طلبة الجامعات المختلفة شباب في عمر الزهور ومنهم حديثي التخرج من الطب والهندسة ومجالات كثيرة واعدة، ومنهم طلبة ثانوي صغار السن كانوا برفقتنا، فكنت كثير الاستغراب من هذه المفارقات، لكن المفارقة العجيبة كمية الدوافع التي يحملها الشباب في انخراطهم في القتال واستبسالهم ومرات كثيرة أقول في نفسي ماذا لو كل هؤلاء الشباب الطاقات القوية لو انها عملت من أجل نهضة السودان في الجنوب وفي الشمال وساير مناطق الوطن، ماذا لو أن كل هذا الحرص والموت في سبيل الفكرة ولو تحول هذا الاصرار الجميل والاندفاع الشديد الى الموت في سبيل أحياء السودان وجعله في قمة دول العالم..؟؟، كلن دائما أشعر بأن من بيد الحكم عليه أن يفكر أكثر في حقن دماء الوطن لمصلحة الوطن.وجاءت تلك التصريحات في الشهر الذي أبكي فيه كل عام وأزرف دموع الحزن السخية على مجموعة من الأخوة الأشقاء الأحباب الذين فقدناهم في مثل هذه الايام في جنوب السودان في العام ١٩٩٥ م، وكنا في شهر نوفمبر الأليم والذي زاده (الرئيس) ألماً وفجيعة، تأتي ذكرى الأحباء الى النفس الذي خاضوا أشرع المعارك منهم يوسف سيد وحمدي مصطفي والمعز عبادي وسلسلة طويلة لا تنتهي حتى جاء شهر ديسمبر ١٩٩٥ م حيث تواصلت قوافل الراحلين حسين سرالختم (دبشك)، والبادرابي،ومسيرة عثمان، المنصوري، ابوالقاسم عيدالروس، معاوية (أبوتراب)، لفيف متصل ذهبت بهم الحرب اللعينة.وعندما كنت أقراء في (الخليج) الإماراتية جزاء مقتطع من الخبر يقول "وأوضح الرئيس السوداني الذي تلقى البيعة من المجاهدين "تجديدا للعهد وصونا لمكتسبات الأمة وحماية العقيدة"، في لهجة حماسية، أن

انتصارات المجاهدين كانت بسلاح "الله أكبر" من المجاهدين والدبابيين والقوات المسلحة والشرطة الموجودة حتى حققنا الانتصار في جبال النوبة والنيل الأزرق وكان الانتصار المدوي في توريت".آآآه يا توريت كم فيك نجم رحل وكم ألف أسرة فقدت عائلها، وكم عشرة ألف طفل تيتّم، وكم ألف أم ثكلت، وكم زوجة ترملت، والكل يعلم عسكريين وغير عسكرين أن (توريت) كانت غالية أي كلفت الكثير من الرجال.لا نريد أن نتحدث عن الآثار الناجمة للحروب على المجتمع بكامله أطفالاً ونساءً ولكنني أحسب أننا في حاجة ماسة إلى فتح ملفات الحرب في جنوب السودان بكل الوضوح والأمانة وأحسب أن عدداً كبيراً من ضباط الجيش يمكن أن يتحدثوا في هذا الموضوع ويخرجوا ما في جعبتهم من معلومات، والتي يمكن أن تُكفر عن ذنوبهم، وأدعوهم الآن قبل الغد..وهذه دعوة مفتوحة وأهدف من خلالها جعل الشباب المتحمس على بيئة من أمره فإذا اختار قرار المشاركة في هذه الحرب يتحمل مسئولية هذا القرار، وليدرك الشباب أن هذه الحرب الذي يجيش لها ما هي إلا فتنة لتقل المعارضين للحكومة والوطن والدين منها براء..

٢٣ نوفمبر ٢٠٠٧م

# عندما يعيد الزمان نفسه
# الشهد والدموع في السياسة السودانية..!!

الخبر الذي تناقلته الأجهزة الاعلامية المحلية والعربية والعالمية عن التقارب بين المؤتمرين (الوطني) و( الشعبي) عن قرب إطلاق سراح أعضاء المؤتمر الشعبي، ونشرته (الشرق الأوسط) السعودية ووجد الاهتمام الكبير من القراء، وفي تحليله لهذا الحدث كتب الزميل الاستاذ حسن ساتي تحليلاً رائعاً لكن أعتقد انه جانب الصواب فيما أسسه من فهم حول العلاقة بين المؤتمرين، واصفاً الطرفين بـ أحمد وحاج أحمد، وحاول الكاتب أن لا يُوجد ثمة اختلافات بين (أحمد) و(حاج أحمد) سواء كانت فكرية أو سياسية أو تلك التي صنعتها الأحداث والخلافات التي جرت بين الشقيقين، وقال ما معناه أن كُل ما في المسألة أن (أحمد) عليه أن يعفو عن السجناء وأن يُعوض شقيقه (حاج أحمد) بدراهم معدودة، و(يا دار ما دخلك شر)، وفي هذا المنحى أجد أن الزميل الاستاذ حسن ساتي قد هون كثيراً من العلاقة بين الشقيقيين، وقد يكون مُحقاً خاصة بعد الإرتياح الكبير لبعض عضوية المؤتمر الشعبي لهذه الاخبار.

لكن .. ما إدري السبب الذي جعلني أستحضر مسلسل مصري قديم شاهدته على ما أظن في بداية الثمانينيات وانا لم ابلغ العشرون عاماً بعد، وكتب المسلسل الرائع الفنان أسامة أنور عكاشة وما أدراك ما أنور عكاشة، والمسلسل معروف كل السودان شاهده (الشهد والدموع) وهو الأول في حياتي الذي تابعته على مدى الثلاثين حلقة بكيت فيه بكاءً حاراً وكأني جزء من أسرة القصة وقد اشتهر هذا المسلسل دون المسلسلات المصرية بالواقعية الامر الذي جعل دموع المشاهدين كالمطر تجري بين مشهد وآخر، وقد كتب عكاشة بعدها مسلسلات عديدة مثل الراية البيضاء - ليالي الحلمية - ضمير أبلة حكمت - آرابيسك- أميرة في عابدين- أحلام في البوابة- عصفور النار- وقال البحر، هي من أجمل المسلسلات العربية على الاطلاق وقد عُرف عن أسامة أنورعكاشة قيادته لمسيرة كتابة السيناريو في الوطن العربي التي تصور الواقع بكل ما فيه من صُور.

والمسلسل -الشهد والدموع- حقيقةً يُعبر عن العلاقة بين (أحمد) و(حاج احمد)

ويا سبحان الله التاريخ يعيد نفسه.. ذات القصة (الشهد والدموع) تجري على مسرح السياسية السودانية، ذات الحبكة والدموع والظلم والظلمات والفجيعة والحقد والكراهية، وأرجو ان يفهمني القاري الكريم أنا لا أقصد ألبته أن أضع )المؤتمر الشعبي) في خانة المظلوم و(المؤتمر الوطني) في خانة الظالم وإن كانت الصورة من ناحية سياسية متقاربة بين المشهدين.

أخوتي القراء الآن أترككم مع كلمات الأغنية التي صاحبت بداية المسلسل (الشهد والدموع) وكيف انها تعبر عن أحمد وحاج أحمد في السياسة السودانية وما وقع فيها من أحداث..!! تحت نفس الشمس وفوق نفس التراب كلنا بنجرى ورا نفس السراب كلنا من أم واحدة.. أب واحد.. دم واحد بس حاسين باغتراب الحقيقة نار تعيش تحت الرماد في ضياها بهتدي لحلمي وخيالي والمحبة تفجر الروح ف الجماد وبمحبة قلبي حا أقدر ع اللياليبيا زمان الغربة مهما حا تكاسرناحلمنا حانحققه مهما خسرنا طول ماخيرنا لغيرنا حتى لو رحلنا بالحياة حا نمد لينا جدور مسيرنا من حنان الحب هل الغل جانا من مرارة الغل جلجل صوت رجانا نبكى من الغل اللي بعكر حياتنا ولا من الحب اللى هدهدنا وشجانا وتدور أحداث قصة (الشهد والدموع) حول أخوين، والأصغر كان هو صاحب المال والمحلات التجارية الكبيرة وعندما توفى قام الشقيق الأكبر بتحويل كل ورثته لمنفعته الخاصة ومنع أولاد شقيقه من التمتع بأموالهم، بينما قام هو بالاستفادة من ورثة شقيقة الاصغر وعاش هو وأولاده في مستوى عال من الرفاهية وبحبوحة العيش، فيما تكبد أبناء شقيقه مرارات الفقر والحاجة، وعندما كبر كل الأبناء من الشقيقين، اشتعلت النار في دواخل أبناء الاخ المتوفي، وكانوا يرون عمهم وهو يستمتع بالمال مع أولاده، بينما هم لا يستطيعون لذلك سبيلاً، فكبر الأبناء وكبر معهم الحقد على عمهم، ومن فرط الحاجة مرضت الأم وأصبحت تعمل (خياطة) في البيت لتعيش أبناءها الذين ربتهم على قيم الاخلاق والفضيلة، التي قام عليها أبناء المتوفى جعلت أحد بنات العم تعشق أكبر أولاد عمها المتوفي وتزيد من مآسي الإحساس بحاجة كل منهم للآخر، فكانت الأحقاد التي حملها الأبناء في دواخلهم تجاه عمهم تمنع وجود أي تفكير في الزواج من بعضهم البعض، وتتعقد الحياة لدى الطرفين. وقد أراد كاتب السيناريو الفنان أسامة أنور عكاشة أن يقول أن الأحقاد التي تسكن في القلوب تزداد قوة مع الأيام، وأن هذه الاحقاد لا تُمكن من رجوع المياه إلى مجاريها، ومهما مرت الأيام وحاول الناس نسيان الماضي لا يُمكن أن تُمحى من

الدواخل..!! وقد أكدت ذلك كلمات نهاية المسلسل تلخيصاً لما ذكرت آنفاَ نفس الشموس بتبوس على رؤوسنانفس التراب يحضن خطاويناطب ليه بنجرى ونهرى فى نفوسناوليه نعيش ناكل فى بعضينايا غربتي بين صحبتي وأهلييا توهة الروح ف زمان مجروحبهدهد الأحلام على مهليياخوفي قبل ما تيجي عمري يروحآدى الحقوق وآدى اللى طالبينها والحق تاه فى الباطل البطالوقلوبنا تاهت عن محبينهاونجومنا عالية بعيدة ما تنطال. المسلسل غاية في الروعة وتسلسل الأحداث وهو يمثل أحد روائع الثنائي أسامة أنور عكاشة. واسماعيل عبد الحافظ، و (الشهد والدموع) حكاية جميلة رصدت تاريخ مصر السياسي مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، و جيل الثورة وجيل النكسة والنصر والانفتاح، وقد نقل كل ما يدور في المجتمع المصري من تطورات اجتماعية واقتصادية، والمسلسل حظي بعدد كبير من فطاحلة الشاشة المصرية أمثال الفنان القدير حمدى غيث (الأب المبدع)، محمود الجندي ويوسف شعبان (اختلاف الطباع بين الأخوين) وتماماً هنا يمثلون أحمد وحاج أحمد المؤتمرين الوطني والشعبي بكل ما فيها من طباع، عفاف شعيب ونوال أبو الفتوح (زينب ودولت هانم)، خالد زكى ونسرين (قصة الحب الرهيبة وعلاقة الوالدين المتوترة)، إبراهيم يسرى و ليلى حمادة وماجدة حمادة (جيل ضاع بين زحمة المشاكل السياسية التي أدخلته في دوامة لا تنتهي). والمسلسل في كلياته يتحدث عن الحقوق الوطنية الضائعة بسبب الممارسة السياسية والتي أدت بدورها إلى قضايا اقتصادية معقدة تأثر بها الشارع أيما تأثير.

ولكن ماذا عن مسلسل (الشهد والدموع) السوداني وهل نصدق حديث الاستاذ حسن ساتي بأن أحمد وحاج أحمد لا خلاف بينها غير اطلاق سراح المعتقلين و تقديم بعض التعويضات..؟؟؟ وأنا هناك اختلف تماماً مع هذا القول وهذا التحليل ذلك لأنه يخالف الحقيقة المرة، فقد حدث شرخ كبير للغاية بين الطرفين فهناك مظالم وقعت،،، وهناك دماء أريقيت،،، وهناك أواصر قربى تقطعت، إن المسألة أكبر من اطلاق معتقلين وأكبر من تعويضات تقدم للحزب، و ليس كما يعتقد الكاتب حسن ساتي، نعم بامكان حزب المؤتمر الشعبي التصالح مع الحكومة والجلوس معاً في طاولة واحدة لكن أشك في قدرة الكثيرين من تجاوز مخلفات الفترة الماضية. حتى لا أبيع للناس أوهاماً أضرب مثلاً بمجموعة قصص صغيرة.. كانت قوات الأمن تداهم منزل إحدى الاخوات وهي زوجة أخ مطارد من الامن وكانت لوحدها مع أطفالها الصغار

وهم نيام يأتي أفراد الأمن ويدخلون البيت بقوة السلاح، و الاخت وهي كادر اسلامي يشهد لها ولأسرتها وإخوتها بالصلاح في سلك الحركة الاسلامية. العديد من الأسر تعيش من غير رجل في البيت كانت تداهمهم أفواج الامن في منتصف الليل وتقلق مضاجعهم ولا تراعي فيهم إلا ولا ذمة..هل مثل هؤلاء يمكن ان يكونوا يوما رصيداً للمؤتمر الوطني، أو جناحا من الاجنحة المتحالفة معه..؟؟. الأجهزة الأمنية قامت بتصفيات جسدية لبعض الذين لهم علاقة بمحاولة إغتيال الرئيس المصري وبعد الانفصال خشئ من بيديه السلطة على خطورة المعلومات التي بحوزتهم فقاموا بتصفيتهم، هل أسر وعوائل هؤلاء يمكن أن يعيدوا المياه مع المؤتمر الوطني...؟؟. تم اعتقال البعض في منتصف الليل وهم في حياتهم الخاصة مع زوجاتهم.. تم طرد البعض من البيوت التي كانوا ساكنيها وتم رمي أغراضهم في الشارع مثل ما حدث لمحمد الأمين خليفة وغيره كُثر. وهناك قصص أغرب من الخيال..!!! لكن كل شي في السياسة جائز كما يقول محمد حسنين هيكل، لكن في الحالة السودانية لا اعتبر ذلك جائز لأن أعضاء المؤتمرين (أحمد وحاج أحمد) ربطت بينهم علائق الدم والرحم والمصاهرة وعندما تفرقوا في الرابع من رمضان فعلوا بأنفسهم ما لم يفعله أحد من العالمين على مدى اللتاريخ البشري. لكن الغرابة تُكمن في أن تعود المياه لمجاريها بين أحمد وحاج أحمد حقيقة وتستمر ولا يعكر صفوها شئ..!!.

٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٩

# شــيء فظـيـع..!!

يعيش مؤيدو الحزب الحاكم في السودان وأهل السيد الرئيس عمر البشير هذه الأيام مهرجانات من الفرح والسعادة وأعراساً من البهجة والحبور ولا تكاد تسعهم البلاد بما رحبت، البهجة بالسيد الرئيس المترشح لرئاسة الجمهورية بعد أكثر من عقدين شهدت فيها البلاد المآسي والكوارث، والذي يرى المهرجانات السياسية للحزب الحاكم والنشوة التي ترتسم على مؤيديه وهستيريا الرقص الرئاسي يخيل له أن البلاد لم تفقد ٢ مليون قتيل على أسوأ الفروض في حربي الجنوب ودارفور، وأن السودانيين كلهم داخل البلاد ليس فيهم نازح ولا مشرد ولا مهاجر،وأن المعتقلات خالية تماماً من السياسيين ومن النساء والأطفال، ولا الآلاف من الذين أحيلوا للصالح العام ظلماً، وأن سجلات منظمة الشهيد تخلو من أعداد الشهداء ٥٠ ألفاً راحوا ضحية الحرب في الجنوب وحدها، وأن البلاد تخلو من جرحى الحربين المذكورتين أكثر من ٩٠ ألف جريح بينهم أكثر من ٣٠ ألفاً بترت أطرافهم بفعل الألغام.. الآن يواجهون المشقة وذل سؤال المنظمات الخيرية.

والذي يرى السيد الرئيس وهو يرقص مُحاطاً بزوجتيه ويعرِض مع نساء المؤتمر الوطني في أول سابقة لرئيس سوداني في تاريخه الحديث، لا يتَخيل معها أن عشرات الآلاف من الأسر السودانية ولا نقول ملايين قد فقدت المعيل وأصبحوا في مهب الريح وتشتت بغياب المعيل الأسر شذر مذر، وقد سكن الحزن المقيم كل هذه البيوتات السودانية وعم الإحساس بالغبن وانتشرت بينهم عبارات الاستنكار بل رفع الأكف لرب العزة أن ينتقم ممن كان سبباً في إذلال الناس وضياع حقوقها وقهرها بقوة السلطان، بعد أن أبعدوا كل خُلص السودان في الجهاز القضائي وأتوا بمن أساءوا لسمعة أفضل وأنظف جهاز قضائي في العالم العربي بأن أدخلوا أول سابقة في تاريخه بأن يكون للقاضي نسبة من مبالغ الغرامة التي يصدرها بحق المحكومين في القضايا المختلفة.

الذي يرى الرئيس عمر حسن البشير يرقص فخوراً وسط الجماهير المُغيبة وسط أنغام الموسيقى لا يتخيل أبداً أن تحدث في عهده جرائم القتل من أفراد جيشه

ويُمنع القضاء من رد الحقوق لأهل القتيل.

**إغتيال عُلماء المستقبل..!**

العالم الصغير الشهيد غسان أحمد الأمين هارون الذي قضى نحبه ضرباً مبرحاً في معسكَر التدريب الموحد بجبل أولياء بعد يومين من تسليم نفسه وحياته طواعيةً لأداء الخدمة (الوطنية) وهو في سن الـ ١٧ لا يتخيل المرء أنه مات ضرباً في دولة المشروع الاسلامي..!!.

كما لا يتصور المرء بأن دولة (الاسلام) في السودان التي تبث المدائح النبوية وآذان الصلوات الخمس وتنقل صلاة الجمعة في بث مباشر رفضت محاكمة الذين قتلوا الشهيد الذي كان يتوقع له الجميع أن يكون من العلماء الذين يرفعون شأن الأمة، وقد بانت إرهاصات نبوغه منذ صغره وكان من ضمن أوائل الشهادة المتوسطة على مستوى السودان، وأيضا كان من ضمن قائمة الشرف في الشهادة السودانية للعام للدراسي ١٩٩٩–٢٠٠٠م، لكنه رحل في فاجعة غريبة الأطوار قبل إعلان نتيجة الشهادة.

**القتل مرتين..!!.**

لم يقتل الشهيد غسان مرة واحدة..بل مرتان..!!.

الأولى عندما قتلوه ضرباً مبرحاً في معسكر التدريب الموحد بجبل أولياء يوم ٢٩ مايو ٢٠٠٠م، وأكد التقرير الطبي لمشرحة مستشفى الخرطوم والذي وقّع عليه الدكتور عبدالله عقيل سوار مدير المشرحة ضم أكثر من مفارقة إذ ضُرب العالمِ الصغير بقسوة غير مبررة نجم عنه نزيف داخلي في الرأس أدى إلى وفاته.

وقُتل الشهيد في المرة الثانية عندما صدرت نتيجة الشهادة السودانية وتم أخفاء نتيجته الحقيقية حتى لا تفجع الأسرة مرة آخرى، وبما أن الحقيقة كالشمس لا أحد يستطيع حجبها عن الناس اكتشفت الأسرة بأن الشهيد كان من ضمن الذين أحرزوا مرتبة متقدمة للغاية أكثر من ٩٣٪ بينما النتيجة التي بلغوا بها من الوزارة لا تتعدى الـ٨٦٪ أو ٨٧٪ إمعاناً في اغتيال الأرواح والاستهانة بها دون اعتبار لدين أوعُرف أو مخافة من رب، ولا احترام لشعار الدولة الذي ترفعه في كل الملمات.

لكن دعونا نطالع كلمات أبوالشهيد غسان الدكتور المهندس أحمد الأمين هارون المحاضر بإحدى الجامعات السعودية والذي عبر عن هذه الفاجعة كتابةً بعد إصرار مجموعة من أصحابه واهله وعشيرته..

فقال أبوالشهيد:

"غسان أحمد الأمين هارون هل هناك من يتذكره غير أصحابه وأهله وأصحابهم؟.. انه ابن السابعة عشرة الذي كانت تملأ جوانحه الثقة والتفاؤل ، والذي راح ضحية ظروف غير عادية ظهيرة الاثنين التاسع والعشرين من مايو ٢٠٠٠ بمعسكر جبل أولياء الموحد لطلاب الخدمة الإلزامية .. قضى نحبه في ظرف ٤٨ ساعة وهو الذي شهد له بكمال الجسم وقوة الاحتمال والأدب الجم (كما وصفه بذلك أستاذنا الجليل محمد عبد الرحيم)".

ويواصل أبو الشهيد غسان الحديث حول فاجعة ابنه التي هزت المشاعر وأدمعت المُقل:

لقد كان لقائي الأول بالأستاذ محمود حاج الشيخ قبل أقل من العام وأنا ينتابني حزن دفين وأمر بمحنة وألم حقيقي ليس بسبب وفاة ابني غسان فقط، فالموت حق، ولكن بسبب ذلك التقرير الذي خطه قلم الطبيب الشرعي، لقد سعيت لمقابلة وزير العدل ولكن وجهني للمدعي العام الذي أظهر تعاطفاً وحماساً استمده من حماس الوزير وتخيلت بأن قضية وفاة ابني ستُحسم في يومين ولم أدر وقتها بأن سنة واحدة غير كفيلة بكشف المستور، وأنا في تلك الحالة أدركت بأن الطريق إلى الحقيقة درب شاق وطويل أحتاج فيه إلى الدراية والمعرفة القانونية بعيداً عن العاطفة الأبوية، نُصحت بأن أقابل الأستاذ محمود حاج الشيخ عمر، وكم كان من أرشدني إلى الأستاذ محمود مُحقاً وصادقاً في وصفه لي، قابلني الرجل وشقيقي د. حمزة هارون بمودة خففت عني بعض ما أحمل، وانتابني شعور جميل ومريح بأني وجدت ضالتي.

بعد قليل من الكلمات ناولت الأستاذ التقرير الطبي وكان يهمني كثيرا أن أتحسس تعابير وجهه لأرى كم سيتعاطف مع همي، وكم كانت دهشتي عندما رأيت الدمع يسيل من مقلتيه فأخرج منديلاً وخرج من المكتب وتركني وشقيقي لعشر

دقائق خلتها ساعات وأنا أتالم لألمه من جراء ذلك التقرير، رجع الأستاذ وكانت شفتاه تنطق بكلمتي "شيء فظيع".

شيء فظيع..!!

تصور أخي القارئ بأن كل من قرأ تفاصيل التقرير الطبي لتشريح جثمان الشهيد أصابته موجه من البكاء، وحقيقة أبداً لم أصدق نفسي أن يحدث هذا في عهد(الإنقاذ) التي بذلنا فيها الغالي والنفيس وسنوات العمر التي لا تعوض، والدماء الطاهرة الزكية التي باعت نفسها من أجل دولة الحق والعدل والمساواة بين الناس، هذا التقرير بكل ما فيه سلمت منه أول نسخة للكاتب إسحاق أحمد فضل الله، في تلك اللحظة كنا زُملاء وقد تشاركنا العمل سوياً في أكثر من موقع..لكن هل يسمع من به صمم..!!

صمت إسحاق صمت القبور ولم ينبث ببنت شفة حول مقتل الطفل العالم الصغير غسان أحمد الأمين هارون، وكعادته كان مشغولاً بتصفية الحسابات مع الآخرين يشتم هذا ويسب ذاك، لم يرى أبداً بأن (النظام) قد انتهك حرمات وقتل الأبرياء لأنه من أكثر المشاركين فيه.

عمر البشير وهو يرقص هذه الأيام بفرحة غامرة لا يعلم أن غالبية أسر الذين قتلتهم (الإنقاذ) يرفعوا أكفهم لله تعالى ليس في بيوتهم فحسب بل يذهبون لأداء فريضة الحج ولا يضيعون فرصة لأداء العمرة، ولا يعلم سيادته ما يدعو به هؤلاء المظاليم وهم بين يدي الله تعالى..!!.

لكن تعالوا لنعرف ماذا كتبت أم الشهيد غسان الأخت الفضلى سميرة عبداللطيف مرسي..

بكلمات حزينة وباكية تظهر بين حروفها عمق الفجيعة، كلمات واثقة من قدرة الله على انتزاع الحق ممن قتلوا ابنها النابغة ولو طال الزمن..كتبت تقول:

قوم بينا نمشي للبقعة ألفيها ذخرينا.. سيد الكونين
من البعثة رجعنا للأوطان.. من أمريكا الما فيها أمان.. وخاب أملنا في عزة السودان
يقتص رب العباد... ينصفنا في يوم الميعاد... وللآخرة يبقالنا زاد

يشرفنا مصيبتنا ما في الدين..في الحق وصدق اليقين..قوم بينا للبلد الأمين
نشهد ليك على رؤوس الأشهاد....
استضعاف وظلم للعباد..أما التقوى فهي خير الزاد
ابني طالب هم أصحاب سلاح...ود خلائف وأهل صلاح...زهق الباطل وفاز بالفلاح
قوم بينا ثاني ما في قول...قوم بينا دي جامعة البترول...توصلنا لي بلد الرسول
فوضنا أمرنا للرحمن...تصبرنا ده إكرام غسان...يجمعنا في أعلى الجنان
قوم بينا خارج الحدود...قوم بينا ما العمر محدود....قوم بينا ده طريق مسدود
قوم بينا وثاني ما في قول... قوم بينا ده مصير مجهول..دي قضية ما في ليها حلول
قوم بينا قلوبنا موجوعة.. قوم بينا وشكوانا مرفوعة...وعند الله فلذتنا مودوعة..
قوم بينا أصبحنا موسوعة...عند الله أعمالنا مرفوعة...قوم بينا يلاقينا دفوعة
قوم بينا ده انتهاك حرمات...شهيد عِلم في المشرحات...استشهاد ودي مبشرات
فات الدنيا ولابس الدمورية..عنده إعفاء ما اهتم ليه..ده صدقه يبلغ السرية
أسأل الله يكتبنا من الشاهدين..يشفي غليلنا ونكون مع الصابرين..
وبالجنة نكون من الفائزين

## الرقص وسط دعوات المظلومين

لا أدري كيف يرقص سعادة الرئيس عمر حسن البشير وواحدة من أُسر الشعب السوداني تحمل كل هذا الحزن والشعور بالظلم..؟...

كيف يرقص عمر البشير وهو يقراء معنا هذه الكلمات المعبرة عن حجم المأساة والغل الذي سكن دواخل الناس، مبتهجاً مع مؤيديه الذين زينوا له الباطل فقتل نظامه ما قتل من الشعب السوداني..!!.

هذه أم واحدة فقط..!!.

فكيف بالله حال أمهات ضحايا معسكر العيلفون الذين ضربوا بالسلاح وأردوا قتلى..عشرات من علماء المستقبل راحوا ضحية لأفكار شاذة لا تعرف الرحمة ولا تشعر بالأبوة ولا تدرك معنى إنهاء حياة إنسان له طموح ورسالة في هذه الدنيا.

كيف بالله شكّل الغُبن في صدور أمهات وأخوات ضباط ٢٨ رمضان..الذين إلى هذه اللحظة لم يعرفوا أين دفنوا..ولم تُسلم أغراضهم الشخصية ولا وصاياهم..!!.

ويتحدث قادة النظام عن النزاهة والشفافية والعدالة..!!.

**دولة الكذب..!!.**

في مقالات سابقة من خلال قراءات لمفهوم النفاق والكذب ومن واقع ممارسة النظام للحُكم في بلادنا وصفت نظام (الانقاذ) بدولة الكذب والنفاق، واليوم وأنا أتابع حملات حزب المؤتمر (الوطني) للفوز برئاسة الجمهورية شاهدت عدداً كبيراً من مخاطبات الرئيس عمر البشير للتجمعات الجماهيرية وكنت حريصاً على تحديد مكان الأكاذيب في حديث الرئيس وقادة حملته الانتخابية.

تحدث سعادة الرئيس البشير حول النزاهة في العملية الانتخابية وأكد في كل خطاباته المتلفزة وتلك التي تكررها قناتي (الشروق– النيل الازرق) بأنه عازم على أن تكون الانتخابات نزيهة وشفافة، أيضاً نائبه علي عثمان محمد طه قد كرر ذات الكلام، لكن قنوات النظام الفضائية تفضح هذا الكذب الرخيص إذ يظهر عمر البشير كل ساعات اليوم على الشاشات متبختراً تارة وآخرى راقصاً..وباقي مرشحي رئاسة الجمهورية لا يجدون مثل ما يجد عمر البشير من ظهور فضائي لمخاطبة جمهور الناخبين..ولا تزال قناتي الشروق والنيل الازرق تكرران حديث الرئيس حول شفافية ونزاهة الانتخابات وبرغم أن هناك جهات تعمل الآن في مراقبة الانتخابات وترصد كل ذلك إلا أن عدم الحياء و اللعب على الذقون بات أمراً مُخيفاً..!!.

قادة المؤتمر الوطني ومؤيديه الذين ينشطون هذه الايام في أجهزة الاعلام وفي المواقع السودانية على شبكة الانترنيت يسودون الصفحات بالكذب الصريح على الناس، مثلاً عبدالرحمن سوارالذهب رئيس حملة عمر البشير الانتخابية قال كلاماً في لقاء جماهيري على الهواء مباشرة والله العظيم كلاماً مقززاً. ومؤلماً في ذات الوقت إذ قال بلسانه:

عمر البشير هو الذي أتي بالسلام في السودان..

وأن عمر البشير هو السوداني الوحيد المؤهل لحكم السودان وقيادته نحو التطور..

قال سوار الذهب كلاماً كثيراً يخالفه فيه الواقع والمنطق.. وحكاية أن البشير هو

الذي أتى بالسلام في السودان كذبة كبرى، وإذا قلنا اتفاقية نيفاشا يعلم كل متابع أن الادارة الامريكية بقيادة الرئيس السابق جورج بوش قد دفعت كل مصاريف منتجع نيفاشا من أكل وشراب وإقامة طيلة أيام المفاوضات..ليس هذا فحسب بل ضغطت على الطرفين من أجل التوصل لاتفاقية سلام وقامت بتهديدهما إن لم يصلا لاتفاقية في وقت محدد..فكانت الاتفاقية.

أما اتفاقية الدوحة الاخيرة للتصالح مع حركة العدل والمساواة أملتها ظروف الفوز بانتخابات رئاسة الجمهورية، علاوة على أن الوفد الحكومي أزعن لكل مطالب الحركة الدارفورية بكل ما فيها من شروط لأنه رفضها قبل سنوات، بل رفض دفع التعويضات لأهالي دارفور المتضررين من الحرب والآن وافقت حكومة المؤتمر الوطني على كل شروط العدل والمساواة وستدفع الحكومة أضعاف المبالغ التي رفضتها بعنجهية في أوقات سابقة.

### كثرة الهتيفة والمصلحجية..!!.

لم استغرب حقيقة من الجموع الهادرة التي تقف إلى جانب الرئيس عمر البشير لأن التجارب علمتنا عدم الاعتداد بالكم، وقد شهدت حادثة السادس من يوليو ١٩٧٦م وعمري ١٣ عاماً، ولما كنا على شارع الوادي فإن سكان أمدرمان القديمة كانوا غالبيتهم في تلك الجمعة وقوفاً في الشارع فذات الجموع التي هتفت لـ (المرتزقة) مؤيدة وفرحة بالتغيير هي ذات الجموع التي هتفت لجعفر نميري بعد ساعات قليلة (عائد عائد يا نميري) وكنت ضمنهم هتفت فرحاً صبيانياً باندحار نظام مايو، وكنت أيضاً اهتف فرحة بعودة مايو..!!.

بالطبع المقارنة بين النميري والبشير لا مكان لها..فالنميري عليه رحمة الله مات في بيت أسرته ولم يكن له فلل لا في كافوري ولا في الخارج..

زوجة النميري السيدة الفضلى بثينة خليل لم تكن تظهر في لقاءات الرئيس الجماهيرية ولم ترقص معه في الشارع، وحتى وفاة زوجها الرئيس الأسبق للبلاد لم يكن لها بيتاً حسب علمي وأعرف الكثير من آل نميري في ودنوباوي حيث نسكن، وبثينة خليل امرأة عادية لم تمتلك الاستثمارات ولا العقارات في دبي ولا ماليزيا ولا في ودنوباوي.. ويكفي أن النميري لم يشرك أهله في السلطة ولم نعرف إي من آل

نميري كان في السلطة المايوية..والناس تعرف كم من آل حسن أحمد البشير هم الآن في السلطة بل أسسوا أكبر شركات التصدير والاستيراد.. والذي نعلمه في ذلك كثيراً، مما يدل على الجهل وعدم الاعتبار من آل صدام حسين وغيره..!.

هذا هو التاريخ القريب..

وعندما نشاهد في الفضائيات احتفالات الحزب الحاكم ونرى قادته يمضغون في الحلويات والتمر ويبتسمون للكاميرات تظهر علامات النفاق في وجوه القوم الذين ما فتئوا يتحدثون عن الشريعة الاسلامية وعن حاكمية الاسلام، وهم الذين صنعوا الطاغوت في شخصية المؤتمر الوطني بقادته وشخوصه ومؤسساته، كما يقول مؤلف كتاب (انهيار الإنسان في القرآن الكريم– سعيد الشبلي) "إن الطاغوت هو الابن الشرعي لعقيدة النفاق، والمجلى الأصفى والنتاج الأصيل لمنهجها ولمقولاتها، فما استحكم نفاق إلا وظهر طاغوت ليصبح بدوره قيماً على هذه العقيدة يرعاها، ومشرفاً على الأنفس يذيقها ما يسقمها ويوجهها بالكبر والاستعلاء نحو الذل والهوان حتى تؤول إلى الدمار ويصيبها المرض القاتل، مرض القلوب، والطاغوت لا يرعى إلا في مرعى النفاق، فيه ينتعش ويترعرع ويقوى حتى يُصبح جباراً لا يُقتدر عليه، وإرهابياً لا تحلو له الحياة إلا من دماء الأبرياء وانتهاك حرمات الأتقياء".

ومصداقاً لحديث المؤلف..قبل سنوات سألت أحد الإخوة في السودان ينشط داخل دوائر الحزب الحاكم سألته عن سبب عمله في الحزب الحاكم وهو يعلم تمام العلم فساده وتكبره وتجبره وممارسته للأساليب الفاسدة في تعامله مع الناس وخاصة الذين يحاولون الخروج من عباءته..قال لي الاخ "أنت تعلم اني محمول ولي بنات كلهن في مراحل التعليم المختلفة إضافة لطفلين..ليس لي مفر من العمل مع المؤتمر الوطني".

حقيقة هناك العشرات من الناس في الحزب الحاكم يعرفون أن مجرد التفكير في الخروج عن الحزب يعني لهم دمار حياتهم لما يجده العُضو من امتيازات، خاصة إذا كان إعلامياً أو تقنياً أو سياسياً لامعاً أو صاحب لسان طويل وحنجرة قوية، لذلك تعتبر فترة ظهور النفاق واستشرائه في قلوب الناس فترة ازدهار الطاغوت أيضاً وتمكنه من أسباب السُلطان، ونشر هيمنته على العباد والبلاد، فإذا ظهر الطاغوت

وجعل من نفسه إلهاً معبوداً، اضطر من تحته جميعاً إلى النفاق، ولا يمكن إلا للمنافقين وحدهم أن يصلوا لله وأن يسجدوا في نفس الوقت بين يدي الطاغوت.

إن النفاق هو الإيمان بالله بدون كفر بالطاغوت، وذلك بالضبط ما يلائم أوضاع هذه المخلوقات التائهة العابدة للهوى مُصرة على حب الدنيا ولو بذلت في سبيلها الآخرة وما فيها، ليس عجيباً أن نشاهد اليوم من خطاب للحزب الحاكم الذي اتسم بقلة الأدب الإجتماعي والسياسي لذا سمعنا شتائم قادة الحزب بدءاً من الرئيس نفسه مروراً بمصطفى عثمان اسماعيل وصلاح قوش ونافع علي نافع، والذين تابعوا خطاب المؤتمر الوطني للمواطنين يدركون انه مجرد كلام لامناص في الحقيقة من أن يصبح البرنامج النفاقي برنامجاً كلامياً مادام يصدر عن ظواهر كلامية، وذوات وهمية، لا عن كيانات حقيقية متجذرة في الحقيقة والواقع، ولا مناص من أن يدخل المنافقون ويدخلون معهم من تبعهم في رحى الوهم والخيال المريض ليخرجوا بعد تجربة الكراهية والحقد الأسود على من يخالفهم الراي، كيانات متعفنة مريضة سوداء فاقدة للنور، ناقمة على كل مؤمن مستنير مرتبط بالحق وبالواقع برباط ثابت حديد، وعندئذ، يبدؤون حرباً لا هوادة فيها من أجل نشر الظلام وتدمير كل أثر للنور وللحرية، ولوأد أولئك المستنيرين والزج بهم في أعماق السجون والمعتقلات كي يستقيم لهم الأمر، لا ليفعلوا شيئاً أو لينجزوا عملاً، بل لكي يخلدوا إلى ليل ظلماتهم وإلى شهواتهم البهيمية التي صيرتهم كالأنعام أو أضل سبيلا..قتلوا الآلاف من أبناء الشعب السودان ولا يرون أنهم فعلاً شيئاً..!!.

فعلاً.. شيء فظيع..!!.

٣ مارس ٢٠١٠م

# الحزن المقيم في دواخل الشعب السوداني..!!

يدفع الشعب السوداني هذه الأيام من دمه تمويل الحملة الانتخابية للمؤتمر الوطني قهراً فها هو سعر السكر مادة المسحوقين الأولى التي يستعينون بها في تعويض دمهم المحروق سواء بكوب ليمون أو شاي قد ارتفع سعره ليصل إلى ٢٠٠ جنيه في بلد فيها أكبر مصنع للسكر في الشرق الأوسط وإفريقيا إضافة لأربعة مصانع أخرى، علماً بأن سعر رطل السكر المهرب من ارتريا الواصل من كوبا يقل سعر جواله بأكثر من النصف عن سعر شوال السكر السوداني، والقوم لم يقف بهم عدم اكتراثهم لآدمية الشعب السوداني عند هذا الحد حيث أمرت الحكومة الولايات بصرف المبالغ الطائلة لحشد الناس للتسجيل للانتخابات والنساء على وجه الخصوص، وكما هو معروف حسب عقلية النظام الحاكم أن والي الولاية هو رئيس حزب المؤتمر الوطني (الحزب الحاكم) إذاً كل ولاة السودان هو الذين يقودون الحملات الانتخابية وبميزانيات وامكانيات (الدولة) التي هي أموال الشعب المغلوب على أمره، والذين عايشوا الانتخابات الطلابية في الجامعات (١٩٨٦-١٩٨٩) يدركون تماماً طريقة الجماعة الحاكمة وخبرتها في التزوير واستخدام كل الأساليب البعيدة عن الدين الاسلامي الحنيف في كسب النتيجة واستخدام سلاح (السيخ) الذي لم أسمع به كغالبية الناس لكنني عشته بنفسي أعوام عدة وخاصة في انتخابات جامع القاهرة فرع الخرطوم في الفترة المشار إليها آنفاً.

الآن خزينة (الدولة) هي التي تمول ميزانية الحزب الحاكم في خوضه لهذه الانتخابات التي يعول عليها في اخراج البلاد من أزماتها المتلاحقة كأنهم يقولون للناس اشتروا العذاب بأموالكم غصباً عنكم لفترة قادمة، وعلى المرء أن يقيس كثير من المتطلبات الأخرى فهذه الدولة أبخل من أن تقدم لهذا الشعب شيئاً مجانياً أو مدعوماً حتى الطرق تم تشييدها من مال المواطن وتلك التي تم تشييدها من قبل حكومات سابقة مازالوا يستقطعون عليها رسوم دخول السيارات بين محافظة وأخرى، ولا أحد يعلم أين تذهب جباياتها، ولو صرفت على الطرق لأنارت ووسعت طريق الخرطوم بورتسودان.

الله سبحانه وتعالى كما يقول إخواننا الخليجيون "لا يضرب بعصا"، وسيأتي على

هذه الثلة الحاكمة أمر الله من حيث لا يحتسبون، فهم بلغوا من العُتو والاستنكاف عن الحق المرحلة التي بلغها نوح مع قومه حين آيس منهم فدعا الله ألا يجعل عليها منهم دياراً لأنهم سيضلوا العباد ويفسدوا البلاد، سيقول البعض بأنه لا علاقة بين هؤلاء وقوم نوح ولكني أرجوا منهم أن يراجعوا الآيات التي تأتي بصيغة (كفر، يكفر، كافر، كافرون) فالبون شاسع بين الآيات التي تصف الكفر وتصف الشرك فهما أمران مختلفان وإن تداخلا في أحوال مختلفة، والبعد بينهما كالبعد بين سلوك الظلم الذي تطبقه الإنقاذ على الشعب وسلوك العدل وهو القيمة الدينية والإنسانية الأولى التي فطرها الله في الإنسان مع توحيده " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "(المائدة) "ما كان العدل في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه"، وهل سيكون السودان مزداناً لو أقيمت الطرق والكباري وملاعب الجولف والمجمعات التجارية وفتحت البلاد لواردات الصين كلها لو ظلت فريضة العدل والرحمة غائبتين ... هل سيكون مزداناً !!!.

## مستشفى الخرطوم..وأكل أموال الحجيج..!.

تتعامل العصبة الحاكمة بوجهين فتهتم بالظاهر أكثر من الباطن في الدين وفي الحياة العامة، فهي تهتم بشارع إفريقيا لأنه ممر الضيوف من الخارج وإشارة لهم بأن أغلب طرقات العاصمة كذلك، يهتمون ببناء مداخل المستشفيات وتجميل مداخلها وبناء مساجد فيها فارهة، والصُور التي التقطها البروفسيور المعز عمر بخيت من داخل المستشفى عندما كان يزور أحد أقربائه ونشرها في أكبر المواقع على الشبكة العنكبوتية تعبر عن حقيقة المآساة التي يعيشها أهلنا في السودان، مناظر تصيب بالغثيان، وإذا دخلنا المستشفى من الداخل لدعونا للمرضى بقلب معصور ألما أن يعافيهم الله ويخارجهم منه، والذي يريد أن يرى ذلك فليزور مستشفى الخرطوم ليبكي حالة العنابر والوسخ الذي يعشش والقطط التي تمؤ بالليل مع أنين المرضى في حالة أشبه بالمواساة التي لا يجدونها ممن يكنزون زكاة وأموال الشعب السوداني ويتعالجوا بها في الخارج أو ليحجوا بها بعد أن سنوا سُنة سيئة في شئون الحج بوضع أمراء على أفواج الحجيج، وإغداق المال عليهم مقابل أمارتهم للبعثات (سبحان الله)، السودان الذي كان يكسي الكعبة جاءه قادة في آخر الزمان يقتاتون من أموال الحجيج والزكاة المأخوذة من أفواه الفقراء، وقبل شهور مضت

اهتزت أركان رئاسة ديوان الزكاة بصوت المحتجين من رؤساء الإدارات والمقربين من قمة هرم الديوان بسبب مبلغ كبير تم تسليمه لشخصية قيادية نافذة يربو على الـ ٢ مليار جنيه قيل أنه صُرف لدعم (الطرق الصوفية) كما بررت ذلك الشخصية التي استلمت المبلغ، وعندما عرفت القيادات الزكوية الخبر اشتد النقاش ما بين رافض وساكت على الحق خشية المصير المعروف،لا أدري أي تبلد حس وصل إليه هؤلاء القوم وأي نفق يقودون إليه البلاد، وقد وقعوا في المحظور.

**السفارات تخصّصت في مص دماء الشعب**

إن المشكلة الأساسية في هؤلاء القوم أنهم لا يشبعون وكأنهم أصل جينات الجوع والهلع، وقد لفتني سلوكهم إلى الوقوف في الاية الكريمة "لا ينفقون خشية الإنفاق" ولكن مفسرونا رحمهم الله برروا للذين تتهِمهم الآية بخشية الإنفاق ذلك وقالوا خشية (الفقر) ولكن الآية تقول وبصراَحة لا تحتاج لنحاة أو لغويين "خشية الإنفاق" أي أنهم بطبيعتهم لا ينفقون ودون أي مؤثرات خارجية مانعة مثل (الفقر) الذي تكل عليه المفسرين الآية فبرروا للمتهمين فعلهم ومراد الله غير ذلك، هذه الآية تتفق مع سلوك الإنقاذيين، ودونك الأموال التي يجنونها من الشعب في كل مناحي الحياة ومازال الضنك مستمراً. سفاراتنا في الخارج تخصصت في مص دماء الشعب ففي سفارة السودان في البحرين مثلاً توثيق شهادة مدرسية صفّية لانتقال طالب من صف لآخر في المرحلة الابتدائية بـ ١٠ ديناربحريني، وقد دفعت لتوثيق ورقتين ٢٠ ديناراً بحرينياً حوالي ١٢٨ ألف جنية سوداني لتوثيق ورقتين مهترئتين، ورفض نائب السفير في البحرين تخفيض المبلغ، وأنا كنت على ثقة من أنه سوف لا يفعل، لأن صاحب القلم الذي يعري النظام لا يمكن إلا أن يدفع الثمن..!.

وهل يعلم القارئ الكريم أن السودان من الدولة الشاذة في العالم.. التي يذهب حامل جوازها كل عامين لتجديده ويدفع في ذلك المال الكثير، وهل يعلم القارئ الكريم بأن السودان الدولة تكاد تكون الوحيدة التي تفرض رسوماً باهظة الثمن على توثيق الأوراق والمستندات، والتوثيق كما هو معروف وضع ختم السفارة على ظهر الورقة مع توقيع المسؤول، مجرد وضع الختم يُكلف حوالي ٦٥ ألف جنيه سوداني للورقة الواحدة..أي ظلم هذا..وأي قسمة ضيزى هذه..؟. إن ما تقوم به السفارات السودانية في الخارج يُسمى (أكل أموال الناس بالباطل)..

فلماذا لا تأتي المجاعة في السودان التي يتردد صداها هذه الايام في الكثير من الجهات الرسمية المحلية والدولية وكعادتها تسميها (الحكومة) بالفجوة الغذائية، حتى وإن كانت فجوة غذائية..لماذا تحدث أصلاً والحكومة تشتري الطائرات المقاتلة، بمليارات الشعب السوداني، وتُعين ضباط المُخابرات في سفارات بدولة عربية شقيقة، وتصرف عليهم وعلى أسرهم الكثير من أموالنا.. عرق جبينا وسهر أيامنا وعذابنا، ولماذا لا تأتي المجاعة للسودان وقادة الحزب الحاكم يركضون ركضاً بين ألفينة والآخرى لدول النمور الآسيوية لشراء الأراضي هناك والفنادق والبنايات الشاهقة من أموال الشعب السوداني، ولماذا لا تأتي المجاعة والحزب الحاكم يصرف من دمنا ولحمنا مصاريف دراسة مؤيديه في ماليزيا وبريطانيا وغيرها.

إن سنة الله سبحانه وتعالى لا تتبدل ولن نجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، السكوت الذي يجري في الشمال – بعد أن برأ الغرب والجنوب ذمته من الحكومة– خصوصاً من كبار السياسيين والمنبطحين لهذا الظلم الماحق لكل ما هو خير في بلادي يصيبنا بالخوف من أن تتحقق فينا الآية الكريمة "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً "الإسراء– وهل الضنك الذي تعيشه البلاد إلا بداية لهذا الإهلاك، وهل هلاك الأخلاق الطيبة من مودة وتكافل والتي غابت إلا نذير بأيام مشئومات نحسات وبكارثة آتية بأيادي هؤلاء ليدفع الأبرياء ثمنها تحقيقاً لهذه السنة الكونية التي لا تفرق بين مجترح للسيئات ومُقيم في دار اجتراحها ساكتاً غاضي الطرف عنها أو مكافحاً لدرئها، عشرات من (الاسلاميين) الذين كانوا يكتبون وينتقدون ممارسات النظام ويبرؤن أنفسهم من هذه الأفعال سكتوا وأخفوا أقلام والكثير من المحسوبين على التوجه الاسلامي لازوا بالصمت عن إبراء ذمتهم مما بدوه وتحول هذا الصمت إلى كارثة عليهم وذلك خوفاً على أرزاقهم في ظاهرة شبيه بأيام جبروت بني أمية التي كان المثل (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق) من موروثاتها... ولكنني أقول لقد انتهت في السودان فكرة اسمها (الحركة الإسلامية) بعد هذا النموذج الذي أساء للإسلام والمسلمين بل للبشرية جمعاء.

## عُصبة غارقة في إشباع جوارحها وغرائزها ..!.

السنوات العشرون الماضية بعد أن تعبت المعارضة المسلحة في اجتثاث الإنقاذ بسبب ظروف دولية حسبها هؤلاء المهووسون مدّداً إلهياً لهم متناسين أنها من

سنة الإمداد لهم في الظلم مّداً حتى يمارسوا آخر فنون ظلمهم ليأتي التغيير الإلهي، وقد بلغوا مرحلة من الغطرسة ليصرحوا بأنهم لن يسلموها إلا إلى عيسى عليه السلام متناسين أن عيسى سيلعنهم في كل ظلم اجترحوه وهل سيستلم عيسى عليه السلام الذي كان يأكل من خشاش الأرض ويتوسد الحجر ويراه ترفاً، هل سيستلم هذا الهراء الذي أساء للدين وللإنسانية، إن ضرب هؤلاء القوم لمثل هذه الأمثلة اهانة لهم ولعقول الناس وللدين الذي جعلوه ألعوبة بين أشواقهم، وكما قال خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم إن "للحق دولة وللباطل صولة"، ما يجري في السودان ليس دولة لأنها جانبت الحق ونكثت العهد الذي أخذته على نفسها بتطبيق الدين فلم تطبق ديناً ولم تطبق منهج إنساني يعتمد على العدالة والإنصاف كما يحدث في دول العالم، فقط أشواق عُصبة غارقة في إشباع جوارحها وغرائزها على حساب الشعب الذي صبر على كل المخازي والمؤامرات والدسائس والظلم والظلمات، والذي سيكون التغيير بإذن الله على قدر هذا الصبر .... فالظلمة عبر التاريخ مبشرون بنهايات شنيعة يكتبوا من بعدها في طي النسيان ولن يذكروا إلا مع أسوأ الأمثال.

وبالنظرة الإسلامية وربط حراك هذه العصبة بالرؤية القرآنية إني على يقين.. لماذا فشلت مشاريعهم التي يطبلون لها كلها، سد مروي والنفرة الزراعية، لدرجة أنهم أصيبوا بالسعار وسعوا لبيع مشروع الجزيرة لشركة أجنبية بعد أن أضاعوا أموال البترول في ما لا طائل منه، هذا المشروع ذو القيمة الاقتصادية والاجتماعية الذي اندمجت فيه كل قبائل السودان في أمن وأمان يتقاسمون رزق الله دون حقد أو طمع قبل أكثر من مأئة عام، فإذا بهذه المجموعة المدمرة تسعى لبيع المشروع بدلاً من تطوير منتجاته ليستفيد منه السودان أكثر، لقد فقدوا الإبداع بسبب حياكة المؤامرات فانقطع عنهم تأييد الله وتسديده ففشلت كل مشاريعهم، حتى البترول امتحنهم الله فيه فخرج معه العذاب وتمردت دارفور لأنهم يريدون تدجين كل الناس والله سبحانه وتعالى لم يدجن خلقه وإنما أتاح لهم حرية أن يوحدوه أو لا يوحدوه، ولكن أرباب المؤتمر الوطني يريدون أن يكونوا أرباباً للناس أكثر من رّب العالمين ويجعلوا رزقهم وحركتهم وحريتهم تحت سلطانهم وأمرهم، فهل هناك تجبر وتكبر أكثر من ذلك.

### فرعون المؤتمر الوطني

لقد كانت ربوبية فرعون مُنصبة في نفس هذا الاتجاه الإنقاذي حيث لم يقل لهم أنا خلقتكم ولكنه صرح "أليس لي مُلك مصر والأنهار التي تجري من تحتي"، أو ليس الآن للمؤتمر الوطني بترول السودان، وزراعة السودان، وأراضي السودان، وخزينة السودان.. يمنحون منها ما يشاءون، لمن يشاءون ويمنعونها عمن يشاءون، دون مراعاة لأمر الله في العدالة والإنصاف ... ما هي الفرعنة إن لم تكن ما يجري في بلادي .. وماذا تكون مزاحمة الله في خلقه إن لم تكن ذلك ... هل هي فقط أن يدعي أحد من الناس أنه إله ... أرجوا منكم سادتي تدبر فرعنة فرعون بعيداً عن العُرف التفسيري الذي يُوهم الكثيرين بأن الحالة الفرعونية المصرية في أيام موسى آنية وغير متكررة، فالعبرة التي يمكن أن نستخلصها من قراءتنا للقرآن الكريم هي أن نعرف مآلات الأقوام السابقين وموقفهم من الهدى الرباني وخاتمة خسرانهم أو فوزهم، لكن من الذي يقراء الآيات ويقف عندها ويحاسب بها نفسه..؟، لكنني هنا أرجو من القارئ الكريم أن يراجع تصريحات د. نافع على نافع في مقابلته بقناة الشروق أواخر شهر رمضان مع الزميل بابكر حنين وتصريحاته التي أكدها أكثر من ثلاثة مرات حول تمسك النظام بحكم السودان وأنها اي (الانقاذ) لا أحد يستطيع إبعادها عن الحكم، وتلك التصريحات التي قال بها في إحدى الحشود العسكرية إذ يقول دمساعد رئيس الجمهورية د. نافع "الانقاذ تعرف ما تريد وأين تسير، وهي ماضية منتصرة للراية التي لم تضيع. ولن يتغير الجلد باسم التعددية ومن يحس ان التعددية تعني تغيير جلد الانقاذ فهو واهم"، والكلام واضح لا يحتاج لتفسير مناقضاً حديث الرئيس عمر البشير عندما أعترف بحقيقة بيوت الأشباح مؤكداً أن النظام تغير كثيراً من النهج الذي أتى به في العام ١٩٨٩م، ومن هنا دائماً أجد نفسي مهتماً بتصريحات د. نافع لأنها تعبر عن حقيقية تفكير الحزب الحاكم..!!..وهي بشكل آخر تشرح وتفسير كل الأحداث التي تحدث في البلاد مثل محاولات توريط الحركة الشعبية في إراقة الدماء في الجنوب وفي الشمال، إلقاء اللوم على حركة العدل والمساوة في كل ما يحدث في دارفور.

١ ديسمبر ٢٠٠٩

# ملامح شيوع التطرف الديني والسياسي في السودان

أستأنس كثيرًا بما ذكره المفكر عبدالرحمن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" من أن أقبح أنواع الاستبداد هو "استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل، ويسمى استبداد المرء على نفسه، وذلك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حراً قائده العقل، ففكر وأبى إلا أن يكون عبداً قائده الجهل" ومبعث استئناسي هذه الصورة البليغة التي صورها المفكر الكواكبي وكأني به يتحدث عن نظام (الانقاذ) في السودان وهي ذات الصورة ولعلها هي بصيرة المؤمن ان ينظر بعين المستقبل، و عندما يكتب عبدالرحمن الكواكبي عن الاستبداد في بدايات القرن الماضي تلقائيا هو يعكس صورة النظام السوداني في بدايات القرن الجديد،ذلك الذي أوجد تطرفا كبيرا غير مسبوق في تاريخ السودان والمنطقة، فالذي حدث هو قمة التطرف ليس في الدين فحسب بل التطرف القبلي والعنصري والديني والذاتي، الذي هيئ الاجواء لتنظيم القاعدة منطلقا من الخرطوم بالتخطيط الدقيق الذي نتج عنه الكارثة الارهابية التي روعت البشرية جمعا هي كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، الكارثة التي خلقت كوارث جمة وواقعا جديدا فرض نفسه على العالم وألقى بظلاله على وضعية العالم الاسلامي في علاقاته بالاخرين.

وعندما نتحدث عن تعصب نظام (الانقاذ) في السودان تحضرنا الكثير من الآراء التي تأكد بما لا يدع مجالا للشك ان الذي يجري في بلادنا استبداد وتعصب ،وتطرف وهذا ما يذهب في تأكيده المفكر الشيخ يوسف القرضاوي، حين يعرف التطرف الديني على أنه التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم.

ومما يعجب له القرضاوي أن من( مثل ) هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل، وأغمض القضايا، ويفتي فيها بما يلوح له من رأي، وافق فيه أو خالف، ولكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين، منفردين أو مجتمعين، أن

يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه، وحينما تتحدث قيات الانقاذ الحاكمة في السودان عن الانجازات التي حققتها وتجند الاجهزة الاعلامية لعكسها للآخرين وتصرف ملايين الدولارات من حر مال الشعب السودانى لدفعها للقنوات الفضائية مثلما حدث مع قناة (المستقلة) حتي تصير بوقا لها في المنطقة الاوربية، فنرى هذا الاجتهاد الكبير في عكس صورة الانجازات المادية في الوقت الذي يموت فيه المواطن السوداني جوعا في الاطراف البعيدة، وفي مناطق قريبة منها يموت العشرات من السودانيين بآليات الحكومة العسكرية فقط لأنهم طالبوا بالغذاء والتعليم . وهنا يوضح الدكتور القرضاوي " أن ولع هؤلاء المتطرفين بالهدم لا بالبناء ولعٌ قديم، وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم شنشنة معروفة".ويبلغ هذا التطرف غايته، كما يشير القرضاوي، حين يُسقط عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأموالهم، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك إنما يكون حين يخوض لجّة التكفير، واتهام جمهور الناس بالخروج من الإسلام، أو عدم الدخول فيه أصلاً، كما هي دعوى بعضهم، وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر الأمة في واد آخر، وقمة التطرف والاستبداد ان تقتل نفسا زكية بغير حق وترفض التحاكم للقضاء وانت الذي تدعو للاسلام وتطبيق الحدود، عشرات من الشباب في عمر الزهور لقوا حتفهم في معسكرات التدريب القتالي القسري، وترفض الحكومة المستبدة في الخرطوم التقاضي لأن المؤسسة العسكرية ممنوعة من الوقوف أمام القضاء حتي وان قتلت نصف أهل السودان، فضاعت الحقوق، وانتهكت الاعراض، فلا سبيل الا حمل السلاح ولا حل الا بالبندقية، فغاب السلام في دولة (الاسلام) وانتشرت وسط الشباب في محيط كبير من السودان ادبيات العنف والتطرف الذي أوجدته المظالم الناتجة عن استبداد الحاكم، وقواته وجلاوزته.

فإن تأثيرات الحرب المشتعلة في أكثر من مكان في السودان، و ناتج ما ذكرناه آنفا من مظالم جعلت الشباب من الطرفين (المعارض) و(الحكومي) يستقطبون أقرانهم بوتيرة سريعة أصبحوا هم الفئة الغالبة على الفئات العمرية الأخرى، من حيث وقوعها صيدا أكثر سهولة لما يتوافر لها من الإمكانات والطاقات مع ضعف التجربة وقلة العلم والحماس المفرط، وبالتالي تبنيها للأفكار المتطرفة، ومن ثم قيامها بالأعمال التي يصاحبها العنف غالبا، وهنا لا بد من التذكير ان الشباب الذي يؤيد الطرف الحكومي يتعرضون لحملات اعلامية قوية للغاية من خلال المعسكرات

المغلقة، وزيادة على ذلك أن المؤسسة التعليمية تحولت إلى مختبر لغسل الأدمغة وإعداد المتطرفين الدينيين والسياسيين والقبليين. و هذا الإعداد، لا يتم فقط عن طريق الدروس الدينية، وهناك العديد من الاساليب التربوية التي تساهم في إنتاج وإعادة إنتاج ثقافة التطرف الديني والسياسي والاجتماعي ، بل المفارقة أن الدروس ذات المحتوى العلمي هي أكثر تهيئة للتطرف من الدروس ذات المضمون الديني المباشر. وهذا يفسر شكل وصورة المشروع الذي تتبناه (المجموعة الحاكمة) في السودان من خلال رؤيتها لإبعاد ابناء الكيانات الاخرى من سدة الحكم كما حدث بالنسبة لأبناء دارفور حيث تم استأصالهم من الاجهزة الحساسة الامنية والعسكرية، واما الشباب من الطرف المعارض فهم مجموعات كبيرة بكل المقاييس، ( شباب الحركة الشعبية لتحرير السودان– شباب حركات تحرير دارفور - شباب المعارضة التابعه للتجمع الوطني الديمقراطي) عشرات الآلاف من خيرة شباب السودان موجودون في الخارج ليس من أجل الاغتراب والحصول علي المال ولكن الغالبية منهم خرجوا من بلادهم مطرودين، سواء طرد مباشر أو استخدمت فيه اساليب غير مباشرة، مع الاصرار الحكومي على التعاطي بالشكل المألوف لديها في تمكين عضويتها على حساب الاخرين، وهذا أشد أنواع التعصب والاستبداد الذي يقول بشكل واضح أننا نمثل الحقيقة وغيرنا هو الباطل بعينه..!!.

١٩ أبريل ٢٠٠٥

# الخرطوم-عاصمة لثقافة البطش والكبت والتطرف الديني والقبلي

لا أدري ما الحكمة من الاعلان عن إختيار(الخرطوم) السودان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥م، ويتساءل غيري في دهشة ممعنة في الاستغراب، من الذي إخترع هذا الإعلان..؟، ليس للسودان فحسب بل للعالم العربي قاطبة، كون المنطقة العربية تعيش في متناقضات ومفارقات عجيبة، وفي البال والخاطر أن الذين فكروا ومن ثم إخترعوا هذا الاكتشاف العظيم(عاصمة الثقافة العربية) أرادوابكل تأكييد تحريك البرك الساكنة في العواصم العربية، كما أرادوا استفزاز المثقف العربي حتى (ينهض) من واقعه ويترك عنه الدماء التي تنزف والبغضاء التي سكنت قلبه، الجروح التي أكلت اطرافه، أن يكتب بقلم مكسور بفؤاد جريح، وبجسد منهك من جراء (سياط) التعذيب التي يتعرض لها داخل (معتقلات) الانظمة العربية... نعم هؤلاء أرادوا ب(صدق) و(عفوية) لهذا المثقف المبدع العربي ان يترك عنه آلامه ويخفي آهاته وأن يهلل ويكبر ويؤكد أن (جلاده) أتاح مساحات واسعة من الحرية (الثقافية) فعليه إذا أن ينكركل مآساه، وبقسم غليط ان يؤكد ان حاكمه يتحلى بإنسانية غير عادية..!! هذا إذًا المقصود من عاصمة الثقافة العربية ولكن عندما نسمع عن (صنعاء) عاصمة للثقافة العربية قد نصدق ذلك فأهل اليمن أهل حكمة وهم العرب الأصل وقديما قيل ان الحكمة (يمانية)، وعندما نقول ان الدوحة عاصمة لثقافة العربية يمكننا ان نصدق ذلك فالدوحة تحتضن أشهر قناة عربية واسلامية في القرية الكونية التي نعيش فيها،بل أصبحت رابع قناة فضائية في العالم محط انظار العالم وبقناة الجزيرة اصبحت الدوحة حقيقة مكان إشعاع ثقافي وأدبي واعلامي أدخلت الأمة العربية في عالم الموازنات الدولية،وتكمن المفارقة هنا ان (عاصمة )الثقافة العربية لعام ٢٠٠٥م أغلقت مكتب أشهر قناة عربية في العالم ،،مالنا ومال قناة الجزيرة..!!؟؟ (الخرطوم) عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٥م تشبه الي حد كبير تلك النكتة التقنية، وقد تجاوز الناس مع التطور النكات من الموضوعات الاجتماعية والسياسية

والرياضية إلى نكات تقنية تلك النكتة التي سمعناها ورددناها في القرن الماضي في منتصف التسعينات أي قبل عشرة سنوات عندما سألوا الكمبيوتر عن ماهي الدولة التي ستكون الاولى على وجه الارض عام٢٠٢٠م فأجاب لهم الكمبيوتر ان الدولة هي السودان، فإرتسمت عليهم علامات الدهشة والاستنكار، فقاموا بإعادة السؤال مرة أخرى، فكانت الاجابة ذات الاجابة، وكرروا السؤال بصيغ متعددة، مرات ومرات فكانت الاجابة هي ذات الاجابة (السودان) الدولة الاولى على وجه الارض عام ٢٠٢٠م، فنظر بعضهم إلى بعض بتهكم شديد لما رأوا أن المؤشرات التي أمامهم عن السودان لا تدل على ذلك فالفساد منتشر في كل مكان، والخدمة المدنية متر دية بشكل غير مألوف حتى على مستوى دول العالم الثالث، والنظام الحاكم مشغول بصناعة المؤامرات هنا وهناك، والامراض الاجتماعية حدث ولا حرج، والاعلام السوداني في أسوء ايامه، ووووو فقام أحدهم بسؤال الكمبيوتر مباشرة،، لماذا السودان...؟؟ فأجاب الكمبيوتر: بحلول عام٢٠٢٠م ستكون كل دول العالم قد انتقلت للعيش في كوكبي المريخ و القمر وتوزعت البشرية على كواكب أخرى،، الا دولة السودان ستبقى وحيدة على وجه الأرض...!

هذه النكتة الموغلة في التشاؤم، والعميقة في مضمونها تشبه لحد بعيد اعلان (الخرطوم) عاصمة للثقافة العربية عام٢٠٠٥م وليس عام ٢٠٢٠م لأن عاصمة دولة تستبيح الحرمات وتقتل أبنائها بالطائرات القاذفة للهب والحمم لا يمكن ألبته الا ان تكون (عاصمة) لدولة البطش والارهاب والدمار والتعصب الديني والقبلي.. وان عاصمة اشتهرت على مدى ١٥ عامًا متتالية بتكميم الافواه وإسكات كل من يقول (البغلة في الابريق) لا يمكن أبدًا إلا أن تكون عاصمة عربية لثقافة الديكتاتورية، لا تمثل السودان بأي حال والاحوال وانما تمثل اشخاصًا بعينهم..

وأن دولة تشرد (نصف) عدد سكانها تقريبًا ما بين مهاجر ومغترب ولاجي سياسي لا يمكن ان تكون عاصمتها الا عاصمة للارهاب الحقيقي، وتمثل خطرا محدقا للمنطقة التي تربط بين العرب والافارقة وبما تمارس من عنف دموي يلقى بظلاله على البشرية جمعاء،وقد إمتلئت دول الاتحاد الاوربي بالهاربين من ابناء دارفور هاربين من جحيم الحملات العسكرية الطائرة والزاحفة،كما

إزدادت جموع الذين يتقدمون للهجرة الي أمريكا وكندا وأستراليا،، هكذا دولة لا يمكن ان تكون عاصمتها مكانا للثقافة العربية التي نعرفها ..؟؟ أي شطط هذا .. واي خبل ؟؟ في الوقت الذي تحترق فيه مدن وقرى دارفور بنيران المدافع والطائرات يتم الاعلان عن (الخرطوم) عاصمة للثقافة العربية، (الخرطوم) هذه المدينة حيث تقلع طائرات (الانتنوف) الروسية وهي محملة بأطنان الموت والدمار لقتل الاطفال والنساء والعجزة.. الخرطوم عاصمة الثقافة العربية حيث تصدر التعليمات والاوامر للعسكر بالتحرك لضرب دار فوركما كانت تضرب من قبل جنوب السودان وجبال النوبة، هذا الإعلان المستفز للثقافة العربية جعل شريحة كبيرة من أهل السودان يحسون بالكراهية والبغضاء لكل ما هو (عربي) و(اسلامي) وسبق لمجموعة من (الشيوخ) و (العلماء) بقيادة الشيخ الدكتور يوسف اللقرضاوي عندما زاوا دافور اعلنوا بعد زيارتهم (براءة) الحكومة من (دم) أبناء دارفور، ومما نسب إليها من الابادة الجماعية لاهل دافور وكأن الشيخ القرضاوي يعتقد ان (مسرح الجريمة) في انتظار مقدمه الميمون بعد أكثر من ١٨ شهرا على ارتكاب الافعال التي قامت بهاحكومة (الخرطوم) عاصمة الثقافة العربية، وهذه الكبوة الكبيرة للشيخ القرضاوي رغم حبنا له واعتزازنا به قد خلقت آلاما كثيرة للاهل في دار فور، كون الشيخ القرضاوي رجل (دين) ،(عالمي) كانوا ينتظرون منه (العدل ) و (القسط) الذي طالما طالب به الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل، والمنظمة الدولية الامم المتحدة ومجلس الامن،،،!!! والآن قد تعاظمت على أهل دارفور المآسي والمحن لأن (المرجعية الإسلامية) لم تنصفهم وان (العروبة) كذلك داست على حقوقهم وتجاهلت بإعلانها (الخرطوم) عاصمة للثقافة العربية الدماء العزيزة والغالية التي أريقت هناك في دارفور أرض التأريخ. عن أي ثقافة عربية يتحدث هؤلاء ...؟؟

الا ان تكون ثقافة العرب قبل الجاهلية.. ثقافة المجون وظلم الرعية والتمثيل بهم،، ومن هنا أستطيع القول بأن حكومة (الانقاذ) المستبدة تعظم (الأوهام) التي تسيمها (إنجازات) وما هي الا شعارات، ستعتبر أن إعلان الخرطوم (عاصمة الثقافة العربية) إنجاز كبير، وسترتفع أصواتها مدوية، لأنها فارغة، والإناء الفارغ

أكثر جلبة من الإناء الممتلئ، كما يقول المثل الصيني، والعربة الفارغة أكثر جلبة وضجة من العربة الممتلئة كما يقول الفيلسوف الإيرلندي "برناردشو". ويذكر تضخم القوالب والألقاب مع تضاؤل القلوب وخفة الألباب بقول الشاعر العربي القديم وهو يحدث عن ملوك الطوائف في الأندلس:

مما يزهـدني في أرض أنـدلس أسمــاء معتمــد فيها ومعتضــدِ
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاضاً صولة الأسدِ!

٢١ أبريل ٢٠٠٥

# قراءة في مدرستين..دين وأنوات..!!

قديماً قيل أن الايام حُبلى تلد كل يوم جديد، فالأحداث التي تجري في السودان تؤكد هذه المقولة فالجديد ليس هو الفعل الحياتي اليومي لكن المفارقات المبكيات المضحكات فالأخبار التي تصلنا عبر الوسائل المختلفة منها ما هو خاص وما هو خاص جداً، وما هو عام تجعل المرء يُصاب بالغثيان وخاصة التصريحات الحكومية في الشأن العام، وقصص الفساد التي تزكم الأنوف، والتعالي على الآخرين، وظلم العباد الذين لا تتاح لهم الفرصة لمقاضاة الظلمة، وعدم المخافة من رب العالمين إزاء ما ترتكبه أدوات الحكومة المختلفة سواء في العاصمة أو الولايات، لذا أجد نفسي لا شعورياً أرجع متأملاً طويلاً تربية القوم ساسة البلاد الحاليين باعتبارها ثقافة جماعة تربت في كنف ما يسمى بالحركة (الاسلامية) التي كنت أحد منسوبيها.

في لقاء له نشر بموقع "سودانيز أونلاين"، ذكر د. حسن الترابي أن ٩٥٪ من المشاركين في السلطة الحالية، أفسدتهم أبهتها"، وهو أمر كان يخشى منه منذ أيام كانت الحركة تنظيماً في الساحة يملأ الدنيا ضجيجاً حول ما سمي بفساد الاحزاب الطائفية.

هذا التوصيف من د. الترابي وهو ذاته صاحب الفكره والتأصيل لمسيرة الحركة طوال فترات تطورها، فتح الباب على مصراعيه للنظر في الأسلوب التربوي الذي كانت تعتمده الجماعة أيام كانت تنظيماً، فحركة بنت نهجها على الإسلام، كان يفترض أن يكون ناتجها التربوي أفضل من غيرها من الأحزاب والجماعات في موازين العفة والنزاهة والشفافية على الأقل، لكن حدث ما لم يكن في حسبان السواد الغالب من أهل السودان والذين يتابعون مسيرة حركة الاسلاميين التي ذاع صيتها في العالم خاصة بعد الانقلاب المشئوم في الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م.

فالمتابع والراصد لحركة النزاهة في العمل السياسي في السودان يجد ألبون شاسع بين الحكومات الوطنية السابقة ونظام (الانقاذ).

## صوراً ناصعة البياض

عن الحكومات الوطنية السابقة في فترة الديمقراطية الأولى والثانية، سمعنا بأن:

- الزعيم إسماعيل الأزهري الذي لم يتشرف جيلنا برؤيته مات مديوناً ١٣ جنيهاً.
- يحي الفضلي مات ساكناً في بيت إيجار وكان وزيراً للإسكان.
- محمد أحمد المحجوب المهندس والقانوني والشاعر مات فقيراً ولم يخلف ممتلكات في قامة فكره وأدبه وهندسته.
- مبارك زروق الدبلوماسي الفذ لم يجمع من جولاته كوزير للخارجية تجارةً وصفقات ينتفع بها.
- الصادق المهدي لم يصرف راتباً طوال فترته رئيساً للوزراء ولو أراد لـ (كوش) على ساحات أم درمان التي كانت خالية آنذاك، ولكنه لم يفعلها لأن عينو (ملانة).
- د.حسن الترابي نفسه لا نعرف له ممتلكات حتى بيت المنشية الشهير ليس ملكه بل ملك زوجته الفذة وصال المهدي، ولو تاجر د.الترابي فقط بكتبه ذات الصيت الذائع في العالم لاغتنى منها ولكنه يفضل أن تُطبع وتُوزع دون حقوق طبع لتعم الفائدة.
- عمنا المرحوم د. عبدالملك عبدالله الجعلي كان وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف أيام الرئيس جعفر نميري، وأستاذ القانون و الشريعة الاسلامية بجامعة الخرطوم أيام عزها ومجدها وتلألئها، وكان أحد الثقات لدى الزعيم محمد عثمان الميرغني رحل عن الدنيا ولا يملك إلا بيت الأسرة الكبير في ودنوباوي جنوب، بالورثة لم يترك لأهله وأبنائه القصور ولا الشركات ولا الأرصدة الكبيرة، وابنه البكر خالد الدكتور في التمويل الاسلامي مغترب

بالمملكة العربية السعودية، ووالدهم على الرحمة والمغفرة لأبنائه القدوة الحسنة وحب الناس لهم واحترامهم لأسرتهم الكبيرة ذات الامتداد الواسع.

- الرئيس إبراهيم عبود ووزرائه الستة، لم تبقَ إلا أسماءهم ولم يتركوا رسماً عقارياً أو تجارياً، بل تركوا أبناءهم وهم تركتهم الوحيدة، ومنهم من يكابد مع سواد أهل السودان سبل حياته في الداخل أو في الخارج، وكثيرون من الوزراء الاتحاديين والختمية ومن حزب الأمة والأنصار حذوا حذو هؤلاء، وكانوا مضرب مثل في العفة وفاقت عفتهم الأمويين والعباسيين الذين أيضاً حكموا باسم الخلافة والإسلام رائد العدالة الإنسانية والاجتماعية.

- أعضاء الحزب الشيوعي السوداني الذين كنا في فتوتنا التنظيمية نعتبرهم عدواً لدوداً، أثبتت لنا الأيام وهي شواهد، أنه منهم من يفضل أن ينتعل (سفنجة)، وهو في مركز إداري، وبنطلوناً وقميصاً أبلاهما كثرة الارتداء، غير مبالين بارتداء القفاطين والجلاليب الناصعة والعمم الفاخرة، وامتطاء السيارات الفارهة كأن لسان حالهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صلى وعليه ثوباً بعشرة دراهم وكان فيها درهماً اكتسبه حراماً لم يقبل الله صلاته".

هذه النماذج السودانية الجميلة التي نعتز بها كانت نتاج النظام التربوي الصوفي القديم، مقابل نظام التربية الجديد للحركات الاسلامية الوافدة على السودان من الجوار، وعجبت كيف غابت هذه الأدبيات في جلسات تجنيد الأعضاء الجدد، وتم بدلاً عنها التركيز وبكثافة على "إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، وهو حديث يمكن أن تستخدمه جميع الفرق الإسلامية حتى الخوارج، وتسقطه على حالها دون الرجوع لظرفه الموضوعي، فقيادة الجماعة التي يجب أن ينتمي إليها الفرد لكي لا يأكله الذئب لا تتمثل في كل من هب ودب، لأنه التزم تنظيماً إسلاموياً، وهي في درجة عظمة مبادئ الإسلام نفسه.

خلاصة القول أن التربية الإسلامية الصوفية للنظام الروحي السوداني القديم مقابل النظام التربوي الجديد للحركات الإسلاموية الوافدة على السودان، أثبتت لنا

الأيام أن النظام التربوي الروحي القديم له الفضل على البرنامج التربوي للحركات الاسلاموية لا العكس، وسبحان الله كان الشهيد محمد صالح عمر ومعه الشيخ صادق عبدالله عبدالماجد ود. الحبر يوسف نورالدائم كثيراً ما يركزون على البعد التربوي في الحركة، ومحمد صالح عمر حسب معرفتي به من خلال مرويات لعدد من القيادات التي أعرفها كان يقول ويؤكد أن العامل التربوي يضمن للفرد حصانة ضد الإنزلاق مع أهواء النفس، ومنهم من كان يوصي بعدم إعطاء المسؤولية للفرد حتى يضمن أنه نال قسطاً كبيرا ووافراً من التربية الروحية.

وقد ضربنا المثل بالقيادات السودانية السياسية التي عفت وشفت، ولم تنحصر هذه العفة والشفافية في السياسيين فحسب بل في كثير من أبناء الشعب السوداني من ضباط إداريين ووكلاء وزارات ومدراء أقسام، ولا ندعي كمال الجميع، وحتى العامة من الشعب السوداني في فترة النميري كان يرى في مهنة السمسرة مهنة مشكوك في حلال كسبها، ولكن الآن سادت بكثافة ثقافة جني المال دون التحوط في الكسب الذي كان سائداً في قطاع كبير من أبناء الشعب السوداني قبل برنامج الحركات الاسلاموية الوافدة لصياغة السودانيين، وخرجت عيون الجشع من محاجرها بعد أن كانت القناعة أدبيات وممارسات أصيلة لدى أهل السودان.

## المليارات.. المال السائب

وقبل شهر من الآن جاء إلى البحرين أحد الاخوة.. زاملني في الحركة (الاسلامية) سنين عدداً وسألته عن أشخاص بعينهم كانوا قيادات طلابية على مستوى السودان ولهم أسماءهم المعروفة في الساحة، جمعتني بهم محبة في الله تعالى فقلت له كيف حال فلان الفلاني..؟؟ قال لي أخي" فلان مطلوب مليار جنيه سوداني أحيانا يُلقى القبض عليه ويسجن ثم يفرج عنه، وهكذا دواليك"، ثم سالته عن آخر ضحك أخي بنبرة حزن "فلان مطلوب ٣ مليار جنيه"، وأنا أعرف من خلال ما تصلني من معلومات من بعض الإخوة الزملاء أن هناك العشرات من أعضاء وكوادر الحركة (الاسلامية) على ذات المنوال وهؤلاء ليس لهم شركات ولا مصانع كيف أعطوا هذه الأموال وغالبيتهم شباب.. وتحت أي بند أعطوا هذه الأموال..؟ ومن الذي أعطاهم هذه المبالغ الطائلة...؟

**أسئلة بطعم الحنظل..!!.**

في وجود كُتاب كبار مثل د. محمد وقيع الله الذي لم يفرغ بعد من عّد انجازات (الانقاذ الوطني)..!.

وهناك الكاتب الكبير إسحاق إحمد فضل الله ..الذي وجه جماعات (ما) لاغتيال ياسر عرمان لأنه طالب بتغيير عقوبة الزنا في بلد يأكلها الفقر والجوع والمسغبة وصل فيه الحال إلى استلام عشرات أبناء الزنى في اليوم الواحد..حيث تكتظ بهم دار المايقوما وغيرها ،آخرين كانوا وجبات دسمة للكلاب الضالة في عدد من مقابر العاصمة الخرطوم.

ولأول مرة في تاريخ السودان قديمه وحديثه داعرات سودانيات بالعشرات في عدد من دول الخليج ومن بينها المملكة العربية السعودية حيث سجلات الشرطة تضم عشرات قضايا الدعارة والفجور طرفها سودانيين..!!.

وهناك (المجاهدون) تحت الأرض كما قال اسحق فضل الله ينتظرون إشارة من بيديه الأمر حتى ينتصروا لدين الله..!!.

هذه هي تربية (الحركة الاسلامية)..!!

يا ربي.. أي تربية هذه ترباها القوم..؟؟!.

إن تصنيف د. حسن الترابي، وأمثلة السياسيين الوطنيين التي سقتها لأسلوب التربية الأسرية السودانية الصوفية، مقارنة بتربية الحركات الإسلاموية الوافدة على السودان من الدول المجاورة خلال الستة عقود الماضية ومنها الحركة الإسلامية، تؤكد أن الشعب السوداني لم يكن بحاجة إلى نظام تربوي إسلاموي يفد إليه من دُول دونه مستوى في السماحة والأصالة الإسلامية ، ورصيده الروحي الضخم وتكافله الاجتماعي الذي أذهل خروتتشوف في صيوان العزاء في الأبيض فقال للأزهري "إن هذا ما نسعى إليه"، ولذا أقول أنه لولا قوة هذا التكافل ورسوخه في البنية الاجتماعية السودانية الصوفية، لأصبح الشعب السوداني في العقد الماضي هذراً مذراً، ولولا هذه البنية الملونة  بروح الإسلام المتسامحة، لنشأت في السودان فروعاً وقبائل للحركة الإسلامية نفسها ووصلت حد التطرف الذي وصلت إليه الحركة الإسلامية

في مصر من جماعات تكفير وهجرة وجهاد ...الخ، وبهذا يكون للتربية الصوفية السودانية فضلين على فكر الحركة الإسلامية نفسها التي كانت تعتبر برنامجها التربوي والسياسي سيعيد صياغة أهل السودان بمن فيهم الصوفية حسب رؤيتها، وهذين الفضلين، هما من كبح جماح التطرف بينهم عندما اختلفوا فلم تخرج تيارات متطرفة كما فرّخت في مصر التي جاءتنا منها الحركة الإسلامية ،وقناعة السودانيين التي بسببها بقي المشروع (الحضاري) يجرب جميع التجارب التي فتح الله بها عليه، والشعب برصيده الروحي القوي يصبر بحلمه وعفوه الكبيرين، ويرد كل أمره إلى الله.

في أيامنا الأولى في الحركة الاسلامية كانت أكثر الأحاديث التي تستخدم عند تجنيد الأشخاص وحفظناها عن ظهر قلب "عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، ولكن لم نكن نسمع في هذه الأدبيات التربوية قصة أبو ذر الغفاري الذي يمشي وحده ويموت وحده ويبعث امةً وحده، وبشره رسول الله رغم ذلك بالجنة، ورغم أنه ظل وحده لم يأكله الذئب.

قصة أبو ذر الذي مات جوعاً وبرداً في الربذة ومات قبله جوعاً وبرداً في نفس المكان ولده (ذر)، تحكي قصة صراعه مع العدالة، ولم تكن قصة أبو ذر مع كنز الذهب والفضة كما ابتسرها الرواة والمحدثون، وإنما كانت قضية إصلاح عام في أسس الحكم التي رأى أن الأمويين المستغلين لقرابة الخليفة ، بدأوا يحرفونها عن خطها النبوي ويكرسونها في سبيل أسرة ارستقراطية، وصدقت نبوة ابوذر ودفع الناس بعده الثمن حروباً وفتناً سعرها الأمويون وكان أول ضحاياها الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، واستمر الأمويون في توهين الخط النبوي المكرس للعدالة حتى مع الأعداء، ثم ملكوا وحلبوا من دم المسلمين والعرب مالاً ملأوا به خزائنهم، ثم كتب الأمويون التاريخ كتابة المنتصر، لتسود حتى أيامنا هذه مناهجهم في الحكم واستهتارهم بالعدالة الإنسانية، فكم من معجب بنهج بني أمية في الحركات الاسلامية، وهو يدعي إقامة الإسلام، وهو لا يدري (ولو أراد لدرى) أي نوع من الإسلام سينتج من نهج بني أمية.

وأود أن الفت الشباب المتحمسين قبل اختيارهم لأي تنظيم سياسي إسلامي أو غير إسلامي، لأني بعد تجربتي مع التنظيمات الإسلامية عاهدت نفسي أن أنتهج نهج

أبو ذر وأن لا أنتمى لأي تنظيم إسلامي، خاصة بعد معايشة حقيقية في جماعة أدت بلادنا إلى هذا المصير الذي لا يخفى على أحد،ولو أن الأسلوب التربوي في الحركة (الإسلامية) اتخذ أسلوب المواجهة مع الأعضاء وعدم السكوت على تصرفاتهم الخاطئة وهفواتهم وهناتهم مع الغير بحجة الحفاظ على التنظيم، وأنهم ما داموا حركة إسلامية فهم منزهون، لما آل الحال إلى ما آل إليه، ولئن ظلت الحركة (الإسلامية) تبشر بتجديد أصول الدين، فان عليها تجديد أصول الدين التي جددتها بترسيخ مفهوم العدالة الإلهية والكونية والإنسانية في ذهنية أعضائها أكثر من تنفيرهم لمن يخالفونهم الرأي وكثير منهم أعلى سناماً في الواجبات الشرعية، وأن تغرس في عقلية أعضائها أن سيدنا الأمام علي كرم الله وجهه قتله عدله وأن الساعين لإرساء العدالة من رسل وفلاسفة وحكماء تعرضوا للويل والثبور، فإذا عرف الأعضاء ثمن العدالة أقاموها ولو على أنفسهم كما علمنا القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى" صدق الله العظيم.

## الجمهوريين والإسلاميين

لا زلنا نقرأ خلفية الأحداث التي تجري في البلاد على ضوء التربية التي ترباها أعضاء الحركة (الاسلامية) في السودان الذين يحكمون بلادنا ، وعندما نختار في وجه المقارنة الطريقة (الجمهورية) والحركة (الاسلامية) أقول انهما طرفي نقيض، وأبت المشيئة الإلهية إلا أن تكونا كذلك حتى في التربية، ومع عداء الحركة (الإسلامية) للفكرة الجمهورية باعتبار عدم إسلاميتها وعدم إسلامية أفكار منظرها الأستاذ المرحوم محمود محمد طه، إلا أن محموداً ترك شاهداً يحتاج للتأمل من الجميع، تمثل في أدب وعفة تلاميذه من الجمهوريين، فما التقيت بجمهوري إلا ولفت نظري تهذيبه وأدبه وأخلاقه وعلمه وتواضعه للناس وهدوئه رغم التشنج والسب الذي يكيله له أصحاب الجماعات الإسلامية الأخرى، وفي خاطري الفقيد طه أبوقرجة والاستاذ بدرالدين السيمت ود. دالي الذي كنت أحفل بندواته في جامعة الخرطوم، جلهم مثالاً في الأدب والاخلاق السامية التي جاء بها الاسلام.

هذه الحالة ليست فردية لدى الجمهوريين ولكنها تشكل العقل الجمعي لهم، وكأنهم على قلب رجل واحد، ولقد وقفت عند هذه الحالة طويلاً، وقارنت بين

انفعالية كثير من الإسلاميين والسلفيين مع من يخالفونهم مجرد الرأي.. وسألت نفسي من أين أتى الجمهوريون بهذه الخصلة العجيبة، وبقراءتي للسيرة علمت أنهم يتأسون بحلم وعفو المصطفي صلى الله وعليه وسلم...، فهو لم يغضب قط إلا في شئ يغضب الله، ولم يغضب لنفسه قط ، وحاولت أن أعرف من أين أصابت خصلة التشنج والغضب السريع المدرسة الأخرى، وبقراءتي لكتب التاريخ عرفت من أين اكتسبوها.... ولن أبوح بذلك هنا لأنه سيفتح عليّ نيران الهوابل.

أنا لا أروج للفكرة الجمهورية، ولكن كلمة الحق تقال، فناتج تربية الحركة (الإسلامية) وناتج تربية الحركة الجمهورية حيث لا مقارنة، فالحركة (الإسلامية) لأنها كانت تغوص حتى النخاع في السياسة على حساب المعرفة الوجدانية لجوهر الإسلام، كان أفرادها يكثرون القطيعة (النميمة) في الآخرين الذين يخالفونهم الفكر حتى ولو كانوا أكثر منهم تديناً وأداءً للفرائض والسنن والنوافل، ولعل الغوص في السياسة والعمل من أجل الدولة الإسلامية سوغ لهم أن يجترحوا رخصة التحدث في الناس ما دام في سبيل (الدعوة)، وهي رخصة أسوأ من طريقة استخراج رخص قيادة السيارات في السودان التي تمتحن الناس في نوعية الإشارات، والشوارع ليست فيها إشارات.

تجربة التربية بين المدرستين تقودني إلى حصيلة أن النفس في الإنسان هي صورته وهواه ورغباته وشهواته، وهي أثر من آثار الروح التي تمنح النفسَ القوةَ لأداء خواصِّها بأمر الله تعالى . فالنفس ترى بالعين، وتسمع بالأذن، وتحسٌّ بواسطة مسام الجلد، وتتذوق بواسطة الخلايا الموجودة في اللسان، هذه الأحاسيس والإدراكات العقلية . بمجموعها . غير المادية هي ما يسمى بالنفس الإنسانية؛ فإذا أخذ الله الروح وخلي الجسد منها، انقطعت تلك الطاقة عن الأسلاك العصبية، وفقدت تلك الحواس، فعن طريق النفس ينصرف الإنسان إلى أمانيه المادية وشهواته الدنيوية، فينحطٌّ بقدر اشتغاله في تلبية ذلك، وانصرافه عما يسمو به من فضائل وطاعات، أو يعلو ويسمو بانصرافه للفضائل الإيجابية، فيرتقي بقدر إعمال نفسه في الدرجات، وتمرٌّ النفس الإنسانية بمراحل تتصف فيها بصفات ثلاث ذكرها القرآن في سورة القيامة.

وما يدلل على الفرق الشاسع في التربية الروحية للمدرستين، أن المدرسة

الجمهورية أغلب الناشطين فيها (أفندية)، أما المدرسة الأخرى فقد كانت الأعمال التجارية ركيزة أساسية يؤسس لها برنامجها التربوي، للدرجة التي طغت فيها التجارة على القيم التربوية الأخرى لدى الكثيرين من عضويتها، بينما المدرسة الأخرى لم نسمع فيها بتاجر اللهم إلا أن يكون في مستوى دكاكين الرواكيب المعروفة في السودان، لا الوكالات التجارية المكندشة والاستثمارات في ماليزيا وغيرها، ولا نعيب التجارة من حيث هي تجارة، ولكن نعيب أن يكون المال هو الأساس الذي تقوم عليه الفكرة الإسلامية.

إن هذه الفكرة هي ذات الفكرة التي عمل عليها اليهود وبها سيطروا على العالم وعلى أمة أمريكا، فالفكرة الأساسية هي تعليم الناس أن يكونوا أحراراً، وهذا كان شعار بل منهج إسلامي متكامل استفادت منه منظمة الأمم المتحدة في تأسيس الإعلان العالمي لحقوق الانسان، فالمرء عندما يكون حراً في فكره مؤمناً بما يعتقد فانه لن يتنازل عن مبدئه ولو علق على مقصلة، وسيدور مع الحق حيث ما دار، وهي سنة الأحرار طوال المسيرة البشرية، فالمسلم لا يرضى الذل إلا لله، وإن رضي بذل غيره له فقد وضعه موضع الهيبة والإجلال ولاستجمعت حواسه أن هذا الظالم إن أراد أن يقطع رزقه سيقطعه، وإن أراد أن يقتله سيقتله وإن أراد أن يحيه سيحيه وبذلك يكون لا شعورياً وضعه في مقام الذات الإلهية، لذا حرم الإسلام إرهاب الناس وإكراههم، وذلك ما تقوم به حكومتنا (الاسلامية) بلا وازع ولا ضمير حينما تصادر صحيفة من المطبعة أو تغلق صحيفة لأن كاتباً بها أبدى راياً لا يعجب المؤتمر الوطني.

### شتان بين المدرستين..!!

وخلاصة القول أن مدرسة (الاسلاميين) شواهدها لا تحتاج لبيان وكثير كلام كقضية دارفور وما حدث فيها من مجازر ومن ممارسات وما تلاها من تفاعلات دولية وكيف انها كشفت عن مستوى المدرسة وعن فكرها في تعاملها مع القضية.

والسودانيين الذين هاجروا من السودان بل هُجروا، والكفاءات التي خرجت من البلاد بقصد خلو الساحة منهم الآن يقودون دُولاً نحو الكمال الانساني والتطور والرقي تحتفي الشعوب بصدقهم وانسانيتهم وأمانتهم، و يطردون من بلادهم لأن

الحاكمين لا يريدون غير من ينتسب إليهم وإلى مدرستهم.

فحصاد هذه المدرسة ظاهر على شاشة الأحداث، والتاريخ خير شاهد..

أما المدرسة الأخرى (الجمهوريين) فإن نتاجها موجود بيننا ما أجله من نتاج..لا علاقة لنا بعقيدتهم فهي تخصهم وحدهم لكن معاملتهم معنا ومع كل الآخرين تؤكد أن هذه المدرسة قد نجحت في خلق القدوة الصالحة العاملة لخير البلاد والعباد..

لم أرَ في حياتي جمهوريا واحداً شتم أحداً من الناس.

لم أرَ في حياتي جمهورياً واحداً آذى أحداً من الناس..ضربه أو قتله لأنه يختلف معه في الرأي.

حتى عندما قُتل زعيمهم شنقاً لم يفكروا في الانتقام من الحكومة وأنصارها (الاسلاميين).. لكن الغريب انهم رجعوا لكتاب الله بالمُدراسة والتفكُر والتأمل في المسيرة والفكرة، لعمري هذا ما جاءت به الرسالة الإسلامية.

لم أرَ في حياتي جمهورياً واحداً يضمر العداء للآخرين.

لم أرَ جمهورياً واحداً يجري وراء السلطة متعبداً بها يتقرب إلى قادتها.

لكنني عايشت ورايت الجمهورين، أعرف خمسة منهم وتربطني بهم علاقات أخوية،لم أجدهم إلا أفضل الناس وأحلمهم.. وأعلمهم..وأكثر هم حباً للدين وللناس.. قلوبهم بيضاء لم تلوثها أدران الدنيا كما أصحاب المدرسة الأخرى.

متأسين بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

"المُسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

وشتان بين المدرستين..!!.

٢٨ أبريل ٢٠٠٩

# طال عليهم الأمد فقست قلوبهم..!!

أصبح ديدن المرء المكتوي بنيران مشاكل السودان في متابعة دقيقة لما يجري في بلاد العالم من مشاهد التبادل السلمي للسلطة والحكم، وكذلك أصبح يتألم أيما ألم عندما يشاهد نشرات الأخبار ومشاهد الانتخابات هنا وهناك وتسليم السلطة بكل هدوء من شخص لآخر، حتى دولة الكيان الإسرائيلي التي ننتقدها ونسبها صباحاً ومساء يحدث فيها الحوار الداخلي وتبادل السلطة سلمياً بل يخضع الجميع للقانون ولا فرق ما بين رئيس وزراء وغفير في بوابة أي مؤسسة، لذا نجد الإبداع الأكاديمي (الإسرائيلي) والتقني والسياسي و الاقتصادي (٥ جامعات إسرائيلية بين أفضل مائة جامعة في العالم)، وطفقت جامعاتنا العربية والإسلامية برغم شهرتها التي فاقت الآفاق تقبع في مؤخرة جامعات العالم.

ومن هنا ندرك بعين البصيرة أننا متخلفون برغم إدعاءنا الكاذب بانتمائنا للإسلام وللدين المحمدي العظيم، وأن تمسكنا بالسلطة وعدم فتح المجال أمام التبادل السلمي لها في بلد متعدد الأعراق والثقافات وضعنا في نفق مظلم صعب الخروج منه إلا بتضحيات كبيرة على التضحيات الكثيرة التي قدمها الشعب السوداني، فكان متوقعاً لكل صاحب عقل أن استمرار جهة واحدة لعشرين عاماً في دست الحكم سيؤدي إلى نتائج كارثية كالتي حدثت في جنوب السودان وفي شرقه وفي شماله في منطقة أمري وغيرها، ثم في معسكرات اللجوء بدارفور وما حدث مؤخراً في معسكر (كلمة) من مجزرة تقشعر لها الأبدان.

إن ضرب الآماد سنة جارية في الأديان السماوية، وإنّ من سنن الله فيها طول سنيّها، تعريضاً للقلوب لطول الأمد، مفتاح قسوة القلب "فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم"، ولهذه القسوة كان التعصب والتخلف، فإن طول الأمد أذن بقيام بنية متشابكة من المصالح والوجاهات، على قاعدة المقدسات، فكبر على النفوس التزحزح عنها، فأثمر التعصب الذي أورثنا الجمود، وفي دنياً ربها كل يوم هو في شأن؛ فهي في شأن، يكون التخلف عن العالم هو المآل حتماً.

القلوب القاسية كالحجارة أو أشد قسوة لا تتفجر عما يُحيي، ولا تقبل ما يُحيي،

"فقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله" (سورة البقرة) لما تقبلت ما تجلّى لها من الحق.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عيسى الشارقي الباحث البحريني المعروف "إنّ تعصب القلوب القاسية وتخلفها، جعلاها في مواجهة مع التقدم، حيث دولابه لا ينفك يأتي بالجديد، وربما الصادم والمناقض لما أرسته قواعد التعصب والتخلف، وعندها فالتحريف هو أحد حيلها في المواجهة، مرة بتحريف الكلم من بعد مواضعه، وأخرى بتحريفه عن مواضعه".

واليوم ودائما يتنكر التعصب والتخلف لقسوة القلب أبيهما الشرعي، ويدعيان زوراً أنهما ابنان للدين، فالمتعصبون قد نصبوا أنفسهم حماة للدين، وورثة له، وأمناء عليه، وادّعى التخلف أنه الدين كله، ومن عجب أنهم يفخرون بذلك، فمثلهم في هذا كمثل الراعي يفتخر بالذئب أميناً على قطعانه، وهو يأتي عليها بالهلاك.

## هكذا علمتني الحياة

عندما أتحدث عن الطغاة فأنا لا أتحدث عن شخص بعينه بل أتحدث عن منظومة حاكمة يطغى رأيها على رأي إجماع الناس، وقديماً قيل أن الشورى أفضل طريق للأمن النفسي والاستقرار السياسي والاجتماعي، ومن حكمة الله في تمكينه للطغاة، أن تقتنع الجماهير بأن حُكم الشُورى أسلم طريق للوصول إلى حالة السلم والأمن والرفاهية، شخصياً قد أصبحت في قناعة لا تتزحزح أبداً بأن التبادل السلمي للسلطة خير طريق لحفظ دماء المواطنين، وحفظ لمقدرات وإمكانيات البلاد من الضياع، فقد علمتنا الحياة أن الحكم بيد من حديد يورث الحقد والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد، وأن حمل الناس على تأييد حكم الفرد الواحد سيؤدي للكثير من الكوارث.. وقد حدثت بالفعل.

في كتابه القيم (هكذا علمتني الحياة) قال الكاتب د. مصطفى السباعي (رحمة الله عليه) وهو يفضح الطغاة ويشير إلى أنه برغم سلبية وجود الطغاة وشرهم وظلمهم ، فهل هناك إيجابية واحدة من وجودهم يقول السباعي "لولا الطغاة لما عرفنا أدعياء الحرية من شهدائها، ولا أصدقاء الشعب من أعدائه، ولالتبس على كثير من الناس

من بكى ممن تباكى، إن أول صفة للطاغية هي تلك التي تنـزع عنه صفة الرئاسة (الحقد) قال الشاعر العربي:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

فإذا كان الحقد الشخصي يقتل صاحبه كمداً، والحقد السياسي يعوق المجتمع عن سيره الصحيح، فإن حقد الطغاة يُدمرالأمة تدميراً"، ويستدرك الكاتب بقوله لأن الطاغية يذل الأمة، ويعز أعداءها، ويميت أحرارها، ويحيي شرارها، ووراء الطغاة قوى خارجية تدعمهم ولكنها (تشنق أمثالهم في بلادها، وإذا استطاع الطاغية أن يستخف قومه ليطيعوه كما قال تعالى عن فرعون (فاستخف قومه فأطاعوه) فهم أي

الطغاة يضعون الأوهام في عقول الأمة، لتستسيغ وهم عظمتهم وما يستسيغها إلا سفهاء الأحلام والسخفاء، وهؤلاء ترتبط حياتهم بحياة الطاغية ومصالحهم بمصالحه عبيد الطاغية يدافعون عنه، إبقاء على حياتهم لا على حياته، ولا يتهافت على فتات عهد الطاغية إلا الذين لا يجدون ما يأكلون في عهود الحرية، ولا يعتز بالسير في ركاب الطاغية، إلا الذين تدوسهم مواكب الأحرار، فلا تعجب من مغمورين سلط الطاغية عليهم الأنوار أن يحرقوا له البخور، ويمشوا بين يديه بالمزمار، فلولاه لظلوا في الظلام مغمورين ليس لهم نهار، إذا الأحرار كان لهم نهار، هذه الصورة تمثل الحقيقة في واقعنا اليوم إذ نجد عبيد السلطان يحملون ذات المواصفات هذه، نجدهم في منتدياتنا العامة، وفي مجتمعاتنا المنتشرة هنا وهناك، لا يستحون من هكذا عمل يعتاشون به ويسكنون ويلبسون، ويربون أبناءهم..

**يا لسواد ما يفعلون..**

وعندما نأتي للنظر في مشكلة السودان نقول نعم نجحت (الانقاذ) في استخراج البترول وفي تصديره فيما فشل آخرون حكموا السودان، وأصبح السودان من الدول المصدرة للبترول..!!.

×كذلك هتلر صعد بألمانيا من قاع البطالة والإفلاس عام ١٩٣٣م إلى قمة الإزدهار العالمي عام ١٩٣٦م ولأنه نظام شمولي ذهب غير مأسوفاً عليه..!!.

×وكان ستالين الذي صنع روسيا ونقلها من دولة زراعية متخلفة إلى مصاف الدول الصناعية المتقدمة في العالم من خلال سلسلة من الخطط الخمسية الجريئة، ولكنه كان نظاماً شمولياً ذهب وذهبت معه الشيوعية..!!

×صدام حسين رغم انه دخل بالعراق إلى عالم الصدارة البترولية والاجتماعية والصناعية والعسكرية والرفاهية، ولأنه كان شمولياً بذات الطريقة الإسلاموية في السودان ذهب غير مأسوفاً عليه، وأصبحت المقابر الجماعية والتطهير العرقي شاهدة عليه تماماً كما فعلنا في السودان.

## تحرير العقول من الأوهام

في ظني أن هناك من يعتقد بأن (الانقاذ) إذا ذهبت فإن السودان سيتدمر وسيفنى وسيزول من الوجود، هذا زعم خاطي ووهم كبير أدخلنا نفسنا فيه بدون تروي وحتى بدون نظر في القرآن الكريم الذي نتلوه صباحا ومساءً (إذا كنا نفقه ما نقرأ) لذا يصبح من أولى المهمات تحرير عقولنا من الأوهام التي نعيش فيها، ومن ثم غربلة وتمحيص الأفكار التي ارتكزنا عليها في اعتقاداتنا الخاطئة السياسية والدينية والاجتماعية، وتصحيح العادات العقلية الخاطئة، وطرق التفكير الملتوية التي تُحول دون الرؤية الصحيحة للأمور كالتعصب، والإحساس بالتميز والكمال، وكان بإمكان الحركة (الإسلامية) أن تتقدم بالسودان إلى آفاق أكثر رحابة في طريق التنمية والإصلاح السياسي والتنمية الإجتماعية إذا كانت بالفعل تستند على قاعدة قوية من الإيمان بالله وبسنة نبيه الكريم (ص)، لكن المسافة الشاسعة ما بين المعتقد والممارسة أدت في نظري إلى ما وصلنا إليه من تمزق وخلل في المنظومة الوطنية التي اشتهرت بالتماسك في أحلك الظروف، وفي قناعتي الشخصية أن (الحرية) مثلت وتمثل حالياً أكبر مشكلة في بلادنا، الحرية في ما نقول، وفيما نختار من أنظمة حكم، وفي إختيار من يُمثلنا، ومن هنا أقول أن الحراك السوداني حول ترسيخ قيم الحرية قد تصادم بقوة مع منهج الحكم الرامي إلى احتكار الراي منصباً نفسه الوكيل على الناس، وفي اعتقاده أنه يعرف مصلحتهم أكثر من أنفسهم.

وفي هذا المنحى تذكر الباحثة والكاتبة رابحة الزيرة في مقال لها بعنوان (الحرية الذاتية) "أن مناقشة الآراء المختلفة بعقل حُرّ وفكر ناقد قد لا يؤدّي بالضرورة

إلى الوصول إلى رأي جازم ومشترك ولكنه حتماً يربّي خلق التسامح وتقبّل الآخر والانفتاح عليه، وهو أسمى من مجرد الاتفاق على رأي موحّد، وبمناقشة الآراء المختلفة سنصل إلى تكوين عقل مثقف قادر على النظر والاطلاع على وجهات نظر مختلفة في الموضوع الواحد لتكوين رأي جديد ومتماسك يجمع بين الحق المبعثر في الآراء المختلفة، وكذلك نضمن حصول العقل على استقلالية نسبية عن الوسط الذي يعيش فيه، إذ أن الموافقة المطلقة ستخلق عقولاً أقل ما يقال عنها أنها (إمّعة) لا تحسن سوى التقليد، وبما أن الأصنام لها أساس من الذات فإنها ستبقى ولكن نفوذها سيقلّ مع التمرّس في ممارسة التفكير الحرّ مع كلّ قرار، وتغليب الإرادة الحرة أمام كل منعطف في الحياة، إذا ما قرّر المرء أن يمارس حريته الذاتية".

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤)( سورة الأنبياء).

٢٦ سبتمبر ٢٠٠٨م

# الطيب مصطفى والعصور الوسطى (١)..!!.

ثمة إحساس بالحزن والألم والمرارة ألم بي بعد اطلاعي على آخر مقال للأستاذ الأخ الطيب مصطفى (المنشور بموقع سودانايل ١٧ أبريل) أشعرني بأن الرجل يريد لنا العودة إلى العصور الوُسطى التي تمثلت فيها عهود الظلم بكل أشكاله وأنواعه، فمجتمعها إقطاعي طبقي مغرق في الإقطاعية والطبقية، متعصب شديد التعصب يرفض حرية التعبير عن الذات وعن الحاجات الكامنة في النفس البشرية التي خلقها الله وفطرها عليها ويأبى للناس أن يطلقوا لأنفسهم حرية التفكير المستقل من أجل الرقي بحياتهم.

والمقال الذي كتبه الأخ الطيب مصطفى قد غلبت عليه الأخطاء الطباعية قرابة العشرون خطأ، الأمر الذي يشير بوضوح شديد إلى إرسال المقال قبل التريث في قراءته والتمعن في معانيه ومراميه، ومعرفة أين تكمن الأخطاء والعِلل، ومن ثم معالجتها الكترونياً، لم يصبر أخينا الطيب مصطفى ٥ دقائق فقط لمعالجة الاخطاء الطباعية، وهو زعيم التيار الانفصالي في السودان يا تُرى كيف يتخذ القرارات في منبره..؟، الرجل بلا أدنى شك يستعجل في حكمه على مواقف الناس، و في وإطلاقه لإتهامات لا تمت للواقع بصلة.

يعكس هذا التصرف أيضاً الاضطراب النفسي الذي يعانيه الرجل، فليس من الحكمة أبداً أن يكتب صاحب مشروع انفصالي كبير دون أن يقوم بالتدقيق والتشذيب بل والتريث في إطلاق الأحكام على الآخرين، وموقف العقيدة التي يدين بها ويدعي الدفاع عنها ضد مما أسماهم بكُتاب (المارينز) فالإناء ينضح بما فيه كما وضح المقال ذلك.

في كتابه الذائع الصيت (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) الذي تُرجم إلى عدد من لغات العالم وهو أكثر الكتب العربية انتشاراً في العقد الأخير كون كاتبه مسيحي لبناني وليس مُسلماً، هو الكاتب الفذ جورج جُرداق (توفي قبل ثلاث سنوات)، وعندما يكتب مسيحي عن سيدنا علي (كرم الله وجهه) في مجلدين من الحجم الكبير عن الفكر الذي جاء به الإسلام من خلال ترجمة لأفعال خليفة المسلمين الراشد، يعني أن

المسلمين لم يدركوا بعد حقيقة مبادئ حقوق الإنسان كما جاء بها الإسلام، وكما هو معروف أن الأمم المتحدة قد استمدت لوائح ونظم حقوق الإنسان من فكر سيدنا علي بن أبي طالب سليل بيت النبوءة، فالسؤال الذي يطرح نفسه ما هي منطلقات الأخ الطيب مصطفى..؟؟ إلا أن يكون يرغب حقيقة في الرجوع بنا إلى العصور الوسطى في القارة الأوربية.

ففي العُصور الوُسطى...

يمنع الإنسان من حقه في الخبز ويُحرم عليه التفكير الحُر والمُعتقد الحُر، ويُعاقب على طلب الخُبز والحُرية بالقتل والحرق لا رحمة في عقابه ولا هُوادة، فإنسانيات هذه القرون من ثم دون الإنسانيات القديمة في هذا المجال.

و بقدر ما كانت زمرة الأغبياء مكرهة للنفوس وخُزياً على وجه تلك العصور، كان المارقُون والمتمردُون حباً في القلوب ونُوراً في العقول وصفاء في الضمائر وجمالاً على صفحة التاريخ.. أجل، إنهم المارقون.. المتمردون.. كتاب (المارينز) القدامى..!!.

في العُصور الوُسطى..

كان ملوك ذلك الزمان وشركاؤهم الجهلة والمجرمون والمتسترون بغشاء الدفاع عن الدين يسنون قوانين ظالمة للحد البعيد من أجل القضاء على هؤلاء المفكرين، بعد تعذيبهم والتنكيل بهم، فقد عودنا منطق التاريخ والجغرافية وقد أصبحت قاعدة ثابتة لا تتحرك مهما كانت الأحوال، ومهما بلغ مستوى التعسف العسكري والأمني والضغط النفسي والاقتصادي إن المفكر لن يرهب الظالم، والعالِم لن يستسلم للجاهل، والقيمة الإنسانية الحقيقية لن تغمرها مكايد المحتالين وصِغار أهل النفاق.

ففيما كانت الإمبراطوريات الأوروبية في القرون الوسطى تعاقب المارقين بمصادرة الأملاك، فالسجن، فالتعذيب، فالحرق بالنار، كان هؤلاء المارقون من فلاحي نورماندي بفرنسا، ومن الشعراء والأدباء، ينشدون هذه الأغنية بصوت ظل يدوي حتى بلغ مسامعنا اليوم، قائلين:

إننا رجال مثلهم!

لنا من الأعضاء مثل مالهم،

ومن الأجسام مثل أجسامهم.

ومن القلوب النبيلة فوق ما عندهم !

ويذكر الكاتب جورج جرداق " أن المارقين جميعاً كانوا من شُرفاء الخلق وعُظماء الفكر، ومن المتمردين على المظالم وعُشاق الحُرية، ومنكري الأذى والنكال، ومن الذين اتصلت بهم حلقات التمهِيد إلى إعلان حُقوق الإنسان".

فالشاعر الفرنسي العظيم فرنسوا فيللون أحد أبطال الحب والحرية في تاريخ البشر، كان مارقاً في قانون ذوي الأقنعة السوداء وأصحاب التاج والصولجان في القرون الوسطى، لذلك عاش طريد القانون مُشرداً في كل أرض لا يحتويه مكان، وقد صدر ضده أكثر من ستين حكماً تتراوح بين النفي، والسجن، والسجن المؤبد، والتعذيب، والقتل بالسيف، والحرق بالنار، ولكنه أفلت من قبضات الماكرين وظل تائهاً ينشد الحب والحرية والمساواة بين الناس وسحق التعصب بكل ألوانه، كما ظل يدعو إلى وثبة العدالة والحياة ضد الجور والموت إلى أن انتهى عمره القصير وهو في شرخ شبابه، في الرابعة والثلاثين من عمره.

وفي أواخر القرن الثاني عشر ظهر في مقاطعة بريتانيا بفرنسا مفكران مصلحان أولهما يدعى أموري ألبيناوي، وثانيهما داود الدنيانتي وهو تلميذ الأول ورفيقه وقد هاجم هذان المفكران تعاليم رجال الدين القاضية بأن يبقى الشعب في غفلة عن حقوقه في حرية الفكر وحرية العيش، وبأن يبقى أبناؤه عبيداً لهم وللأشراف والأمراء الأغبياء فما كان من رجال الدين إلى أن ألفوا محكمة عاجلة لمحاكمتهما ومحاكمة أتباعهما دفعة واحدة، وكان الحكم قاهراً وكانت العقوبة صارمة قاسية، وقد حمل أتباع الرجلين إلى ساحة النار!

أما المفكران المصلحان فقد فرا طلباً للنجاة، ولكن انتقام رجال الدين في تلك العصور كان أوسع من أن يفلت منه الإنسان حياً أو ميتاً، فإنهم ترقبوا موت الرجلين الكريمين، فنبشوا قبرهما وأحرقوا رفاتهما..!!.

ولكن هل خلت هذه الظلمات من شهب تتوامض في دياجيرها السُود فتمزقها

ولو إلى حين..؟، وهل استسلم الإنسان في أوربا مُطلقاً لمخزيات الطبقية والإقطاعية والعصبية الحمقاء..؟، وهل خمدت الحياة في الأحياء وانطفأ تأججها فسكنت وسكن الناس، فما من ثائر لحق ولا من مُتمرد على وحاقة وظلم..؟، وهل تفككت السلسلة التي صيغت حلقاتها بنور الأذهان والقلوب وحُميت بالدماء والتضحيات منذ كان الإنسان الاجتماعي الأول حتى هذه الصفحات من تاريخ البشرية..؟.

وهل انقطعت الطرق التي سار فيها الإنسان السابق في كيان أخيه اللاحق، لتدله على أنه (إنسان) وعلى أن له حقوقاً عليه أن يطلبها بعنا وإصرار.؟.

بكل تأكيد أن الحياة لم تخمد ولن تخمد وفي يقيني التام أن كُتاب (أجراس الحرية) في طريق الكثير من الأئمة المسلمين والمفكرين الصادقين الذي باعوا أنفسهم للحق والحقيقة الذين تم قتلهم بسبب آرائهم وأفكارهم، وهم سائرون على طريق (أموري ألبيناوي) و (داود الدنيانتي) وأن إتحادهم في إصدار هذه الصحيفة لهو إعلان جديد لحقوق الإنسان السوداني أين ما وجد وكيف ما كان لونه وعقيدته وما يحمله من أفكار.

والناظر لكُتاب هذه الصحيفة يجد إنهم من أصحاب التجارب الفكرية والسياسية والاجتماعية، منهم من صال وجال في ميادين الحركة الإسلامية مفكراً خبيراً في المنابر الفكرية والسياسية ومسؤولاً عن مكتب قائد الحركة وكان من نجومها، بارعاً في ارتياد المناقشات الدينية ذات العمق الفكري والعملي، ومنهم من قارع السلاح مقاتلاً عن وعي وبحنكة، برغم الشهادات الأكاديمية العليا إلا المسئولية وضعته في هذا الموقع، ومنهم من تنقل من فكر سياسي محض إلى فكر سياسي عقدي، ومنهم من قارع أمهات الكتب والمراجع، وعندما ألفت نظر القارئ الكريم لهذه النقطة فإنني أشير بذلك إلى تجربتي الشخصية وكيف أنني استفدت منها أيما استفادة في حياتي الجديدة التي جعلتني ألم بتجارب الآخرين ومكنتني من (الرجوع) إلى الكتاب والتزود بالمعرفة، إذاً فإن المثل السوداني القائل (أسأل مجرب ولا تسأل طبيب" يعني أن أصحاب التجارب عموماً هم الأكثر قدرة من غيرهم رداً على علامات الاستفهام الكبيرة وفك الطلاسم التي تحير صاحبها وتدخله في نفق ضيق، وكذلك هم الأقدر على تفهم حاجات الإنسان السوداني، ولذا أقول أن كُتاب (أجراس الحرية) و قادرين بتجاربهم وعصارة فكرهم على تجسيد الحل الذي ينتظره جميع

السودانيين المتمثل في التعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد.

وإذا كان الأخ الكريم الطيب مصطفى يريد لنا العودة إلى القرون الوُسطى وما فيها من أساليب للتعامل مع الرعية فإن هذا الحل ما عاد مطرُوحاً في الوقت الحالي، الأمر الذي جعل الجغرافية السودانية بكل اتجاهاتها وتلاوينها السياسية والثقافية تتمرد على المركز، لكن الذي آلمني ويؤلمني أن الأخ الطيب ومن يمثلهم لم يجتهد في الإجابة على السؤال ..لماذا تمرد الكل على المركز..؟؟ حتى على مستوى الشرائح المهنية، فإن حاملي مشاعل الوعي و النور هم خارج دائرة المركز إلا من توجس خيفة من إلصاق تهمة (الطابور الخامس)، أما الآخرون فهم من فاقدي الموهبة والضمير، وهناك قائمة طويلة بالديباجات وقد استخدم منها رئيس منبر الشمال (المارينز) لكُتاب هذه الصحيفة، فقط لأنهم يختلفون معه في الرأي.

وتجربتي الشخصية تؤكد أن (الاختلاف) في الرأي بالنسبة لحكام المركز يمثل خطأً (أحمر) لا ينبغي تجاوزه ضرباً على الحائط بكل مفاهيم الإسلام التي تحث على أن (أمرهم شورى بينهم).

# الطيب مصطفى والقرون الوسطى ..(٢)

قلنا في المقال السابق أن الأخ الطيب مصطفى يريد العودة بنا إلى القرون الوسطى، عهود الظلم والظلمات وكبت الحريات وانتقاص الحقوق التي كفلتها كل الشرائع الإلهية والمواثيق الدولية، يعود بنا إلى تلك الفترة ونحن في بدايات الألفية الثالثة، حيث مشاريع الوحدة هنا وهناك تُدهش البشر، كيف وأن دول الاتحاد الأوربي التي عاشت سنين أريقت فيها الدماء ومات فيها الملايين من البشر في حربين عالميتين حرقت الأخضر واليابس، توحدت برغم المآسي والجراح الكبيرة، وبرغم اختلاف اللغات والثقافات والسُحنات، مستفيدة من البنيات الاقتصاد المختلفة، والموارد البشرية والمالية الضخمة، وكانت الوحدة مذهلة للمراقبين، أنستهم مخلفات وكوارث القرون الوسطى والحربين العالميتين الأولى والثانية.

ولاستمرار الوحدة بين دول هذا الشتات تحملت الشعوب الأوربية الكثير من الضرائب التي أرهقتهم، فمثلاً حتى تتفاهم مع بعضها البعض وحتى تقيم المؤسسات المشتركة لا بد أن تنعقد المؤتمرات والمنتديات وورش العمل، كان المواطن الأوربي في سنين الاتحاد الأولى يدفع من دم قلبه الملايين من الجنيهات لترجمة كل ما قيل في هذه الاجتماعات، تصور أخي القاري أن إدارة الاتحاد الأوربي في بروكسل العاصمة البلجيكية تترجم يوميا آلاف الوثائق من لغات مختلفة الهولندية والفرنسية والانجليزية والألمانية والأسبانية والايطالية الخ وبالعكس..!!.

وكأنني بهذه الدول قد فهمت معنى الآية الكريمة:

"وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ". آل عمران.

وجاء الحديث النبوي الشريف ليؤكد على معاني العيش بسلام بدون كراهية وحقد وبغضاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا

ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكُونوا عِباد الله إخوانا).

بينما يريد الأخ الطيب مصطفى وزمرته انفصال وطن واحد يفهم بعضه البعض بدون تراجم، ويطلب منا جميعاً أن نُعطل عقولنا التي حبانا بها الخالق عز وجل دون سائر مخلوقاته، وأن نطلق لعواطفنا العنان في معالجة الإشكالات الراهنة وهي ليست إشكاليات فرد وأسرة بل هي قضايا أمة لها تاريخ مؤغل في القدم وينتظرها مستقبل مشرق، فليس من الحكمة أن نعمل بكل قوانا لزرع الكراهية والحقد بين أبناء الوطن الواحد بحيث نطلب الانفصال عن تلك الأرض التي فقدنا فيها فلذات أكبادنا حتى نُرضى عصبيتنا وجهويتنا وكبرياءنا الزائف.!!.

وفي القُرون الوُسطى كان هناك مناضل عريق هو (سافونارولا) كشف لنا عن حقيقة أساسية في معنى التعصُب والتسامُح هي أن السبب الرئيسي في التعصب الديني من قبل الحُكام ورجال الدين، إنما كان للحصول على المغانم والمكاسب المادية والتخلص من الخصوم السياسيين وسائر الذين يقفون في طريق أصحاب هذه المغانم وهذه المكاسب..!.

وفي كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) يذكرنا الكاتب جورج جُرداق بسيرة (سافونارولا) وسيرة خصومه في هذا المقام بأخبار التناحر والتقاتل في تاريخنا العربي وقد شاء المؤرخون أن يخلعوا عليها طابعاً دينياً أو طائفياً خالصاً، وهي في حقيقتها معارك قامت على منافع مادية ومكاسب اقتصادية كانت كلها من نصيب الملوك والأمراء وأعوانهم من رجال الدين يستولون عليها باسم (المحافظة) على الإيمان و(خير) المؤمنين..!.

والراهب الانجليزي الدكتور جون ويكليف كان من أنصار الحرية في زمانه، وكان رجلاً طيب القلب كريم الخُلق قوي التفكير مُحباً للشعب قال:

"إن الناس يجب أن يطلعوا بأنفسهم على التوراة لا بواسطة رجال الدين وأن رجال الدين هؤلاء يعيشون عيشة بذخ وفُسق والناس في جحيم من الفاقة وإنهم يريدون أن لا يكون في انجلترا شيء اسمه (الرأي العام) وهو يريد ذلك".

عندما ينتقد الطيب مصطفى عبارات مسيحية على إحدى الصفحات فإنه يحاول تجّييش الناس ضد الصحيفة التي كسبت وتكسب يومياً أصحاب العقول الواعية،

ما يشير بوضوح شديد إلى أن الخوف من ثقافة الآخر في العادة ينتج عن ضعف في مستوى التدين وفي ضعف مفهوم الدين لدى صاحبه، ما يعني ضعف التلقي المعرفي العام ليس بالدين فحسب بل بتاريخ وسمات الشخصية السودانية.!.

وفي كتابه (عاشق لعار التاريخ) يقول الكاتب السعودي عبد الله القصيمي " أن أشد الناس خوفاً من الحرية والتطور هم الذين انتصروا بالمؤامرات، وهم الذين ارتفعوا فوق أكتاف التاريخ بالقفز عليه في الظلام".

ويقول في مكان آخر من الكتاب " إن الثوار لا يمكن أن يصنعوا الحرية، إنهم أبدا خصومها، و لكن الحرية تحفر طريقها بلا تشريع ولا ثورة، كما يحفر النهر مجراه بمواصلته السير في جوف الصخور والتراب وبمقاومته الطبيعة، أن الحرية لا توجد بالإرادة أو الخطة أو الأمر، أن الحرية توجد بالتعامل مع الأشياء الصعبة والمتناقضة والمضادة".

في الدُول العلمانية التي يمثل فيها المسلمين الأقلية تتداح الثقافة المسيحية في كل مكان في البيت والشارع والأجهزة الإعلامية، وفي كافة الدوائر التي يرتادها البشر، لم يتزعزع إيمان المسلمين بدينهم ومعتقدهم لأن ثقافة المسيح تطاردهم في كل مكان، بل يحصل العكس تماماً أن تدين المسلمين يزداد ترسيخاً في دواخلهم مع الاعتزاز بالانتماء لهذا الدين العظيم الذي يحتل الوجدان ويقبع في أعمق مكان للإحساس بحلاوة الإيمان، فلماذا يعتبر الأخ الطيب مصطفى أن بضعة آيات من الإنجيل في صفحة أسبوعية تعكس نبض المسيحيين في الخرطوم مُهدداً لوجود الإسلام في السودان..؟!.

في دول مثل ألمانيا وفرنسا تدين بالمسيحية، أسلم فيها أكثر من ٦ ألف شخص ما بين عامي ٢٠٠٦-٢٠٠٧م ولم تتزعج الصحافة هناك لأن جزء عزيز من أبناء البلد قد فارق دين آبائهم وأجدادهم، ولم تقرع طبول الحرب ولم تطالب بطرد المسلمين من أراضيها.

إذاً، الاستدلال بصفحة (أجراس الكنائس) لمخاطبة عقول ضعيفة تصدق أن الصحيفة تقوم بالتبشير لدين هو مكان احترام وتقدير كل السودانيين، يعبر عن هزيمة نفسية للفكر الذي يحمله الأخ الطيب، لكن المعنى العميق في المسألة أن

صاحبنا لم يتمالك نفسه بحصول هذه الصحيفة على سبق صحفي ومهني كبير يضاف إلى رصيدها أن أصبحت أول صحيفة سودانية ناطقة باللغة العربية تخصص صفحة لرصد الحراك المسيحي في البلاد وعكسه للقراء الكرام، في ظل وجود ملايين من المسيحيين بين ظهرانينا.

الطيب مصطفى يعلن أنه يمتلك (الحقيقة) وأن الآخرين رعاع لا يفقهون شيئاً، وفي يقيني هذا أمر مؤسف يمثل أسلوب غير مُتزن يمارسه الذين يجهلون كينونة الصراع من أجل البقاء، كما يجهلون ما يحدث على أرض الواقع في الوقت الراهن،ولعل تجربة الاتحاد السوفيتي خير مثال، فبانهيار الدولة التي كانت تقول أن (الحقيقة) عندي وحدي، انهار المجتمع وتحولت البلاد إلى مجموعات من المافيا وتُجار السلاح وشركات تجارة الجنس، ولم يتمكن المجتمع المقولب حكومياً من مواجهة الكارثة فتفرقت البلاد إلى جمهوريات أيدي سبأ، فلماذا يريد صاحبنا تكرار هذه التجربة الماثلة أمامنا والتي عشناها بكل ما فينا من جوارح..!.

وعندما نتحدث عن رفض الطيب مصطفى لإندياح الحريات الصحفية والإعلامية والتعبير الحر عن الذات( وهو رفض مبطن) نتذكر قصة اغتيال الإمام النسائي على منبر دمشق عاصمة الأمويين، ومن المؤرخين من يقول أنه دفن في مكة ومنهم من يقول انه دفن في الرملة فحتى قبر هذه القامة العلمية في ظل هرجلة الإسلام السياسي الأموي لا يعرف مكانه على وجه الدقة، ففاجعة الإمام النسائي قد تنفع الباحث المنصف كنقطة للبحث لمعرفة نفسية وعقلية الدولة الأموية التي يسير على منوالها الأخ الطيب وأعضاء منبره.

أستاذ الإنسانية الإمام علي كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين يقول "الحاكم والد والرعية أبناءه" و "ما جاع فقير إلا بما متع به غني" و " الفقير غريب في وطنه" و "لو كان الفقر رجلاً لقتلته" و "خير البلاد ما حملك"، وقوله الأخير جعلني أفكر لماذا هاجر السودانيون حتى إلى إسرائيل..؟ أليس الوصايا على الآخرين هي السبب، وجعل الناس تعيش بلا حرية ممارسة الفعل البشري التلقائي، لأن المركز يريد للآخرين كما يُشرع لذلك الأخ الطيب ممارسة فعلهم اليومي من خلال موافق قيادة المركز، وبما يراه المركز، ولذا أقول أنه حينما تفرض الوصاية على العقول من أي جهة ستكون مناهج الفكر أموية، ومعايير البحث عباسية، وهذا هو ما ضرب الإسلام في مقتل.

في كتابه القيّم الذي شغل المُفكرين والعُلماء (جدلية الغيب والطبيعة: العالمية الثانية للإسلام) صفحة ٢٤٨ يقول المفكر السوداني المرحوم أبو القاسم حاج حمد "إن تلبس الإنسان بحالة القوة الذاتية في الفعل سرعان ما تنسج حول الإنسان شعوراً بمطلقه الذاتي، ثم ينعكس هذا المطلق الذاتي على علاقته بالطبيعة وبالمجتمع، فيحل الصراع بديلاً عن السلام، والانقسام بديلاً عن الوحدة، ولا يصبح ثمة معنى للوحدة والسلام إلا في حدود المنفعة الموضعية لحركة المطلق الإنساني الذاتي.. القبيلة والطبقة، وهذه الأشكال المختلفة التي تتكاثر على مستوى الانقسام والصراع والأخلاق، فكل تركيب كوني يفقد معناه الطبيعي وروحه الايجابية فيتحول إلى المعنى الذي يعطيه له الإنسان من خلال شعوره المطلق الذاتي، هنا يغيب الله عن الوعي وتغيب حكمته في النسج الكوني فماذا تكون النتائج الحضارية؟ ماذا تكون نتيجة إهمال هذه المعاني؟".

والنتيجة واضحة للجميع تمرد السودانيين بكل سحناتهم واتجاهاتهم على المركز لكن الأخ الطيب مصطفى لا يريد الاعتراف بعمله في إشعال نار الصراع بديلاً عن السلام، والانقسام بديلاً عن الوحدة.

الثامن من مايو ٢٠٠٨م

# لماذا اختفى الطيب (سيخة)..؟؟

من خلال متابعاتي الدقيقة لما جرى في المؤتمر القومي الثاني للحزب الحاكم في السودان من مداولات ومن خطابات وتوصيات كان ختامه المؤتمر الصحفي لرئيسه عمر (البشير) سأتناول بالتحليل ما دار فيه وما خرج به من توصيات، لكن ثمة سؤال ألح عليّ وأنا أتابع اليوم الأخير للمؤتمر فوددت أن أشرك معي القارئ الكريم في الإجابة على السؤال الطارئ.. لماذا اختفى الطيب إبراهيم محمد خير (الطيب سيخة).. ولماذا أفل نجمه، وهو أحد قادة الحزب الحاكم والمستشار الأمني للرئيس، ومركز القُوى الكبير وسط العسكريين والعاملين في الأجهزة الأمنية للنظام الحاكم.

وكما هو معلوم بأن الطيب (سيخة) المتخرج في كلية الطب جامعة الخرطوم استمد لقبه من الحراك العنفي للإسلاميين في القطاعات الطلابية بجامعة الخرطوم، أكثر (الإسلاميين) الذين سُلطت عليهم الأضواء الكاشفة، ساحباً البساط من تحت أرجل كل الذين شاركوه تنفيذ انقلاب الثلاثين من يونيو، وزيراً لمجلس الوزراء ثم والياً لولاية دارفور الكبرى، وزيراً للإعلام، ثم وزيراً للعمل والإصلاح الإداري، ثم وزيراً للتخطيط الاجتماعي، ثم أعيد تعيينه في منصب مستشار الرئيس للشؤون الأمنية، المنصب الذي يعرف لجميع العاملين في دوائر الحكومة من الإسلاميين أنه منصب شرفي ليس إلا وليس له أي علاقة بالواقع الأمني الذي يجري في البلاد لكن المهم جداً معرفته هو أن النظام الحاكم ورئيس الجمهورية شخصياً لا يمكن ألبته الاستغناء عن شخصية الطيب إبراهيم محمد خير، تماماً مثل شخصية وزير الدفاع الحالي عبد الرحيم محمد حسين لما للرجلين من أهمية ليس لها صلة بالعمل التنفيذي في دولاب الدولة لكن للأسرار الخطيرة والكثيرة التي في جعبة كل منهما فسنين الحكم الـ ١٨ عاماً التي حكم فيها (الإسلاميين) السودان إندلعت فيها حروباً كثيرة في جنوب السودان وشرقه، وحرب دارفور لا زالت ماثلة للعيان، وآثارها تعصف بمستقبل السودان، وكذلك خاض النظام حروباً من نوع آخر مع كل من يوغندا وأريتريا، وفي البدايات مع السعودية ومصر، وبالطبع فإن مصر بعد فشل محاولة اغتيال رئيسها في أديس أبابا (١٩٩٥ ) استفادت أيما استفادة من هذا الكرت، وجعلت السودان كله

بتاريخه وجغرافيته وإمكانياته الهائلة لعبة في يديها تحركه كيفما شاءت، فكل هذه الأحداث الجسام فيها ما فيها من أسرار ومن ملفات كلها بحوزة الرجلين.

## دور استراتيجي

الطيب (سيخة) معلوم هو أحد الرجال المُهمين في تنفيذ الانقلاب المشئوم صبيحة ٣٠ يونيو ١٩٨٩م، وقد أدى دوراً استراتيجياً في تثبيت أركانه، فهو يمتاز بقوة التنظيم والترتيب وسرعة البديهة والحنكة الكبيرة في المناورة وقيادة الخلايا الصغيرة والدقيقة وقد أعطاه الله تعالى السرعة في الالتصاق بالناس وقوة المنطق والإقناع والأريحية والسرعة الفائقة في معرفة الأشخاص وتاريخهم وتعلم لغات الآخرين والتعلق بهم، والطيب سيخة يمتلك ذاكرة قوية تمكنه بسهولة من الخروج من المآزق التي تصادفه في حياته، كما يمتلك الرجل عاطفة جياشة وقد ظهرت في قصائده التي كتبها في أوج عمله التنظيمي في نهاية السبعينات قد كتب القصيدة المشهورة عند الإسلاميين:

إلى أختي ..إلى ذاتي..إلى روحي..إلى محبوبتي أنتي

إلى من قلبها بالنور يغمرني ويأمرني بأن أتلو من القرآن آياتي... إلخ

ولكن هذه العاطفة الجياشة أدخلته في مشاكل كثيرة منها ما هو شخصي، وما هو سياسي وأمني، جعلته في موقف صعب مع المقربين منه، فكاتب هذا المقال نشر مقالة كبيرة بصحيفة "ألوان" عام ١٩٩٤ بعنوان (رسالة خاصة للطيب إبراهيم محمد خير) انتقده فيها نقداً شديداً وقاسياً بسبب المتغيرات الكثيرة التي حدثت في حياته، وفي طريقة تعامله من الناس، وقد كان كثير المفاخرة بأنه من صلب الشعب منه وإليه وذلك عندما كان يسكن في منطقة (مرزوق) الشعبية شمال أمدرمان، وكان لا يأكل إلا أكل عامة أهل السودان مثل (الكسرة والقرُاصة والبامية الفرك) وعندما رحل إلى بيت(الحكومة) في منطقة النقل النهري في مقابل القصر الجمهوري من جهة الخرطوم بحري بدأت حياة الرجل تتغير على نحو غريب لا يشبه القدوة التي اشتهر بها بين جيل الشباب في معاني القوة والشجاعة والتدين والتميز والزهد والبعد عن شهوات النفس وحب المطامع.

هذا المقال الذي كتبته تسبب له في مشاكل كثيرة، وقد كنت أضع الرجل في

مكانة عظيمة، وكنت حقيقةً أفاخر به لما لمست فيه من ايجابيات قل نظيرها في غيره، وقد عشت مع الرجل أياماً جميلة في مدينة الفاشر عندما كان والياً لدارفور الكبرى، آنذاك وقد رافقته في مناسبات عديدة، وأهمها تسليم مهام حكم الولاية إلى ثلاث ولاة جُدد عندما تم تقسيم الولاية إلى ثلاثة ولايات شمال دارفور وغرب وجنوب دارفور، قد تعودت على قضاء الأمسيات معه في قصره وكنت لا أضيع فرصة إلا وثقت لحركته واجتماعاته ولقاءاته مع زعماء قبائل دارفور وجل المناسبات التي كنت أحضرها هناك، وكان الطبيب (سيخة) مصدر ثقة بالنسبة لرئيس الجمهورية في مسؤوليته تجاه ملف دارفور قبل الحرب.

**ولكن لماذا أفل نجم الطبيب (سيخة)..؟؟**

لهذا الأفول أسباب كثيرة في نظري من بينها ما ذكرته آنفاً (العاطفة الجياشة) نحو أشخاص يلتقي بهم في مسيرته الحياتية ولا يستطع الفكاك منهم ويتعلق بهم شديداً ويتسببون له في مشاكل كثيرة، لكن أهم الأسباب أن الرجل بأي حال من الأحوال بعيداً عن محور مركز الحكم القوي والمتمثل في مجموعة علي عثمان محمد طه، فالطبيب (سيخة) شغل نفسه كثيراً بالاستراتيجيات المتعلقة بالجانب العسكري والأمني فيما يتعلق بعلاقة النظام مع المعارضين عسكريين وسياسيين، وكما هو معلوم للجميع أن مركز القوى الحاكمة يتحكم فيه جهابذة مع علي عثمان محمد طه مثل د.نافع علي نافع واللواء صلاح قوش ود. عوض الجاز، فمن الطبيعي أن لا يكون للطبيب (سيخة) مكان في هذا المحور سيما وانه محسوب على محور عمر البشير، والذين يعرفون طبيعة محور الحكم يدرك أنهم قد تعودوا على ضرب محور رئيس الجمهورية ببعضهم البعض حتى لا تقوى لهم شوكة تماماً مثل ما فعلوا مع معارضيهم في الأحزاب (ضرب حزب الأمة مبارك الفاضل مع الصادق المهدي) وضرب (الاتحاديين الشريف الهندي مع الميرغني) وساهموا في زعزعة الشيوعيين فخرجت منهم كيانات مختلفة ضد بعضهما البعض.

فالطبيب إبراهيم محمد خير كان في فترة من الفترات يمثل مشروع (رئيس جمهورية) فللرجل شعبية واسعة وسط السواد الأعظم من الشباب، فالطبيب سيخة حركي إسلامي جاء من وسط الطلاب، والرجل خبير عسكري، وأمني، صاحب شبكة من العلاقات قوية جداً مع السياسيين من جهة والعسكريين والأمنيين من جهة آخرى،

فما كان يشاركه في هذا الطموح غير علي عثمان محمد طه و د. مجذوب الخليفة، فرحل الثاني وبقى الأول تحميه قوة ضاربة اقتصادية وسياسية وأمنية وعسكرية، وقد أصبح طريقه إلى كرسي الرئاسة مسألة وقت ليس إلا..!!.

فالطيب غير كل هذه المواصفات شخصية دبلوماسية من الطراز الفريد ففي عام ١٩٩٤م عندما التقى الأمير نايف عبد العزيز آل سعود في مؤتمر وزراء الداخلية العرب في تونس، وكانت علاقة البلدين في قمة العداء، والناس لا تنسى حديث المقدم يونس محمود في الإذاعة السودانية عن المملكة العربية السعودية والإساءات البالغة التي وجهها إلى مليكها آنذاك الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وأتذكر كنت قريب جداً من الطيب (سيخة) في تلك الفترة وذكر لي ما دار بينه ووزير الداخلية السعودي الأمير نايف، وكيف أنه جلس معه في مقر إقامته في الفندق وتباحث معه على تحسين العلاقات بين البلدين، وفي ذات اللقاء طلب الأمير نايف من الطيب (سيخة) كشفاً باحتياجات السودان بالنسبة لوزارة الداخلية فنزل إلى رغبته، وما هي إلا أسابيع قليلة حتى وصلت إلى ميناء بورتسودان باخرة محملة بمئات السيارات والمعدات الأمنية بعد أن طافت بها عدداً كبيراً من الموانئ بهدف التمويه حتى لا يقال أن السعودية تدعم السودان.

**ما هي قصة الحرس الخاص..!!**

الطيب سيخة أكثر قادة (الإنقاذ) الذين أطلقت فيهم الإشاعات التي يتداولها المجتمع بشكل كبير وأهمها إشاعة التي تتعلق بحرسه الخاص ومحتواها يتلخص في أن الطيب (سيخة) طلب من حرسه الخاص التابعين للشرطة العسكرية الرجوع إلى مقر قيادتهم في مدينة الفاشر بعد أن انتهت مهمتهم في الخرطوم إلا أن الحرس الخاص رفض الامتثال للأوامر وهدد بكشف أشياء لم يسمونها ، لكن الأمر الواضح أنه استمر وجودهم في العاصمة الخرطوم بل تداول البعض أن الطيب سيخة ساهم في تخصيص بيت لكل منهم والبالغ عددهم ٤ أشخاص.

وعلاقة الرجل بحرسه الخاص يمكن أن أقول أنها من أكثر الأسباب التي ساهمت في أفول نجم الطيب سيخة، فالعلاقة كانت غريبة بعض الشئ تجاوزت حدود مهنة الحراسة إلى أماكن أخرى أعتقد أنها سبب وجيه جعل الجهات الرسمية التي تتعامل

مع الرجل تنظر إليه بعين الريبة والإخفاق، فحدود العلاقة بين الشخصية القيادية وحرسه الخاص واضحة لا تحتاج إلى منظار دقيق..!!.

هناك كراهية شديدة للغاية تجاه الطيب (سيخة) من قبل عدد من العسكريين (الإسلاميين) من بينهم (يونس محمود) وغيره وذلك بسبب الكتاب الذي ألفه آخر أيامه في الفاشر وقد قرأت فقرات منه قبل الطباعة والكتاب باسم (الطريق إلى بور) والكتاب كشف عن فشل السياسة والعقيدة العسكرية للجيش السوداني خاصة في فترة الديمقراطية الثالثة (١٩٨٥-١٩٨٩م) والكتاب نشر اسراراً خطيرة للعمليات العسكرية التي خاضها الجيش ضد الحركة الشعبية في تلك الفترة الأمر الذي أغضب مجموعة من العسكريين وقد رأوا في إصدار الكتاب إساءة إلى القوات المسلحة السودانية ولتاريخها الطويل، فقاموا بجهود كثيرة جدا لوقف توزيع الكتاب الذي بيع في المكتبات، و نُشرت منه حلقات في بعض الصحف اليومية.

وفي الخرطوم الآن أحاديث كثيرة تقول أن الجهات الرسمية قد طلبت من الطيب (سيخة) الرحيل من المنزل الحكومي لأن شركة إماراتية اشترت كل المنطقة الواقعة فيها بيوت قيادات النقل النهري، وهذه البيوت كانت سكن الحاكم العام الانجليزي قبيل الاستقلال، ومن ضمن ما قيل أن الرجل قبض مبلغاً ضخماً لترك المكان لكنه رفض وتعنت، فيما أخلى كل السكان منازلهم ومن ضمنهم مصطفى عثمان إسماعيل، وآخرين.

### لقاء د. خليل إبراهيم (قائد العدل والمساواة)

لكنني استغربت كثيراً لإبعاد الرجل عن ملف دارفور وهو الذي يمتلك علاقات حميمة للغاية مع قبيلتي الفور والزغاوة الأمر الذي جعلهم يُكنون له محبة خاصة وكانت بينهم وبينه مساجلات وبرامج ولقاءات عامة وخاصة، وعندما كان ولاياً لدارفور تعلم لغة (الفور) القبيلة الأكثر انتشاراً وتأثيراً في المنطقة، وأيضا اشتهر الطيب (سيخة) بحب الناس له في دارفور وخاصة الذين ارتبطوا بالإعلام الشعبي وأتذكر كنت مرافقا للرجل عندما ضربت الأمطار مدينة الفاشر وتأثر الناس هناك تأثيراً شديداً وكان برفقتنا رجل البر والإحسان الفقيد أدم يعقوب ضمن وفد رسمي كبير وذلك في العام ١٩٩٧م فالزيارة كانت جولة تفقدية للمناطق التي تأثرت

بغزارة الأمطار وكانت من ضمن المستقبلين الحكامة المشهورة خديجة أم رطوط التي أرادت تسليم رسالة عفوية لرئيس الجمهورية وبينت من خلالها المآسي التي حدثت في دارفور بعد انتهاء ولاية الطيب سيخة فقالت بعفوية شديدة وبصوت جميل مموسق:

"الطيب أبو فليجة .. كلم أبو رقيبة،، خليهو يكلم أبو صليبة ويقول ليهو دارفور الحالة صعيبة"

وطبعا العبارات واضحة أبو فليجة هو الطيب إبراهيم محمد خير،وأبو رقيبة تقصد الزبير محمد صالح، وابوصليبة تقصد الرئيس البشير.. وأهل دارفور دائما كانت رسائلهم قصيرة ومختصرة وواضحة المعالم والقرض بدون لف ولا دوران.

وعندما حضرنا للخرطوم بعد مشاركتنا في الحملة العسكرية الخاصة بالرد على (الأمطار الغزيرة) على طريق نمولي طلب مني الطيب إبراهيم محمد خير الذهاب إلى د. خليل إبراهيم (زعيم حركة العدل والمساواة حالياً) وزير الصحة بولاية شمال دارفور آنذاك و الإتيان به في مكتبه بوزارة العمل والإصلاح الإداري، بالفعل ذهبت للدكتور خليل وأتيت به، وأتذكر خليل إبراهيم كان لا يزال يرتدي اللبس العسكري وجلسنا مع الطيب سيخة طويلا ودارت نقاشات طويلة وخلال النقاش كان هناك الزميل المصور الصحفي بجريدة (الإنقاذ الوطني) الأخ "مولى" فطلب الطيب من المصور أن يلتقط لنا صورة تذكارية، كان معنا في الصورة شهيد التلفزيون الذي رحل غرقاً في مياه النيل الذكر الزميل مهيد بخاري (عليه الرحمة والغفران) وذهبت إلى عملي وتركت الطيب مع ضيفه وعرفت في اليوم الثاني أن الأول أصر على الثاني الذهاب معه إلى البيت لتناول الغداء وبعد فترة قابلت د.خليل إبراهيم الذي أكد لي أنه والطيب إبراهيم تناقشا في أمور عدة من بينها مشكلة دارفور التي لم تكن في حينها معروفة لدى عامة الناس، لكن كانت هناك مطالبات مستمرة من أبناء دارفور إلى القائمين على الأمر في الخرطوم.

لكنني أتوقع أن يكون ابعاد الطيب سيخة تم بسبب تدخله في السياسة الإعلامية للحكومة فهو كثير النقد لسياساتها في التعامل مع الإعلام والصحافة، وأتذكر عندما كان الطيب سيخة يجتمع أسبوعيا بعدد كبير من الصحفيين الكبار والمؤثرين

ويتبادل معهم الأفكار والمعلومات، وحينما وجد الرجل أن هذه اللقاءات قد أثمرت نتائج مُقدرة، قام بتأسيس مجلس إعلامي منوط به رسم السياسات الإعلامية لوزير الإعلام، وعندما تم تعيين الرجل في وزارة أخرى تعطل عمل المجلس الإعلامي، ولم يعد أحد يلتقي بالصحفيين والإعلاميين.

كما يمكننا أن نقول إن اختفاء الطبيب إبراهيم محمد خير عن الأضواء يأتي في إطار الخلافات الحادة بين الحاكمين في الخرطوم وفي سياق تصفية الحسابات والتي أتوقع أن تظهر على سطح الأحداث في الفترة المقبلة.

قد يقول قائل لم كل هذا المقال عن الطبيب (السيخة) والرجل مُتهم في قضايا حقوق إنسان عديدة من بينها مقتل د. علي فضل الذي مات أثر تعذيب تعرض له في معتقله في العام ١٩٩٠م، لكن أقول أن جل قادة النظام متهمين في قضايا من هذه الشاكلة التي تعدت مقتل المعارضين المحليين إلى مقتل رؤساء دول والإطاحة بأنظمة حكم، وإبادة شعب، لكن عندما نكتب فإننا نكتب للتأريخ وللأجيال القادمة من أجل الحفاظ على الدماء الجديدة حتى لا تقع فيما وقعنا فيه نحن،،، ونسال الله العفو والعافية.

مايو ٢٠٠٧م

# أي شريعة هذه التي تنتصر بجماجم الأطفال..؟!!

بطبيعة الحال أن كل الذين شاركوا في الحرب اللعينة التي قتل فيها السوداني أخوه (السوداني) سواء في جنوب، أو في شرق أو غرب السودان، تمر عليهم الكثير من الذكريات المؤلمة، أنا شخصيا أشعر بتأنيب ضمير شديد عندما كنت في تلك الساحة في ديسمبر من العام ١٩٩٥م فيما يعرف برد الهجوم الذي أطلقت عليه الحركة الشعبية بقيادة الفقيد جون قرنق (الأمطار الغزيرة) هذه العملية العسكرية الكبيرة والتي قتل فيها المئات بل آلاف السودانيين من الجانبين، تختلف عن كل العمليات العسكرية في جنوب السودان لما فيها من مفارقات وتجاوزات إنسانية، تجعل من الهدف الكبير للحرب ضد (المتمردين) علامات استفهام كبيرة متمثلة في الموقف اللا إنساني للحكومة السودانية إذ استعانت لفترات طويلة بجيش الرب اليوغندي الذي يتزعمه المتمرد اليوغندي جوزيف كوني، وهذا الجيش للأسف استعان بمشاركته إلى جانب الحكومة بحوالي ٢٠٠٠ طفل تبلغ أعمارهم ما بين الثامنة والرابعة عشرة عاما من الجنسين.

كانت لحظات محزنة وشعرت فيها بالألم النفسي لوجود هولاء الأطفال معنا في مكان واحد وكان منظرهم يدمي القلوب وهو يحملون الآليات والأسلحة الثقيلة، ومهما يحاول المرء لا يمكن أبدا أن يصور هذه المناظر المرعبة، عشرات من الأنفس البريئة كانت تطوف حولنا في مساء يوم بارد استعدادا للهجوم على أكبر معسكرات (الحركة الشعبية) في الميل ٧٢ في طريق مدينة نمولي الحدودية مع يوغندا في يوم ١٢ ديسمبر ١٩٩٥م، أطفال في سن البراءة الواحد منهم يحمل فوق طاقته وما زنته ٤٠ كيلو جرام، أو أكثر من العتاد العسكري الثقيل، وصناديق الذخيرة، والذين حمّلوا مثل هذه الصناديق يعرفون كم هي قاسية الحمل في مسيرة قد تبلغ الساعات الطوال، وأحياناً أياماً من السير في الطرق الوعرة، والرطوبة العالية حيث تتبلل الملابس تماماً مما تصيب المرء بالإعياء وفي الغالب التهاب الصدر و المفاصل الذي يعيق الحركة، وهذا ما حدث لِّي شخصياً، فكيف بالأطفال..!!.

... يا إلهي.. انه أمر فظيع..

مهما أحاول لا يمكن أن أصور شكل الدموع الجافة على وجوه الصغار ولا أجد لذلك سبيلا، ولم يكن هناك جنوداً كبار السن وهؤلاء لا يتعدون العشرين من بين المئات من الجنود (الصغار) بالكاد تميز بين الذكر والأنثى، يساقون كالقطيع تماما يشهد الله على ذلك، وعلى بعد كل مائة (طفل) هناك جندي يوغندي يحث الأطفال بسرعة التحرك، و يضرب أحيانا الطفل في مؤخرته أو ظهره كي يستعجل ولا يبطئ، في أجواء غريبة على عالم الطفولة، صوت الدبابات والمجنزرات وهي تتحرك إلى مكان قريب من بداية المعركة، مع صوت أجهزة الاتصالات اللاسلكية،، لحظات من التوجس والترقب والأوامر العسكرية من القادة هنا وهناك بالعجلة، وطقطقة الأسلحة الشخصية كل هذه الضجة تجعل المحارب يعيش في لحظات غريبة، والمحارب أو المقاتل قاب قوسين أو أدنى من الموت،، لحظات صعبة حتى على كبار السن،، فكيف بالأطفال الصغار..!!.

عندها كان ابني (أحمد) لا يتعدى الثلاث سنوات، وأبني (أواب) رضيعاً في حضن أمه، لكن رغم ذلك تخيلت أن (أحمد وأواب) من بين هؤلاء الجنود المحملين بالسلاح و العتاد، وثمة آخرين يضربونهم ويذلون كرامتهم، ولذا كنت كثير التفكير في مضمون هذه الحرب التي اندلعت من أجل الدفاع عن الأرض والعرض، والمفارقة أن الجانبين المتقاتلين يحاربان تحت راية واحدة هي الدفاع عن الوطن و تحرير الأرض من الأعداء، ولكن ما بال هؤلاء الأطفال والنفوس التي خلقها الله كي تنعم بالأمن والأمان وتحتاج إلى الرعاية والاهتمام تقاتل وتحمل روحها بين جنبيها وفي تلك الساحات تتعدد الأسباب والموت واحد،، الأمراض والإعياء والإرهاق الجوع والمسغبة وضرب القادة العسكريين.

وأنا ومن معي في تلك الغابات الكثيفة كنا نتساءل أين ذهبت الحيوانات التي اشتهرت بها غابات جنوب السودان، ولماذا هربت حتى الطيور من هذا المكان، وكان واضحاً أن اللون الأخضر قد تحول إلى ألوان أخرى بسبب الحرب، ولم يبق من الغابة إلا اسمها،، تتزايد الأسئلة الملحة في مخيلتي كلما نظرت لجنود جيش (الرب) وهم يحملون الأثقال،، لماذا ترضى الحكومة السودانية صاحبة المشروع (الإسلامي

الحضاري) باستغلال هؤلاء الأطفال القُصّر والزج بهم في حرب ضروس لا غالب فيها ولا مغلوب..؟!.

ألم تكن الحكومة هذه قد وقعت على كافة قوانين الأمم المتحدة التي تحظر الإساءة إلى الأطفال، وتشدد على تقديم الخدمات لهم، أو ليس هذا أمراً مُهولاً ومُستغرباً أن تنفذ الحكومة في السودان حملات التطعيم ضد الشلل للأطفال بميزانيات طائلة على كامل التراب الوطني، وتقتل أطفالا آخرين في الجنوب..؟.. وتحت أي مسوغ.. ديني وسياسي تم ذلك؟؟.

وأي مكاسب هذه التي تجنيها الحكومة السودانية على حساب هؤلاء الأطفال الصغار، ولماذا يستخدم جيش الرب أطفالاً قُصّر في حربه ضد الحكومة اليوغندية..؟؟.

يا إلهي.. ما هذا الذي يحدث.. ؟!.

ثمة أسئلة كثيرة كانت تصول وتجول في ذهني ولا تجد الإجابات الشافية،، وتزداد الأسئلة إلحاحاً كلما نظرت تجاه هؤلاء البؤساء الذين كان قدرهم أن الله جلت قدرته ولحكمة يعلمها هو وحده ..أوجدهم في هذا المكان من العالم.

ولمن لا يعرف فإن أطفال جيش الرب اليوغندي يبلغ عددهم حسب إحصائية للأمم المتحدة حوالي ٤٠ ألف طفل،يشكل القصّر ما يقارب ٩٠ بالمائة، ويتم ضمهم إلى الجيش من خلال الإغارة على القرى، فتتم معاملتهم بوحشية وإجبارهم على ارتكاب الفظائع في حق أقرانهم من المختطَفين، بل وحتى ضد أخواتهم. أما من تسول له نفسه الفرار، فيتم قتله، بذلك يصبح العنف بالنسبة لهؤلاء الأطفال الذين يعيشون في حالة من الخوف الدائم أسلوباً للحياة.

في تلك اللحظات عندما أتذكر أبنائي فإن أول ما يتبادر إلى ذهني طفولتهم البريئة وعفويتهم الصادقة، وفرحهم الذي يتجسد من خلال لعبهم وألعابهم المتنوعة التي يعبرون فيها عن ذواتهم، والتي تنمي مداركهم العقلية والذهنية حيناً، وتبعث في نفوسهم الفرح والسعادة والضحك في أحيان أخرى كثيرة، وأتذكر أن سعادة أبنائي

هي غايتي وهدفي  الدائم في الحياة، فكيف بالله أتحمل رؤية أطفالا مدججين بالسلاح الثقيل، ودموعهم جفت على وجوههم ولم تجد من يمسحها، وصرخات أنّاتهم لا تجد من يوقفها بكلمة حلوة أو قُبلة ترسم في وجوههم أهميتهم في الحياة.

ولكن ثمة سؤال لم أجد له إجابة حتى اللحظة، أي شريعة هذه التي تنتصر بجماجم الأطفال..؟؟.

يونيو ٢٠٠٥م

# قناة الجزيرة تدافع عن النظام السوداني وتقسو على نظيره المصري!!

من الخبل والشطط أن يظهر المرء بمظهر المُتحضر الواعي والمُبدع والقادر على الجمع بين المتناقضات والتفاخر بتحويلها إلى عامل إيجابي..!!، ومن الجهل والغباء كذلك أن يظهر بأنه حامي حمى حقوق الإنسان في العالم..وهو ينتهك الحقوق والحرمات..بل ويمارس الضحك على العقول، ويعتقد بأن كل من يختلف معه جاهل وغبي وحقير وموتور..ولا يعرف مصلحة نفسه..!!.

بالضبط هذا المرء الذي أقصده هو (قناة الجزيرة) التي تنظر للذين يختلفون مع النظام الحاكم في السودان على أنهم أغبياء ويستحقون كل ما يفعله فيهم الحزب الحاكم..!!.

هكذا أنظر للقناة وينظر لها الكثيرين غيري منذ بدء الاقتتال في دارفور، ولا زلت أتذكر التقرير المصّور الذي قدمه المدعو محمد فال، هذا التقرير التاريخي الذي لا يمكن أن يمحي من ذاكرتي ..عندما كان يتضرع في شوارع الخرطوم ويوجه حديثه للكاميرا، ويقول "أن مشكلة دارفور صنعتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، والقُوى الصليبية بسبب طمعها في نفط السودان"، هذا التقرير الذي خلا تماماً من المهنية والمصداقية، ولم يراع في الحقيقة إلا ولا ذمة.. حاول قلب الحقيقة ليبعد الحكومة (الإسلامية) التي تقبع في الخرطوم عن تهمة الإبادة الجماعية لشعب دارفور وحرق القرى وقتل النساء والأطفال والعجزة الذي صورته الأقمار الصناعية، ووثقت كل ما جرى هناك من الأحداث المأساوية الدامية بالساعة والدقيقة والثانية وجزء من الثانية وخطوط الطول والعرض والإحداثيات، وعدد القتلى وعدد الطائرات المُغيرة بالصورة والصوت..!!.

والقناة التي كنت أحبها ولا أرى غيرها غابت عن ميدان الحقيقة ولم تأتي إلا بتصريحات المسؤولين عن ارتكاب تلك الجرائم، وغابت كاميراتها عن القُرى التي أحرقت والضحايا الذين قتلوا بدم بارد في دارفور، ولم يرى العالم مجزرة معسكر

كلمة (كلمة اسم معسكر للاجئين بدارفور) الفاجعة التي لا يتصورها العقل، لكن (قناة الجزيرة) شاطرة في تصوير مجازر الاحتلال الإسرائيلي وفي نقل معاناة الأسر الفلسطينية، لكن القناة لم يهتز ضميرها لمجازر النظام (المسلم) في دارفور التي هزت كل الضمير الإنساني في كل بلاد العالم حتى في إسرائيل نفسها..!!..

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

(قناة الجزيرة) أقامت الدنيا ولم تقعدها بسبب منع الاحتلال الإسرائيلي الأسرى الفلسطينيين عن مشاهدة باقة قنواتها الفضائية وهم داخل المعتقلات، مما دلل على أن الاحتلال الإسرائيلي أكثر رحمة وشفافية من النظام (الإسلامي) في السودان الذي يعتقل النساء مع أطفالهن الرضع بجريرة معارضة الزوج للنظام، عشرات النساء اللائي اعتقلن مع أطفالهم لأسباب واهية، لم تحدث في تاريخ السودان ألبته، ولم نرى شاشة (الجزيرة) التابعة لحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية التي تنطلق من (الإسلام) تفتح ملف المُعتقلات في السجون السودانية، وما يتعرضن له داخل المعتقلات التابعة لأجهزة الأمن السودانية..!!.

**(الجزيرة) في الانتخابات السودانية.. وسقوط (المثال)..!!.**

كانت (قناة الجزيرة) في اليوم الثاني للانتخابات قد أعدت حلقة حوارية في الهواء الطلق من الخرطوم وعلى الهواء مباشرة ضمت عدد من الزملاء الصحافيين أبرزهم الأستاذ طه النعمان وحسين خوجلي والدكتورة مريم الصادق ومهدي إبراهيم من الحزب الحاكم وآخرين، وفي هذه الحلقة كشفت مذيعة الجزيرة لينا زهر الدين عن جهلها بالسودان والسودانيين عندما حاولت الاستخفاف بعقول المتحاورين والمشاهدين متحدثة بتشنج واضح وإصرار فاضح على تبني رؤية الحزب الحاكم لكن الزميل الأستاذ الرقم طه النعمان والدكتورة مريم الصادق المهدي قد ألقناها درساً في الأدب الحواري والصحفي واللباقة، وفي الشخصية السودانية التي تجهلها هي وزميلها الذي سقط من نظري عندما منع الصحفية السودانية من مواصلة حديثها حول ذلك الطفل الذي سُمح له بالتصويت، وهي حادثة مشهورة موثقة ولم تنفها الحكومة السودانية لكن (قناة الجزيرة) ملكية أكثر من الملك..!!.

وقبل أن نواصل الحديث حول دور القناة في الدفاع عن توجهات النظام

الحاكم..نتساءل..من هي (قناة الجزيرة) ..؟؟..وما هي علاقتها بالحزب الحاكم في السودان..؟.

بطبيعة الحال لا أحد يشكك في أن الحركة (الإسلامية) الحديثة، والتي يطلق عليها حركات الإسلام السياسي ترتبط ببعضها البعض بشبكة واسعة الحضور في كل مكان في العالم، ولم تكن هذه الصورة واضحة لي في حقبة (الديمقراطية الثالثة) برغم أننا عشنا أيام وجود الشيخ راشد الغنوشي في السودان، وغيره من زعماء الحركات الإسلامية ، لكن بعد انقلاب الحركة في ١٩٨٩م وفي السنوات الأولى لحكم (الإنقاذ) والزيارات التي يقوم زعماء إسلاميون للسودان بدأت تتضح لنا جميعاً كشباب للحركة العلاقات القوية والمتينة لحركتنا مع الحركات الأخرى، وفي فترة من الفترات كان إبراهيم السنوسي مسؤولاً عن العلاقة مع الحركات الرصيفة في العالم العربي، لكن أكثر ما أكد ليّ زعامة الحركة السودانية على الحركات (الإسلامية) العربية عندما كنت في الأردن العام ١٩٩٥م صادف وجودي هناك إجراء عملية جراحية في القلب للأستاذ يسين عمر الأمام وأجريت بـ(المستشفى الإسلامي) المعروف بأنه أحد استثمارات جبهة العمل الإسلامي الأردنية التي تمثل حركة (الإخوان المسلمين)، وهذا المستشفى يتعالج فيه كل كوادر الحركات الإسلامية في العالم بأسعار رمزية.

ذات يوم زرت عمنا يسين عمر الإمام في غرفته بالمستشفى الإسلامي، وكنت أتبادل معه أطراف الحديث ويسين غير علاقة الجماعة تربطني به علاقة أسرية مع الأسرة في حي الشيخ الجعلي بودنوباوي، المهم أثناء حديثي مع العم يسين دخل أحد الأخوة يستأذن بدخول عدد من الأشخاص للسلام، وبالفعل دخل الجماعة وبعد السلام والاطمئنان على صحة العم يسين دخل النقاش في منطقة شعرت فيها بضرورة خروجي،فاستأذنت وخرجت.. فعرفت ما لم أكن أعرفه عن علاقة الحركة مع جبهة العمل الإسلامي الأردنية، ومن قبلها بحركة النهضة التونسية وغيرها، فالإخوة الأردنيين كانوا يتحدثون مع العم يسين حديث الحُوار لشيخه، وما دار من حديث أكد لي زعامة الحركة السودانية على عدد كبير من الحركات الإسلامية العربية.

لكن ما هي علاقة (قناة الجزيرة) بذلك...؟.

وأتذكر ما بين العام ١٩٩٤-١٩٩٥م كانت لدي علاقة قوية مع مكتب حركة

المقاومة الإسلامية (حماس) في السودان وقد توطدت هذه العلاقة عندما كنت أكتب كثيراً عن حركة حماس أنشر ملفاً كل عام في الرابع عشر من ديسمبر في الذكرى السنوية لتأسيس الحركة بصحيفة (الأنباء) الحكومية آنذاك، مما وثق علاقتي بمكتب حماس في الخرطوم لدرجة إتاحة الفرصة لي دون الصحافيين الآخرين بلقاء قادة حماس الذين يزورون السودان لإجراء المقابلات الصحافية بالفعل أجريت حوارات مع عدد من زعامات الحركة من بينهم الحوار المطول مع د. موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي، فتطورت العلاقة لدرجة أن أصبحت أعمل متعاوناً في القسم الإعلامي للحركة بالخرطوم في الرصد الإخباري للصحافة السودانية، وربطتني العلاقة القوية مع عدد كبير من قيادات حماس بالسودان وبشكل خاص مع د. أسامة الأشقر– المتخصص في الأدب اليهودي من جامعة الخرطوم.

وفي ذات يوم طلب مني الأخ الأشقر سيرتي الذاتية ذاكراً لي بالحرف الواحد " لدينا قناة فضائية كبيرة سأرسل أوراقك للإخوة للعمل في هذه القناة"، وحقيقة لم أعر الأمر اهتماماً حتى لم أسأله عن مكان صدور القناة أو الجهة التي تقوم عليها، وبعد فترة ذكر لي مرة أخرى موضوع السيرة الذاتية، وتبرع لّي بمعلومة أن القناة التلفزيونية ستكون كبيرة وسيكون لها وضعها الخاص المتميز بين القنوات الفضائية، وحقيقة لم أكن أرغب في العمل خارج السودان البته برغم الإلحاح الكثير من بعض الأهل على الخروج والبحث عن أوضاع أفضل في الخارج، فتجاهلت حديث الأخ د. أسامة الأشقر، وبعد فترة من الزمان، وبعد أن توقف العمل بيننا قابلته في إحدى المناسبات، وبعد السلام قدمت له التهاني بمناسبة بداية بث (قناة الجزيرة) الفضائية وعبرت له عن إعجابي بها وبطريقة تحريرها للأخبار، ولم ينف لي بأن القناة هي التي كان يريدني العمل بها..

وحقيقة كنت أعرف الإمكانيات المالية الضخمة لحركة حماس من خلال أعضائها في السودان الذين يحملون الجنسيات الكندية والأوربية والشركات الضخمة التي يمتلكونها في عدد من الدول، وأتذكر في فترة لاحقة كان رئيس مكتب حماس في السودان السيد جمال أبوأحمد يحمل جنسية غربية لا أتذكر إن كانت أمريكية أو كندية وعندما تمت عملية تحرير الكويت من العدوان العراقي سافر أبواحمد هذا إلى الكويت واشترى عدداً كبيراً من المعدات الهندسية التي استغنت عنها القوات

الأمريكية في الكويت أتى بها جمال ابواحمد للسودان وفتح بها شركة هندسية كبرى ودخل بها السوق السوداني،وحقيقة الأمر لم أستغرب أن تقوم حركة حماس بتأسيس قناة (الجزيرة) لأن القضية الفلسطينية بالفعل تحتاج لقناة عملاقة توصل كلمة الشعب الفلسطيني ومآسيه لكل العالم.

كنت أعرف مدى التنسيق بين الأجهزة في الحكومة والتنظيم وحركة حماس، وأعرف كذلك أن غالبية الحماسييّن في السودان قد نالوا الجنسية السودانية، وامتلكوا الشركات والمكاتب التجارية والكافيتريات السياحية في قلب الخرطوم، لكنني كنت أستغرب حقيقة من الوجود (الحماسي) الطاغي في كل مكان..وما دخلت مكاناً في الخرطوم إلا وجدت قيادات حماس فيه..رئاسة الجمهورية..الأجهزة الأمنية.. ولدى الشخصيات البارزة في سدة الحكم في البلاد، وحتى أكثر المكاتب التنظيمية سريةً وكثيراً ما كنت أرى الشخص الأول في قناة الجزيرة (وضاح خنفر) في الخرطوم ومن مكتب (شيخ) لـ آخر، مثلما كان يعيش بيننا محمد هاشم الحامدي صاحب (قناة المستقلة) التي دفع فيها النظام من حر مال الشعب السوداني ملايين الدولارات، وبتوجيهات د. غازي صلاح الدين عندما كان مسؤولاً عن (المؤتمر الوطني) في فترة سابقة قبل الانشقاق..!!.

وخلاصة القول في هذه النقطة أن (قناة الجزيرة) تابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ولكنها تتدثر بثوب الديمقراطية وحقوق الإنسان المزعومة وتخفي أيلولتها كذراع استثماري لحركة حماس الفلسطينية، وبطبيعة الحال هذا حق مشروع، لكن القناة تلبس ثوباً آخراً..تماماً مثل ما فعلت (الإنقاذ) في أيامها الأولى حينما نفت علاقتها بالحركة (الإسلامية) لكن حبل الكذب كالعادة قصير جداً..وفي حقيقة الأمر ليس لدي غضاضة أن يكون لحماس قناة أو شركة أو فريق كرة قدم أو مسرح غنائي، وليس لي غضاضة في مستوى العلاقة ما بين النظام في السودان و(قناة الجزيرة)، كما ليس لي غضاضة في أن تكون القناة من أفضل القنوات في العالم إمكانية وسمعة وشهرةً..بل العكس تماماً أسعد للغاية أن تكون قناة عربية على مستوى يعبر عن الأمة العربية والإسلامية، لكن الغضاضة في أن تنصب هذه القناة نفسها حامية للحقوق الإنسانية في العالم وتركز على ضحايا الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، وتعمل على النقيض من ذلك في أماكن أخرى من العالم..!.

الغضاضة أن تكون القناة ملكية أكثر من الملك في السودان..!!.

الغضاضة أن يعتقد القائمين على أمر القناة ومقدمي البرامج فيها أنهم أذكي خلق الله.. والآخرون رجرجة ودهماء لا يفقهون شيئاً في مسائل الحكم والسياسة ولا في الثقافة والتاريخ..!!.

والمتابع لقناة الجزيرة يجد نفس أساليب النظام الحاكم في السودان الذي يدعي الدفاع عن الإسلام ومظهره الإعلامي الفضائي لا يتناسب مع هذا الطرح، إذ نجد مذيعات الفضائية القومية متحجبات برغم تحفظي على الكثير، ومذيعات (النيل الأزرق) في وضعية مختلفة تماماً، فإن الميكافيلية وأمور اللف والدوران تظهر في هذا التناقض، ما يعني للمواطن البسيط أن القناة الرسمية هي للمدائح النبوية والبرامج الدينية والمذيعات المتحجبات، والقنوات الأخرى للغناء والطرب ومواكبة الموضة العالمية بكل ما فيها من قبح وجهل فاضح باستخدام تقنية الصورة مع بشرة الأشخاص واستخدام المواد التجميلية.

والمفردات الإسلامية الكثيرة بدءاً من مفردة (الشهادة) و(الشهداء) ومهرجان (الجزيرة) للأفلام الوثائقية كلها معالم تقول أن القناة (إسلامية) لكن اختيار المذيعات خارج هذا النطاق من أجل التمويه، وقد أصبح (التمويه) منهج من مناهج غالبية حركات الإسلام السياسي انطلاقاً من (فقه المرحلة) إذ أن لكل مرحلة فقهها الخاص بها.

**حرب (الجزيرة) ضد النظام المصري..!!.**

كل من يعتقد ويزعم أن (قناة الجزيرة) تحترم مشاهديها.. وتعمل وفق مهنية عالية تسقط عنده كل هذه الافتراضات عندما يتابع الحرب الشعواء التي تقوم بها القناة ضد (النظام) المصري حيث لا يمر يوم واحد إلا وخصصت القناة أدواتها وإمكانياتها المادية والبشرية في كشف مكامن الفساد وبؤره، وقبل يومين فقط قدم برنامج (بلا حدود) الذي يعده ويقدمه الزميل أحمد منصور حلقتين مع الدكتور الخبير الاقتصادي عبد الخالق فاروق الذي كشف بالمستندات آليات الفساد والإفساد في الحكومة المصرية بالأدلة والأرقام من واقع دراسات وبلاغات قدمت للجهات العدلية هناك..!!.

ولم يقتصر كشف (الجزيرة) لعورات النظام المصري على الفساد الاقتصادي فقط، بل خصصت العديد من الحلقات التي فضحت الشرطة والأمن المصريين في مجال التجاوزات في حقوق الإنسان وانتهاك الحرمات والتعذيب في السجون والمعتقلات، وامتدت حرب الجزيرة على النظام في مصر على فتح كافة ملفات الفساد – العبّارة التي غرقت بالحجاج– قطارات الموت– التلوث– حقوق العمال– وحقوق الأطفال، وغيرها – وفي الحالة السودانية تُظهر (قناة الجزيرة) النظام في السودان وكأنه ملائكي، لأنه يرفع ذات الشعارات التي ترفعها القناة ويرتبط معها في التوجهات مع وجود المصالح السياسية والاقتصادية بينهم ودولة قطر.

وبينما تتحدث القناة عن التوريث في مصر وممتلكات أبناء الرئيس مبارك – جمال وعلاء– تغض (قناة الجزيرة) الطرف عن أشقاء الرئيس البشير الذين حولوا السودان لمزرعة كبيرة، لم نسمع الزميل أحمد منصور يفتح هكذا ملف على رأي المثل المصري "ما فيش حد أحسن من حد"، واعتقد أن غالبية الزملاء الصحافيين في السودان يعرفون جيداً بأن ملفات فساد النظام الحاكم في الخرطوم أكبر بكثير من ملفات فساد النظام في قاهرة المعز..!!.

إن موجهات العلاقة السودانية القطرية الحماسية تمنع القناة من تناول أي موضوع يكشف حقيقة النظام السوداني، وسبق أن وقعت في السودان الكثير من الحوادث لكن القناة غضت الطرف عنها، مثلاً– محاولة اغتيال الرئيس المصري محمد حسني مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥م إلى هذه اللحظة لم تحظ ببرامج كالتي تخصصها القناة ضد النظام المصري.

اغتيال طلبة الخدمة الإلزامية من قبل السلطات السودانية كُتبت فيه عشرات المقالات والتحقيقات لكن (الجزيرة) تلتزم الصمت، وتعتبر ذلك خارج نطاق عملها الصحفي، وكذلك اغتيال الأجهزة الأمنية لمواطنين عُزل في مدينة بورسودان لأنهم ساروا في مسيرة لتقديم مذكرة للجهات المسؤولة في المدينة، فما كان من الأجهزة الأمنية إلا أن أطلقت عليهم النار، وأردتهم قتلى، وفي منطقة كجبار شمال السودان –قبل أعوام قليلة– فتحت الشرطة النار على مواطنين يرفضون الترحيل من منطقتهم بسبب إنشاء خزان جديد في المنطقة، وقُتل في هذه الحادثة العشرات، هذا كله لدى عُرف (قناة الجزيرة) لا يستدعى التغطية الصحافية ولا التطرق إليه في

برامج مُتخصصة كما تفعل مع القضايا المصرية وإن كانت ذات أثر محدود..!!.

- قناة الجزيرة في الشأن السوداني لا تأتي إلا بمن يخدم توجهات الحزب الحاكم في الخرطوم، ولم تفتح القناة حتى الآن أي ملف فساد للنظام، بل فتحت عشرات الملفات عن فساد نظيره المصري..!!.

- (النظام) في السودان أصبح مملكة بكل ما تحمل الكلمة من معنى..!!.

- أموال النفط نهبت بشكل فظيع..!!.

- انتشر في السودان بفعل سياسات الحزب الحاكم الأطفال مجهولي الوالدين بالعشرات في اليوم الواحد.. ويموتون كذلك بالعشرات في اليوم الواحد، هذا الملف مفتوح على مصراعيه الآن في السودان، لكن (قناة الجزيرة) لا ترى في ذلك جريمة ترتكب في حق الأطفال والمرأة والمجتمع بكامله، لكن إذا حدث ذات الفعل في مصر سنرى حلقات تُسخر لها كل الإمكانيات المادية والبشرية.

- في السودان وصل الفساد مرحلة تم فيها نهب المصارف حتى اختفت من السوق المصرفية ولم يحاكم أحد حتى الآن..!!.

- تجاوزات النظام في السودان على مدى عشرين عاماً شئ مذهل وغير معقول البته، والرئيس عمر البشير بنفسه اعترف بوجود بيوت كان يُمارس فيها تعذيب المعارضين (بيوت الأشباح)، واعترف وزير الأمن السابق صلاح قوش باعترافات تفيد بتسليح بعض القبائل لشن هجمات على قبائل أخرى،، وقال أن الحكومة لن تفعل ذلك مُجدداً..!!.

و(قناة الجزيرة) حسب تحالفها الإستراتيجي مع النظام الحاكم في السودان لا يمكنها أبداً أن تبث أي مادة تفضح الحكومة السودانية، ذلك لأن التحالف بين الطرفين قوي للغاية ولا يمكن بأي حال من الأحوال النكوص عنه، فلا يحلم أي منا بأن تمارس القناة مهنيتها الإعلامية في كشف الحقائق للناس.

قد يقول قائل أن مكتب الجزيرة في السودان هو المقصر وليس (القناة)، وكما هو ثابت مهنياً في كل بلاد العالم بأن أطقم المكاتب الإخبارية والمحررين محايدين

تماماً ولا يمكن أن يكونوا من منسوبي الحزب الحاكم في أي دولة، و لكن في الحقيقة أن أغلب منسوبي مكتب الجزيرة في الخرطوم من الحزب الحاكم، مما يعني أن المهنية التي تتشدق بها (قناة الجزيرة) ما هي إلا كذبة كبيرة يراد منها تصوير الأمور على غير الحقيقة المعروفة لدى الجميع، إن النهج الذي تنتهجه القناة صار مكشوفاً، ويوماً بعد يوم أصبح المشاهد يدرك حقيقة هذه السياسة الرعناء التي تستخف بعقله، وأسلوب القناة في تعاملها مع النظامين السوداني والمصري أكبر دليل على ما ذكرت.

١٨ ابريل ٢٠١٠م

# ما أشبه ليلة أباذر بالبارحة!!

قراءة التاريخ أصبحت اليوم من أهم المطلوبات في الحياة إذ ترتسم فيها التحديات الجسام بالنسبة للأمة والإنسان كفرد من هذه الأمة، فقراءة التاريخ هي الكاشفة للواقع الذي نعيشه بكل ما فيه من سلبيات وايجابيات، ودراسة التاريخ واستخراج الدُروس والعبر منه هو دأب الأمم القوية التي تتطلع لمستقبل مشرق، فإن حادثة اعتقال وتعذيب الزميل أباذر علي الامين (٨) من قبل الاجهزة الأمنية في السودان وبأيادي من نعرفهم ويعرفوننا ويعرفون من هو الزميل الصحفي القابع الآن في مستشفى الشرطة بالخرطوم جراء التعذيب الذي تعرض له في المعتقل سبباً وجيهاً لقراءة بعض من تاريخ التعذيب في تاريخنا الإسلامي، ومن جميل الصُدف وأنا أبحث عن هدفي تذكرت قصة الصحابي الجليل أباذر الغفاري فوجدت القصة زاخرة بالروايات المختلفة حول شخصيته رضي الله عنه، فقد مر بظروف قاسية جراء صدعه بالحقيقة.. فقد ترك لنا تراثاً من القيم والمعاني الجميلة.. صورة طبق الأصل لإبي ذر الثاني – أبا ذر علي الأمين..!!.. الصحفي المصادم الذي لم يخش في قول الحق لومة لائم، لا بل مُحللاً وكاتباً لا يشق له غبار، وقد برز مؤخراً تأثيره على الساحة السياسية من خلال ما يكتب كاشفاً عن خفايا الأحداث في بلادنا.

ها هو التاريخ الاسلامي يُحدثنا عن أبي ذر الغفاري الصحابي المصادم في قول الحق.. ويقول:

عرض النبي (ص) الإسلام على أبي ذر الغفاري فأسلم، وشهد بأن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، وطلب من الرسول (ص) أن يرجع إلى قومه ويدعوهم إلى الإسلام، ويكتم أمره عن قريش، ولكنه ما إن وصل إلى المسجد، حتى صاح بأعلى صوته بالشهادتين، فثار إليه القوم وضربوه، فأنقذه العباس، مُبيناً لهم مخاطر ما أقدموا عليه على تجارتهم التي تمر بالقرب من غفار.

حُظي أبوذر بالاهتمام الكبير والعناية الخاصة من قبل الرسول (ص)، فعن أبي الدرداء قال: "كان النبي(ص) يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب"، حاول المشاركة في غزوة تبوك، ولكن جمله أبطأ عليه، فتركه وحمل رحله على ظهره وتبع

النبي ماشياً.

أبو ذر الغفاري ممن نوّه رسول الله (ص) بفضلهم، وممن حازوا قصب السبق في مجالي الدين والعِلم، ويكفي قول رسول الله(ص) فيه "ما تقل الغبراء، ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر".

تصدى أبو ذر لسياسة السُلطة، سواء في الشام أو في المدينة، كان رضي الله عنه من جملة أولئك المُخلصين الذين لم يتوانوا عن إبداء النصيحة بل كان يجتهد في ذلك، فيصارح خليفة المسلمين، ويصارح غيره صادقاً من أجل الرسالة التي جاء بها رسول البشرية صلى الله عليه وسلم.

لقد جاهر أبو ذر (رضي الله عنه) بمعارضته للولاة والمقربين وكشف أوراقهم، غير خائف ولا مُكترث، وعندما اشتد في معارضته لما يخالف دعوة رسول الله (ص) إشتدت عليه الحملة حتى نُفي وقال قولته الشهيرة وهو يخاطب مودعيه "أخرجوني إليكم غضباً عليّ، وأخرجوني منكم الآن عبثاً بي ولا يزال هذا الأمر فيما أرى، شأنهم فيما بيني وبينهم، حتى يستريح برّ ، أو يستراح من فاجر"، ومضى ، فسمع الناس بمخرجه فاتبعوه، حتى خرج من دمشق، فساروا معه حتى انتهى إلى دير المرّان، فنزل..ونزل معه الناس..فاستقدم ، فصلى بهم..ثم قال: أيها الناس إني مُوصيكم بما ينفعكم، وتارك الخُطب والتشقيق، أحمدوا الله عز وجل..قالوا : الحمد لله..قال: اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله.

فأجابوه بمثل ما قال: فقال: أشهد أن البعث حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق... وأقر بما جاء من عند الله، واشهدوا علي بذلك.. قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين.

قال: ليُبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته، ما لم يكن للمجرمين ظهيراً، أو لأعمال الظلمة مصلحاً أو لهم مُعيناً.

أيها الناس: إجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عز وجل اذا عُصي في الأرض، ولا ترضوا أئمتكم بسخط الله، وإن أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم وآزروا عليهم وأن عُذِّبتم وحُرمتم وسُيرِّتم حتى يرضى الله عز وجل، فإن الله أعلى وأجل، لا ينبغي أن يُسخط برضا المخلوقين، غفر الله لي ولكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، فناداه الناس "أن سلَّم الله عليك ورحمك، يا أبا ذر ، يا صاحب رسول الله..

! ألا نردّك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك ألا نمنعك ؟"، فقال لهم: إرجعوا رحمكم الله فاني أصبر منكم على البلوى واياكم والفرقة والاختلاف وهذه الرواية، لا تتنافى مع الروايات الاخرى التي تؤكد على أنه حُمِل على ناقة مُسنة، بلا غطاء ولا وطاء، حتى وصل إلى المدينة وقد تسلخ فخذاه..!!.

فان الغاية كانت، هي الانتقام من أبي ذر شخصياً (التاريخ يعيد نفسه) وفي وسع معاوية ألا يثير على نفسه تساؤلات الناس، وكبار الشاميين ممن عرف أبا ذر، وأخذ منه وسمع عنه، فتركه يخرج من الشام بصورة طبيعية، ثم بعد أن صار خارج حدودها نُفذ فيه أمر الخليفة، فحُمل على الصورة المعروفة، فكانت مأساة أبي ذر الصحابي الجليل ليكملها غيره، فحُمل من المدينة الى الربذة ، حتى مات هناك وحيداً غريباً، وتحققت نبوءة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

**أباذر الثاني..**

وإذا ما تحدثنا عن أبي ذر الثاني الصحفي المعتقل وطريح مستشفى الشرطة بالخرطوم نتذكر بإجلال المقالات التي كتبها بجرأة لا مثيل لها كاشفاً فيها كل ألاعيب الطغاة المتربلين بالشعار الاسلامي والاسلام منهم براءة، وقد فضح زميلنا العزيز أبي ذر ما تقوم به العصابة وما ترتكبه من جرائم في حق الشعب السوداني، وقد عرف عن العصابة هذه أنها لا ترضى أبداً بذكر الحقائق عن زعيمها، ومن قبل هُدد كاتب هذا المقال بالويل والثبور عندما نشر مقالاً ذكر فيه أن قائد العصابة الذي حاول اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا في صيف ١٩٩٥م يعُد ضمن قائمة أشهر أشرار العالم، ولم أكن وحدي الذي هددت عندما ذكرت محاولة اغتيال حسني مبارك ومن قبل اعتقل زميلي عثمان ميرغني واعتقل وهدد بعظايم الأفعال التي ارتكبها زبانية الزعيم في جسد زميلنا العزيز أباذر علي الأمين لأنه دخل المنطقة المحرمة..!!.

وفي مذكرات الكاتب ذائع الصيت مصطفى السباعي يذكر "أن أول صفة للطاغية هي تلك التي تنزع عنه صفة الرئاسة (الحقد) وقديما قال الشاعر العربي.. ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا.. فإذا كان الحقد الشخصي يقتل صاحبه كمداً، والحقد السياسي يعوق المجتمع عن سيره الصحيح ،

فإن حقد الطاغية يدمر الأمة تدميرا ؟!!".

هذا ما حدث بالفعل..!!.

لماذا ؟.. يجيب السباعي لأن الطاغية يذل الأمة ،ويعز أعداءها ويميت أحرارها، ويحيي شرارها ووراء الطغاة قوى خارجية تدعمهم ولكنها (تشنق أمثالهم في بلادها وإذا استطاع الطاغية أن يستخف قومه ليطيعوه كما قال تعالى عن فرعون "فاستخف قومه فأطاعوه" فهم أي "الطغاة يضعون الأوهام في عقول الأمة لتستسيغ وهم عظمتهم وما يستسيغها إلا سُفهاء الأحلام والسخفاء وهؤلاء ترتبط حياتهم بحياة الطاغية ومصالحهم بمصالحه عبيد الطاغية يدافعون عنه، إبقاء على حياتهم لا على حياته، ولا يتهافت على فُتات عهد الطاغية إلا الذين لا يجدون ما يأكلون في عهود الحرية ولا يعتز بالسير في ركاب الطاغية إلا الذين تدوسهم مواكب الأحرار، فلا تعجب من مغمورين سلط الطاغية عليهم الأنوار أن يحرقوا له البخور، ويمشوا بين يديه بالمزمار، فلولاه لظلوا في الظلام مغمورين ليس لهم نهار إذا الأحرار كان لهم نهار".

وفي حديث للرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً سيدنا علي كرم الله وجه "يا علي لا يبغضك إلا من خبُث أصله"، وهذه العبارة مهما امتلك الانسان من ناصية التعبير لا يمكن أن يجد لها تفسيراً غير أن (الانسان) الذي يعذب أخيه الانسان في معتقلات الأمن أو في أي مكان في الدنيا إنما هو إنسان خبث أصله، وأن الضابط المسؤول الذي يأمر جنوده بتعذيب الناس سواء كانوا صحافيين او أطباء او سياسيين مطالبين بحقوقهم التي كفلتها لهم كل الدساتير السماوية والبشرية، أصله خبيث وقد تجرد من الإنسانية دعك تجرده من دين الإسلام السمح العفيف..!!.

ويذكر أحد الإخوة مُسلطاً الضوء على الحديث الثريف "يا علي لا يبغضك إلا من خبُث أصله"، أنه من المعلوم أن الذي يبغض مثل هذه الشخصية المضحية للاسلام بل المجسدة لجميع قيم الدين الاسلامي الحنيف وكان مثالاً للهدي الرباني والروح النبوية التي تحلى بها لدليل واضح على عدم استوائه العقلي والنفسي، وليس المقصود من خبث الأصل ابن الزنا والمُتولد من الحرام، بل الأمر أعم من ذلك، ويصف البعض بأن الذي يعذبون الناس في المعتقلات او في غيرها انما هم

ذوي نفوس خبيثة خرجت من أنفس خبيثة، ولا ينتظر منها خيراً البته، ذلك لأنها تتلذذ بتعذيب الناس.

لذا كان واضحاً أن كل النفوس الخيرة التي فطرها الله على الدين القيم اشمأزت لصورة آثار التعذيب على ظهر أخينا العزيز أباذر، وملامح الإرهاق والتعذيب النفسي على وجهه وملامحه، بل هناك أنفس بكت مثل المواطنة السودانية فتحية عبدالرحيم التي هاتفتني ذلك اليوم بعد أن نشرت الصورة، وكانت في حالة بكاء دائم حتى لم أستطع فهم ما تقول، و متسائلة كيف يُعذب الانسان إنساناً ويكويه بالنار..؟!.. أمراً لم تجد له إجابة غير تلك التي أشار إليها حديث رسولنا الكريم في مخاطبته للكرار علي -كرم الله وجهه- فلا يبغضك كلمة الحق إلا من خبث أصله، وأن من يعذب أصلهم خبيث، فإن من أدلة خبث المنبت الأكل الحرام..فكيف يكون حلالاً ذلك الأجر الذي يتقاضاه ضابط الأمن ليعذب المعارضين الجاهرين بكلمة الحق، وحتى وكيل النيابة الذي يماطل في علاج المعتقل وهو يدري أنه قد تم تعذيبه ويحتاج للعلاج، لكنه يماطل لتضييع الوقت حتى تشتد الأزمة الصحية على المُعتقل، فوكيل النيابة وضابط الأمن الذي يعذب سيان من منبت خبيث، فالنفس الرضية العفيفة لا ترضى التنكيل والتعذيب للآخرين مهما كانت جريرتهم.

التحية والتجلة للزميل ابي ذر علي الأمين وهو يقاسي مرارة الظلم، إنما في ميزان حسناتك وكفارة لذونبك، وكذلك التحية لزوجته المصابرة المجاهدة على ما قامت به من عمل صالح.

قال تعالى في سورة الأعراف:

"وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ

٤ يونيو ٢٠١٠م

# الرئيس ياسر عرمان!!

الانتخابات التي جرت في السودان حالياً وما فيها من تجاوزات تاريخية، ومتناقضات ومفارقات ومبكيات مضحكات قدمت للذين يقرأون التاريخ دروساً وعِبر لا تنتهي في الإصرار والتمسك بالنهج الذي ارتضته النفوس مختارة لا مُكرهة، بمعنى أن الانتخابات أكدت لنا جميعاً بأن الثلة الحاكمة تصر إصراراً شديداً على المضي قُدماً في سياسة تجهيل الناس، وظلمهم واللعب عليهم وتصغيرهم، وأهم من ذلك كله أنها تؤكد بإصرار بالغ الاستغراب لن تتخلى عن نهج التشبث بالسلطة في الوقت الذي يموت فيه الناس بالعشرات سواء كانوا في دار المايقوما للأطفال مجهولي الوالدين، أو في الجنوب أو دارفور أو داخل المعتقلات، المهم أن عمر البشير يبقى رئيساً لهذا الوطن المغلوب على أمره، ولو مات كل الشعب السوداني جُوعاً وفقراً ونهباً ومرضاً وغُبناً..!!!.

لكن من الدروس المهمة في تجربة هذه الانتخابات التعرف على النماذج السودانية الحقة التي كشفت بتميزها أن السودان فيه رجال يملأون عين الشمس، يملكون الصلاح والصلاحية لحكم هذه البلاد التي تتلون بكل ما يُجملها ويجعلها شامة في محيطها العربي والأفريقي، وقد عمل النظام الحاكم على مدى عشرين عاماً ونيف على أن لا يمنح الفرصة لأحد لحكم البلاد وإن كان يمتلك المواصفات التي تمكنه من التقدم بها للأمام إلى مرافئ التطور والازدهار غير عمر البشير الذي ثبت أنه قد أضاع البلاد وتؤكد ذلك الحقائق على الأرض، والتقارير الدولية في التنمية البشرية والشفافية والنزاهة، فضلاً عن السياسة الخرقاء التي يتبعها النظام مع القضايا الوطنية، وفي علاقات البلاد المتوترة مع الكثير من الدول الداعمة للسودان.

كان مُؤلّم للغاية ومبكي أن يُكرر ذلك المشير محمد حسن سوار الذهب التأكيد بأن عمر حسن البشير هو السوداني الوحيد الذي ولدته أمه صالح لحكم السودان، حديث لا يمكن أن يُصدر من شخص عادي، لكنه في كل الأحوال حديث يُجرد السودان من الرّجولة والتميّز والتفرّد، بل وينم عن جهل قائله، لأن داخل الثلة الحاكمة نفسها أشخاص يُمكن أن يحكُموا السودان أفضل بكثير من عمر البشير دعك من ياسر

عرمان(٩)، ود.كامل إدريس، وعبد الله دينق، الذين يملكون كل المواصفات التي تجعل السودان يتجاوز مشكلاته، ويكفي فقط أنهم غير مدانين داخلياً ولا خارجياً، ولا مطلوبين في محاكمة جنائية دولية، ولم يمارسوا الإبادة الجماعية على فئة من فئات الشعب السوداني، والسودانيون الذين أعرفهم يديروا الآن كُبرى مُنظمات الأمم المتحدة في التنمية البشرية، والتنمية الصناعية، وآخرين في بلاد كثيرة يديرون دُولاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

## تجاوز الخطوط الحمراء

لكنني أقول بكل صدق وأمانة أن السوداني الأصيل ياسر سعيد عرمان المُنسحب من سباق الرئاسة في الانتخابات برغم اختلافي الفكري معه قدم درساً بليغاً ليس للمؤتمر الوطني فحسب بل لكل السودانيين، نعم...أدرك أن ماكينة إعلام الحزب الحاكم بقيادة الطيب مصطفى - صاحب منبر الانفصال واسحق أحمد فضل الله - وباقي الكومبارس الحكومي الذي يرتزق من تعب وكد الشعب السوداني قد حاولوا بشتى السبل تكريه الناس في ياسر عرمان..لكن سبحان الله الذي أودع في النفوس نعمة العقل والإدراك فإن كل الذين استبانوا الحقيقة وتجاوزوا شهوات أنفسهم قد رأوا في ياسر عرمان الشخص المؤهل لحكم البلاد، فهو لم يدع الإسلام.. كما لم يدع الدفاع عن أي دين، وقد وصفته الثلة الحاكمة التي تتلبّس الإسلام بأقبح الكلمات، كما تعودت.. لم تراع في عدائها للآخرين قيم الإسلام الذي تدعي الدفاع عنه، فتجاوزت الخطوط الحمراء لكن ياسراً كان يدري مسؤولياته ويقف عند حدود الأخلاق، التي أتى بها رسول الإسلام الذي ما جاء إلا ليتمم مكارمها .. ولم يكن صعباً علي عرمان أن يسحب أقرب (كلاشنكوف) ويُردي من تجاوز حدوده قتيلاً، لكنه كان حليماً ولا أظن أن ياسراً كان سيُلام إن فعل ذلك، مادام أعداؤه قد تجاوزوا التنافس الانتخابي والسياسي إلى الزج بأسرته في أتون المعركة..أعطانا جميعاً درساً في الحِلم.. والوعي الوطني، وقبع أعداءه في كهفهم المظلم..يخيطون في الدسائس والمؤامرات وآخرها فضيحة تزوير الانتخابات والتي تم الكشف عنها بالأدلة الدامغة وقد عمت القنوات الفضائية والدول والقرى والحضر..!.

يوماً ما في منتصف ثمانينيات القرن الماضي.. المكان جامعة القاهرة فرع الخرطوم حينما كانت ندوات (الاتجاه الإسلامي) تجذب الناس من كل فج وصوب كان الفقيد

الراحل معتصم الفادني يبكي الحضور بحديثه العذب الذي يلامس شغاف الروح، وكان طارق محجوب وعبدالله جابر، والمحبوب عبد السلام معالم بارزة في الحركة الطالبية السودانية آنذاك، كان ياسر عرمان بلباسه ذاك وشعره الأغبر وبنطاله القديم الممزق يجلس القرفصاء وهو يقرأ في أحاديث أنداده من الإسلاميين مآلات الحاضر الذي نعيشه حالياً بكل ما فيه، كنت أقول في تلك الأيام أن الشباب والطلاب دوماً أكثر صدقاً من الساسة المحترفين، وقد ارتبطت للأسف كلمة السياسة عندنا بـ(الخساسة)، لما فيها من كذب ومراوغة وذاتية مُمعنة في الغباء والأنانية وتقديس السلطة والاقتتال من أجلها ولذلك تمارس فيها كل ما هو غير إنساني وغير أخلاقي فليس غريباً أن ننكر استخدام الدين في هكذا صراعات.

القوم كان هذا دأبهم يمارسون كل ما هو خارج عن الدين ويكررون موسيقاهم المشروخة، والدين الحنيف الذي جاء به رسول الرحمة صلى الله وعليه وسلم برئ مما يُكررون، قد شعروا بأن شعار (الإسلام) الذي جاء بهم إلى السلطة لا بد وأن يستمروا في استخدامه من أجل استقطاب الناس واستمالتهم، مع تصوير المخالفين لهم على أنهم هم الكفار، يريدون قلع الدين من أفئدة الشعب السوداني، لذا وجب استئصالهم وقتلهم وإبعادهم عن الساحة، وتكرار ذلك بكل أدوات التعبير المباشر وغير المباشر لإقناع القاعدة الجماهيرية باستيعاب هذه الرسالة التي دفع من أجلها المجتمع السوداني الكثير من المال والدماء.. والأتاوات التي تؤخذ منه بالقوة الجبرية.

ومن هنا كانت كراهية قاعدة المؤتمر الوطني وكُتابه ومُدعي المعرفة فيه للأخ ياسر عرمان برغم أن الرجل في خطابه العام للجماهير لم يستخدم منطق الجُهلاء خالي الوفاض الذين جعلوا الشتيمة والإساءة للآخرين منهجاً لهم في حياتهم وفي تنافسهم السياسي، وفي عهدهم عرف عن السودانيين قاطبة ( شعب الشحاتين) و(العواليق)، كما أضاف رئيس المؤتمر الوطني عمر حسن أحمد البشير لأول مرة في تاريخ الجمهوريات في العالم معجم للإساءات الرئاسية لمخالفيه الرأي.. على شاكلة (تحت جزمتي دي) و(نقطع راسو) (بلوا وأشرب مويتو) و(نقطع أوصال من يؤيد أوكامبو)..والقاعدة الإسلامية تكمن في حديث رسول الله (ص) "إن المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده" ونحن من مجمل المسلمين لم نسلم لسانهم وأياديهم

الملطخة بالدماء.

## معجم عمر البشير للإساءات

أصبح من السهل تأليف كتاب عن معجم الإساءات التي أطلقها قادة المؤتمر الوطني في حربهم مع الشعب السوداني ومع الآخرين منذ العام ١٩٨٩ وحتى تاريخ اليوم، حتماً ستكون مادة الكتاب دسمة تستفيد منها مراكز الدراسات والبحوث العالمية، لكن خطاب ياسر عرمان كان قريباً من نبض المواطنين، تحدث إليهم بصدق وعفوية غير مصطنعة، ولا ركيكة، زاخرة بعبارات الصدق مع النفس واتسمت بالحقائق المجردة، مثلاً في خطابه الجماهيري بدارفور التي استقبلته بحفاوة بالغة قال لهم " أنتم أهل القرآن وخاصته..وأنتم أول من كسى الكعبة الشريفة..لا تصدقوا من يأتي إليكم من الخرطوم ويقول أنه رسول الإسلام ويريد أن يخرجكم من الظلمات إلى النور، هؤلاء يكذبون عليكم لا تصدقونهم"..!!.. ياسر عرمان دعاهم للوحدة ولنبذ العداوات بينهم، ودعاهم للتآخي.. وأكد لهم "لا فرق بينكم كلكم أبناء السودان وكلكم مسلمين"، كانت هذه هي ملامح خطاب عرمان في أكثر من مكان في السودان لم يتعرض لأسرة قيادي في المؤتمر الوطني ولم يسّب أحداً من الناس، كل خطاباته لم تخرج البتة من حركة التنافس السياسي الشريف، برغم أن ياسراً في اعتقاد أهل المؤتمر الوطني كافراً..!!.

هذه النقطة ذكرتني بقصة السوداني الذي تزوج من أوربية غير مسلمة وجاء بها للسودان وكان أهله يصفونها لدى ابنهم بـ (الكافرة) وفي مرة من المرات سافرت الأسرة لمنطقة داخل السودان وتركت الأوربية مع والد زوجها الذي كان يعاني من أمراض كثيرة فقامت زوجة الابن الأوربية (الكافرة) بالرعاية الكاملة لوالد زوجها في إعداد الطعام الملائم لصحته وتقديم الأدوية في مواعيدها والوقوف على كل احتياجاته وكلما نادى عليها وجدها قربه.. وأظهرت اهتماماً شديداً به وعندما أتى الابن مع الأسرة من السفر سأل والده قائلاً "أها يا أبوي.. (الكافرة) كيف عملت معاك..؟.فرد الأب والله يا ولدي... الكافرة أمك..!!.

## ضياع السودان

ومن خلال الانتخابات التي جرت مؤخراً فقد كان ياسر عرمان الأصدق بين

المرشحين في الحديث حول الوحدة بين الجنوب والشمال أو انفصال الجنوب عن الشمال، طالما أنه حقق هذه الوحدة برباط مُقدس بزواجه من جنوبية كاسراً الحاجز الاجتماعي القوي، الذي لم تتمكن نُخب السياسة من كسره حتى في تاسيساتهم الفكرية السياسية، أو في مبادرة ولو على المستوى الشخصي منهم، مثلما فعل ياسر عرمان على مستوى الرباط الزوجي، وقد كان معروفاً بأن الانحياز لقضية الجنوب في فترة من تاريخ السودان يعتبر خيانة وعمالة وتخرج الإنسان من ملة المسلمين، كأن الإسلام لم يأمر بالعدل والوقوف مع الحق حتى مع ذوي الشنآن، إلا أن الأيام أبانت وفي ٢١ يوم فقط عاشها الزعيم جون قرنق في الشمال أن الحركة الشعبية تنطلق من فكر وحدوي مشروط ومستحق، وأن الرجل كان مُصلحاً أكثر من كونه مجرد محارب، وقد كان عند دخوله القصر الجمهوري يسلم على الناس بيده فرداً فرداً ويخص بذلك العاملين في القصر الرئاسي من الفراشين والمزارعين داخل حدائق القصر، والسُواق والعساكر من الرُتب الدنيا، والذين يقفون على خدمته، عكس الشماليين الذين إما سرقوا السلطة بليل أكبر جهدهم السيطرة على القيادة العامة، والمدرعات و الإذاعة، أو طائفية تنتظر الشعب أن يضحي ويقدم لها الُحكم في انتفاضة كما فعل في أكتوبر وابريل، لذلك ما أسهل أن يضيّع مثل هؤلاء الُحكم، وما أصعب أن يضيع السودان من كان يناضل نصف عمره بين الأحراش من أجل قضايا شعبه والمهمشين الذين بعد موته أصبحوا مهشمين ينتظرون سودانياً قحاً مثله يرفع شعار (رفع التهشيم عن كل الشعب السوداني)، ساسة الشمال هم الذين يخلقون الحظ السيئ للشعب السوداني، فأصبح حال الناس أثناء كل حكم كمن ينتظر مهدياً ثانياً يضئ لهم على الأقل شمعة أمل يتلمسون بها طريقاً يحفظ السودان من أيام كالحات قادمات لا يعلم تبعاتها إلا الله، والراسخون في السياسة وحب الوطن يسألون الله اللطف بالبلد.

ياسر عرمان هو الظاهرة السياسية الشمالية الجديدة والتي كان يمكن أن تكون أي شخص غير (ياسر) يخرج من رحم فشل المسيرة السياسية الشمالية الطائفية العسكرية الاسلاموية السودانية المنحدرة منذ الاستقلال عمودياً، وإن كان ظهور شخصية مثل شخصية ياسر يصعب في البيئة الاجتماعية الشمالية التي تألف الأعراف السائدة التي يصعب الخروج عليها وكسرها كأن لسان حالها يردد قول الإمام أبي حامد الغزالي ( ليس أفضل مما كان)، إلا أن ياسراً تحلى بالشجاعة في

كسر هذه الأعراف، وأضحى الكثيرون بسببه في شمال اليوم تترسخ لديهم كل يوم فشل عقلية الأنظمة السياسية السودانية الشمالية وإتباعها سياسة تضييع الوقت والمراوغة في قضايا ظاهرة للعيان يمكن أن يحسمها أي شيخ حلة أو شيخ إدارة أهلية في الريف السوداني وبدأ خروج جماعي من المنظومة النخبوية السياسية العسكرية الطائفية الاسلاموية القبلية الشمالية.

**عرمان إفراز لرؤية جديدة**

أن حركة الدين والتاريخ والاجتماع في السودان تؤكد أنه لابد من ظهور شخص ما في طور ما ليحمل فهما جديداً للسياسة السودانية وليكون مفترق طرق جديد منفصل المسار عن النخبة الطائفية العسكرية الاسلاموية القبلية التي سادت السودان منذ الاستقلال وبين رؤية جديدة بدأت تترسخ لدى الكثير من الشباب، لذا خصوم مثل هذا الشخص والذي هو بين الذين ترشحوا للكرسي الرئاسي – ياسر عرمان– سيكونون شيوخ الطائفية والعسكر والاسلامويون القدامى والجدد والعنصريون لأنه إفراز لرؤية جديدة ستنسف احتكار هذه النخب التي فشلت في تقديم رؤية تنقذ السودان وأصبح حالهم كحال هشام الثاني بن الحكم آخر ملوك غرناطة و آخر حكام بني أمية الأندلس يبكي كالنساء مُلكاً لم يستطع المحافظة عليه كالرجال، وفي نفس الطريق يسير الوهم السياسي الطائفي والعسكري والاسلاموي والقبلي والذي لن يقف عند انفصال الجنوب بل سيتسع ليتناحر الشمال نفسه، فإذا كان المجاهدون الأفغان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم يجدوا عدواً يقاتلونه فاقتتلوا فيما بينهم فما المانع من الاقتتال الشمالي– الشمالي والذي بدأت شرارته في دارفور والشرق مع استقطاب قبلي جاهلي في الوسط والشمال، لا كابح له إلا ظهور شخصية شبيهة بشخصية عجيب المانجلك الذي بالمُقايسة تتفوق عقليته السياسية التي مضى عليها أكثر من ٤٠٠ سنة على سياسيينا الحاليين الذين رأوا العالم الحديث وتخرجوا في جامعات الدول العظمى ولم يتعلموا فن سياسة يصلحون به حال البلد، ولا خدموها بمجالات تخصصاتهم الأكاديمية فإذا بالفشل فشلين على المستوى الشخصي وعلى المستوى القومي، كما قال أستاذنا محمد موسى جبارة في مقاله الأخير، وان كنا نحن من يُطلق علينا الشماليين أهل إسلام حقاً فلندرك أن السُنن الإلهية في مسألة الظلم الذي حاق بشعب الجنوب الوديع لن

يمضي دون قصاص إلهي للشمال، سندفع ثمنه جميعاً الفاعل والصامت والرافض ما دمنا على أرض السودان وهذه هي سنة الله، فسيصحو الشمال يوماً على ما اقضي مضاجع الجنوب لسنوات دون جريرة، فأي دين عولجت به قضية الجنوب سوى دين الاستعلاء الأخرق، من هو الشهيد بمقاييس الحديث الشريف ( من مات دون ماله أو عرضه فهو شهيد).

ليست القضية ياسر عرمان (الدم واللحم)، ولكن مسيرة التغيير التي بدأت تنطلق وسط الشباب السوداني، فياسر مجرد بداية لعصف ذهني سياسي ينسف القديم لصالح الجديد ويكسر الحاجز النفسي المتمسك بالقديم والذي لابد لحدوثه من ظهور شخصية تتحلى بالشجاعة والخروج عن الموروث الخاطئ، وقديماً لكي تنطلق دعوة الإسلام في بداياتها كان لا بد أن يكون هناك بلال وعمار وخباب ليخرجوا عن مألوف قريش ويُعذبوا ليكسروا حاجز الخوف لدى الغير فيدخلوا في الدين الجديد، وكان ذلك.. والغريب أن عمار، وبلال، وخباب يلتقون مع جون قرنق في العِرق، وكان بدهياً أن يستصغر أهل الاستعلاء بالدم من القرشيين شأنهم إلا أنهم ما لبثوا أن دخلوا في الدين قهراً بفتح مكة، فلينتبه لهذا الربط التاريخي من كانت فيه ملكة (انتباهة) حقيقية.

الشارع السوداني على مستوى الشباب أصبح يتناول في أحاديثه مصطلحات المساواة والعدالة والنزاهة وحقوق الإنسان، والنأي عن تقديس الشخوص لمجرد انتمائهم العائلي، وهذا هو بداية الطريق الصحيح للدولة المدنية، ثم إن ياسراً أيضاً كان أحد أطراف الاستحقاق الانتخابي الحالي بجهوده مع الحركة الشعبية والتي بسبب اتفاقية السلام أحدثت انفراجاً في مساحة الحريات ورفع حالة الطوارئ، وكسر القبضة الواحدة، ياسر عرمان قيم على الحفاظ على حقوق المواطن أكثر من الذين جربناهم، والعجب أن كثيرين من حملة المصاحف يصفونه بساقط القول ولكن لم نقرأ أو نسمع له قولاً ساقطاً في حقهم، لعل السجال الحالي في السودان يمثل غربلة يتعرف الناس من خلالها على القيم الصحيحة للدين ولدولة الحقوق، فليس كل من حوّقل أو بسّمل جماهيرياً متديناً، وقد يكون في (نظر الناس غير متدين) بسبب إخفاء علاقة تدينه متديناً لأنه يوقن بأن الحكم لله ولا يبالي بحكم الناس عليه، وقد كان الشاعر المرهف محمد عبدالحي خجولاً في عبادته ولا يتوضأ أو يصلي منفرداً

أمام الناس، وقد ظهرت له كرامة عندما مر بأحد الدكاكين التي يمر بها يومياً متجهاً إلى منزله فإذا به يقف ويخاطب الجلوس قائلاً " الدكان ده حا يحرق بعد كم يوم".. فإذا ببصيرته تتحقق، ولكننا لا نرى لذوي التدين بالصوت العالي أي رؤى شفيفة تتحقق سوى العنت والرهق والضنك من ظاهريتهم الدينية..!!.

صحيح أن ياسر عرمان انسحب من الانتخابات في قسمة لم يفصح عنها، لكنني أر أن تغطية الأمور بهذه الطريقة لا تحل المشكلة، وستستمر ظاهرة عرمان في شماليين آخرين، فإن كان قد سُحب ترشيحه مساومة بإقامة الاستفتاء عندها يكون الجنوبيون قد أفلحوا على الأقل في إقامة جنوبهم الجديد وتقلصت فكرة السودان الجديد، فمن سيكون العدو القادم لدولة الشمال الفاشلة منذ إرهاصاتها الأولى غير العداوة الشمالية الشمالية فالطبع يغلب التطّبع...!!.

٢٦ ابريل ٢٠١٠م

# هل بدأ الصراع (الشايقي)...(الجعلي) على السلطة في البلاد...؟!.

أسئلة كثيرة تدور في خلد المرء وهو يتابع ما يكتبه مؤيدي الحزب الحاكم في أكبر المواقع الالكرتونية السودانية على شبكة الانتر نيت عبر منبره العام، هذه الأسئلة مزعجة بمكان بحيث تجعل القارئ قلق ومرتبك ومتوجس خيفةً من مستقبل مظلم للسودان الذي يمر بأسوأ حقبة زمنية منذ تواجده كدولة على وجه الأرض.

والسؤال مكمن القلق..هل بدأ الصراع (الشايقي) (الجعلي) على السلطة في البلاد...؟!.

أدري عزيزي القارئ أن مجرد قراءة السؤال في حد ذاته أمر يدعو للاستغراب.. وللخوف من المستقبل المجهول..!!.

الذي جعلني أرتاد هذه المنطقة الخطيرة هي أن مسؤول الاعلام الالكتروني بالحزب الحاكم العضو في موقع سوداني الكتروني معروف، هذا العضو المشهور بمعاركه الاسفيرية في عدد من المواقع الالكترونية وصاحب أكبر سجل للشتيمة والألفاظ النابئة كان قد فتح ملف أملاك آل حسن أحمد البشير وبعنوان مستفز (قصور وعمارات آل البشير – حوش بانقا – بكافوري)، ونشر فيه عدد كبير من الصور الملونة التي يرى منها القارئ حجم الاستملاكات الضخمة لأسرة الرئيس في هذه المنطقة المعروفة في العاصمة السودانية، ووضح من خلال الصور كمية المباني والمؤسسات التعليمية التي أنشأها أحد أشقاء الرئيس، وكان غريباً للغاية أن يقوم شخص عضو بالحزب الحاكم ومسؤول الاعلام التقني فيه بفتح هذا الملف بالذات الذي استفز كل الذين تصفحوه وتأملوا في صوره..!!.

قراءتي الشخصية للهدف من نشر هذا الملف كانت لم تخرج من دائرة استفزاز المعارضين من باب (البلد بلدنا ونحن أسيادها)، وكان كاتب الملف يرد على القراء بعنجهية شديدة تزيد من اشتعال نار الكراهية في صدور القراء، وهذه الحادثة لم تجعلني أمر بها مرور الكرام لكنني أعملت النظر والتفكير في ما وراء نشر مسؤول

الاعلام الالكتروني لهذا الملف، وأثناء بحثي عن آخر ما كتبه هذا الشخص وجدته قد كتب كلاماً يسئ بوضوح شديد للرئيس عمر البشير بتاريخ ٣ اكتوبر ٢٠١٠م على ضوء اقتراح الحركة الشعبية برئاسة دورية و٧٠٪ من النفط، الذي نشرته صحيفة (القدس العربي) وبعض الصحف السودانية، وقد وصف علاء الدين يوسف هذه المقترحات بـ (قِلّة أدب غير مقبولة) ومن سوء حظه العاثر أن الرئيس بعد أقل من ٤٨ ساعة طالب الحركة الشعبية بقبول ١٠٠٪ من انتاج النفط من أجل الوحدة، فإذا كانت ٧٠٪ من النفط.. جعلته ينعت الحركة الشعبية بـ (قلة الأدب) فما باله وقد رضي رئيس الجمهورية عن تقديم تنازلات لدرجة ١٠٠٪ من النفط للحركة الشعبية..!!!.

فماذا هو قائل للرئيس عمر البشير...!!

أليس من الطبيعي أن نتوجس خيفة من هذه الكتابات التي تعكس واقع الحال داخل دوائر الحزب الحالكم..وهذه المماحكات التي تقع في اطار الصراع (الشايقي) (الجعلي) على السلطة...؟؟.. خاصة إذا وضعنا في الحسبان الامكانيات الهائلة التي تم توفيرها لمسؤول الاعلام الالكتروني في الحزب في الموقع السوداني الأكثر شهرة لكي يبث عبره أشجان القبيلة وطموحاتها ورسائلها، علماً أن غالبية العاملين في الاعلام الالكتروني بالحزب الحاكم من قبيلة واحدة..!!...بمساعدة من صلاح قوش في رئاسة الجمهورية، وقد قامت هذه الشبكة الاعلامية الالكترونية الممولة من جهات تعمل تحت الارض بتغطية كل أنشطة نائب الرئيس وفي زياراته الداخلية والخارجية مدعومة بالصور (High–resolution images)، كما قامت الشبكة بتغطية اللقاءات المهمة لمستشار الرئيس للشؤون الأمنية، وكذلك مقالات المدح والإطراء من قبل أحد عضوية ذلك الموقع الكبير وتركيز هذه الشبكة الاعلامية على عكس أنشطة نائب الرئيس، والمستشار الأمني بالصور الحصرية، هذا فضلاً عن الكثير من العبارات والمفردات التي تشير إلى التوجه باستغلال المواقع الالكترونية في ارسال موجهات معينة لمن يهممهم الأمر في تكبير كوم قبيلة نائب الرئيس وإعدادها لأمر جلل..!!.

عزيزي القارئ..

انا لا أدعو لعنصرية أو جهوية والحمدلله لم أكتب يوماً في مقالاتي أو موضوعاتي على الشبكة إنتمائي لقبيلة من القبائل ..أنا في الحقيقة من خلال طوافي بكل مدن وولايات السودان والتعرف عن كثب على ما يزخر به السودان أصبحت قلبيلتي هي (السودان) وفي اعتقادي انه أجمل وأعظم وطن في العالم لا يمكن أن انتمي لوطن سواه مهما كان..لكنني أعرف جيداً عزيزي القارئ كيف يفكر هؤلاء.. علي عثمان محمد طه.. و صلاح قوش.. وأعرف جيداً مراميهما، وطريقة عملهما في الخفاء وكيف يفكران.. وكيف يستقطبان الأتباع وطريقتهما في الصرف البذخي على من يعمل معهما، والثقة الكبيرة التي يعطيانها للمقربين والسواعد القريبة..!!.

فليس لي من مصلحة غير مصلحة الوطن في أن أنبه الناس لما يجري ويُدبر من إستراتيجيات تفتك بالوطن وتريق الدماء العزيزة كما أريقت من قبل في أكثر من محور، ولا زالت تأثيراتها حاضرة بيننا تأكل من أجسادها ومن عفتنا وشرفنا..ومن تاريخنا الممهور بالدماء الغالية من أجل الحرية والاستقلال.

وإذا كانت حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان من أطول حروب عاشها وخاضها العرب في الجاهلية، دامت أربعين سنة وإشتركت فيها العديد من القبائل العربية بصف بنى ذبيان مثل قبيلة طيئ وهوازن فإن الحرب في السودان التي يشعلها (المؤتمر الوطني) عبر صراع (الشوايقة) و(الجعليين) إذا تجاوزنا الجنوب ودارفور، فإنها ستستمر حتى يفنى آخر مواطن سوداني..تبقى ولا تذر.. وتحرق الأخضر واليابس، ولا تنتهي في حدود السودان بل تمتد إلى الدُول المجاورة التي ستدخل تلقائياً في الحرب بحجة الدفاع عن السودان..!!.

لا أدّعي عزيزي القارئ مقدرة على التحليل، كما لا أدعي أنني أعرّف الناس بما يجري في البلاد من أحداث، لكنها مجموعة هواجس أحسب أنها لم تأتِ من فراغ بل من وقائع موجودة على أرض الواقع قد بينتها في هذا المكتوب، كما أن الكثير من الزملاء الصحافيين والحركيين داخل الحزب الحاكم يبوحون لنا بين الفينة والأخرى بهمومهم وما يسمعونه داخل الحزب من اتجاهات تزرع في صدورهم الخوف من المستقبل.

وأضف إلى ذلك أن القّراء الكرام الذين شعروا بمصداقية ما يكتبه هذا القلم من

توجهات تريد سلامة وأمن الوطن العزيز وتطوره ورقي شعبه يبعثون لنا بأشجانهم ومقترحاتهم وانتقاداتهم التي هي محل احترام وتقدير، والكثير منهم يتبرعون بالمعلومات حول ما يجري في البلاد وأتعب كثيراً في التأكد من صحتها وكلها في الغالب تصدق.. إن هاجس الصراع القبلي بين الطرفين المذكورين أصبح مدار حديث طويل بعد أن كان همساً.. يتم تداوله بصوت عال، خاصة بعد الخلاف الكبير الذي حدث بين المسؤول السابق في إدارة الكهرباء المهندس مكاوي محمد عوض والوزير أسامة عبدالله.. هذا الصراع الذي أستخدم فيه الأس القبلي بأسوأ ما يكون فتدخل الفريق صلاح قوش ليحمى بنى جلدته الذي بقي في مكانه، وتدخل عمر البشير لنقل مكاوي لمرفق آخر بدرجة وزير، وقال العالمون ببواطن الأمور داخل الحزب الحاكم أن الشتائم الشخصية النتنة التي وجهها الطرفان لبعضهما البعض لم تحدث في تاريخ السودان ألبته، وأن تفاصيل هذا الصراع (القبلي) سابقة تاريخية بكل المقاييس تنطوي على مفارقة واضحة للدين ولكل التقاليد السودانية الأصيلة التي اشتهر بها الشعب السوداني والتي أكدت أن السودان أضحى على وشك السقوط في الهاوية..!!.

مساء الخميس ٢١ اكتوبر ٢٠١٠م

# من (حوش بانقا)(١٠) لحوش (ويكيليس)..!!.

استغرب أحد الإخوة عدم دهشتي على ما نشره موقع ويكيليكس حول مبلغ الـ ٩ مليار دولار التي قال أن الرئيس عمر البشير قد اختلسها من أموال الدولة وأودعها في حسابات أجنبية، وفقاً لمراسلات دبلوماسية أمريكية سربها الموقع، وبررت لصديقي عدم دهشتي لعدة حوادث عشتها بنفسي وآخرى سمعت بها لا أشك في مصادرها حول نهب واختلاسات لأموال الدولة جعلتني لا أندهش، بل أسعد كثيراً لأن ما أصبح ينشر مؤخراً حول الفساد المالي والاداري والاخلاقي يؤكد ما ذهبت إليه في عدد كبير من مقالاتي التي بدأت كتابتها منذ خروجي من السودان قبل ١٠ سنوات.

(١)

دولة الأشخاص..!!

في قناعاتي التي لا تهتز أبداً أن الدولة في السودان (دولة أشخاص) وليست دولة مؤسسات على النحو الذي نعيشه في كل بلاد العالم، وكل السودانيين يعلمون ان أموال البترول السوداني توضع في حساب (شخص) اسمه د. عوض الجاز.. وزيراً للمالية.. وزيراً للصناعة.. للتجارة.. للرياضة.. لا يفرق شيئاً..المهم أن أموال جمهورية معترف بها عالمياً وعضو في المنظمة الدولية –الأمم المتحدة– جمهورية مُوقعة على كل المواثيق الدولية، ولها سلام جمهوري وعلم يرفرف في كل بلاد العالم تضع أموال بترولها باسم شخص..أياً كان هذا الشخص..!!.

الكثير من الناس لا يعلم أن كل وزير خلفه وزير ظل بامتيازات تفوق التصور، هو الذي يقوم بكل شئ في وجود الوزير الإسمي خاصة إذا كان من غير العضوية المنظمة حركياً، وفي أعوام التسعينات ولأكثر من مرة قام د.لام كول الذي كان وزيراً للنقل بالخروج من السودان بعد أن (حرد) وزارته بحجة أنه وزير اسمياً فقط، وأن هناك من يقوم بإصدار القرارات وإدارة الوزارة في (الظل) برغم وجوده على

الكرسي..!!.

الوسط الصحفي كان يعلم جيداً الطريقة التي تمت بها استرضاء الوزير بالعودة لمباشرة عمله بعد أن أوتي به من العاصمة نيروبي..!!.

(٢)

## السيد ويكيليس

الدولة السودانية (دولة) أشخاص يعيثوا فيها فساداً..كل أنواع الفساد ما ظهر منه وما بطن..فليس من الغريب أن يكون رأس الدولة قد اختلس المبلغ المذكور في (ويكيليكس) خاصة وأن هناك من يدعم هذا الاعتقاد وأنا شخصياً أميل لتصديق السيد ويكيليكس لأن هناك ما أقنعني بذلك والذي يتمثل في وجود أملاك كثيرة داخل السودان وخارجه في دبي مثل مشروع النخلة ومنتجعات في ماليزيا للسيدة حرم الرئيس وداد بابكر.. فمن أين لها كل هذه الأموال..؟؟.

وجود عشرات الأملاك الكبيرة والفاخرة لآل حسن احمد البشير في كافوري والتي تم تسميتها بـ(حوش بانقا)..فمن أين لهذه الاسرة كل هذه الأمواك التي نشرت بالأسماء على نطاق واسع من شركات تجارية وتقنية ومؤسسات تعليمية وغيرها.. علماً أن الأسرة كانت متوسطة الحال حتى العام ١٩٩٣م وشخصياً لي علاقات مع هذه الأسرة من خلال زميلنا في صحيفة (الراية) المرحوم عثمان حسن أحمد البشير شقيق السيد الرئيس، وكنت شخصياً قد قمت بتصوير (الاحتفال) الكبير عقب نبأ رحيله، وأعرف عدداً كبيراً من أفراد الأسرة، لا أتكلم عن أسرة لا أعرفها بل أعرفها جيداً، لولا منصب (رئيس) جمهورية السودان لما تسنى لها كل هذا الغنى الفاحش، وكل هذه السطوة..!!.

(٣)

## ديوان الزكاة ودعم القنوات الوهمية..!!

ديوان الزكاة الاتحادي بالخرطوم قام بتسليم رئيس هيئة التلفزيون الحالي محمد حاتم سليمان مبلغاً كبيراً وبـ(الدولار) لإنشاء قناة فضائية، لم تظهر حتى الآن وتمت المطالبة بإعادة المبلغ للديوان لكن لم يحدث، في الوقت الذي يموت فيه

المرضى بالمستشفيات ولا يحصلون على دعم من ديوان الزكاة، وتنتشر الفاحشة في الكثير من المرافق التعليمية لأن الكثير من الطلبة والطالبات لا يجدون دعماً من الدولة ومن ديوان الزكاة تحديداً فيلجأ البعض لإرتكاب الفاحشة لتغطية حاجاتهم التعليمية أو المشاركة في عصابات ترويج المخدرات لحاجتهم للمال، لأن مال الدولة أُنفق في شراء أراض للسيدة وداد بابكر في دولة الامارات، ومنتجعات في ماليزيا وفي دعم القنوات التلفزيونية الوهمية، وفي إنشاء مدينة حوش بانقا بكافوري..إلخ.

وللذين لا يعلمون أن عدداً كبيراً من العاملين في ديوان الزكاة الإتحادي كانوا قد رفعوامذكرة داخلية قبل أكثر من عامين ينتقدون فيها سياسة الديوان في دعم (المؤتمر الوطني) من خلال تغطية تكاليف بعض الأعمال السياسية مثل التحشيد السياسي لزيارات رأس الدولة، ودعم تكاليف التجمعات التي يقيمها الحزب الحاكم، ولم تكن هذه المذكرة هي الأولى من نوعها، باعتبار أن أموال الزكاة لها مصارف محددة في القرآن الكريم ولا مجال للإجتهاد في خلق مصارف لم يذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز .!!.

## (٤)

## دمار ونهب شركة الخرطوم للتجارة والملاحة..!!

يوماً من الأيام ساقتني الأقدار لأعيش قصة دمار ونهب شركة الخرطوم للتجارة والملاحة إحدى شركات بنك أمدرمان الوطني.. كانت من أكبر شركات المؤسسة العسكرية الاقتصادية في العهود السابقة منذ عهد النميري عندما كان يرأسها الزبير رجب، وحتى عهد الديمقراطية الثالثة (١٩٨٥-١٩٨٩) حتى العام ١٩٩٥م كانت تحتل مساحة جغرافية كبيرة وتتبع لها عدد من المؤسسات التجارية والهندسية أشهرها - مصنع تركيب السيارات في بورتسودان المعروف الذي كان يوفر سيارات LANDROVER وشاحنات BEDFOR التي كان السودان يصدرها لدول القارة الافريقية، ويغطي منها الحاجة المحلية- و مما لا يحصى من الشركات الصغيرة تابعة لهذه الشركة الكبيرة التي كانت تعكس عمق العلاقات البريطانية السودانية في المجالات الاقتصادية تم نهبها بشكل غريب وعجيب..وبدأ الانهيار بنهب مصنع تركيب السيارات في بورتسودان عندما تم استلام المصنع من

المتخصصين فيه بشكل درامي عام ١٩٩١ م وتم تسليمه لأفراد ليس لهم أي علاقة به لا من قريب ولا من بعيد، فقط كونهم يمثلون (الإنقاذ) حيث استلموا المصنع كاملاً بكل معداته وآلياته، وإيراداته المالية في البنوك، فدخلت الادارة (الانقاذية) في عمليات تجارية فاسدة وفاشلة أفقدت البلاد هذا المصنع الكبير قيمةً ومعنى والذي كانت تعيش منه المئات من أسر العاملين والفنيين والموظفين، علاوة على دوره في دعم الاقتصاد الوطني.

ورويداً..رويداً في العاصمة بدأت شركة الخرطوم للتجارة والملاحة الانهيار التدريجي فإن الذين استلموا مسؤوليته لم تكن لهم صلة بإدارة شركات من هذا النوع بهذا الحجم فضلاً عن غياب الوازع الديني والاخلاقي للقيادة الجديدة التي عرفتها جيداً وعن قرب، وقد لا يتصور القارئ الكريم كيف أن الجهات العليا أحالت للصالح العام كافة المسؤولين في هذه الشركة العملاقة عندما جاءت للسلطة في ١٩٨٩م وعينت أشخاصاً غير مؤهلين يديرون العمل التجاري في الشركة على مستوى الداخل والخارج وليس لهم علاقة بهذا العمل غير انهم مسؤولين في مكاتب تنظيمية (حركية) مثلاً مدير عام الشركة كان هو وزير المالية السابق ولم تكن له أي صلة بالشركة غير الإسم فقط، وكان نائب المدير العام هو المدير العام الفعلي وكنت أعمل معه كصحافي أقوم بكتابة الأخبار وتصويرها ونشرها في الصحف، ولم تكن هذه علاقتي به فقط بل كانت هناك أيضاعلاقة تنظيمية..مقر الشركة نهاراً.. شركة الخرطوم للتجارة والملاحة.. وليلاً مقر للعمل التنظيمي.. وأحياناً يستمر العمل في هذا المكان حتى منتصف الليل.

نائب المدير العام في شركة الخرطوم للتجارة والملاحة تم تعيينه وزيراً لمالية ولاية أعالي النيل..كان يدير الموقعين في آن واحد لمدة ستة أشهر، وسافرت معه لولاية أعالي النيل وطفت أرجاءها ووقفنا على احتياجاتها فيما يلي وزارة المالية.

ستة أشهر يدير وزارة مالية ومدير عام شركة كبيرة في آن واحد..!!

وما الذي حدث..؟؟.

تم نهب كل أموال الشركة في منصرفات خاصة في منزل (الوزير – نائب المدير العام) في احتفالات وبوفيهات مفتوحة لوداع فلان واستقبال علان..

وعندما أصبحت الشركة على (الحديدة) كما نقول بالسوداني اجتمع شياطين (الإنقاذ) من شخصين إلى ثلاثة أشخاص مع نائب المدير العام ليتداركوا الموقف لاسيما وأن الشركة التي كانت لها تجارة دولية وإقليمية ومحلية قد توقفت لسوء إدارة المال كما توقف العمل الإستثماري، فإتفقوا على أن يرموا المشكلة بعيداً عنهم.

فقال قائل منهم بفكرة (جهنمية) تتلخص في كتابة رسالة باسم وزارة المالية بأعالي النيل لشركة الخرطوم للتجارة والملاحة لطلب تمويل مالي للموسم الزراعي في الولاية الذي وصفوه بالواعد والمبشر..وبالفعل أخرجوا من شنطة (الوزير) الأوراق المروسة وكتبوا خطاب موجه إلى (نائب المدير) العام لشركة الخرطوم للتجارة والملاحة، وقام (الوزير) بالتوقيع على الخطاب.

(نائب المدير) و(الوزير).. شخصية واحدة..!!.

يطلب التمويل المالي.. ثم يُوقع موافقاً .!!.

ثم كتبوا خطاب رداً على وزارة المالية بولاية أعالي النيل للموافقة على التمويل المالي.. وقام (نائب المدير العام) للشركة بالتوقيع على الخطاب..!!!.

هذه النقطة تذكرني بالطرفة التي تقول أن أبليس شُوهد وهو يهم بالخروج من السودان فسألوه عن السبب..قال "ناس المؤتمر (الوطني) ديل حا يفسدونا "..!!.

وبعد هذه الحادثة بقليل هوت الشركة إلى الحضيض وبعد أن كانت تقبع على مساحة كبيرة من شارع الجمهورية وفي المنطقة الصناعية الخرطوم وفي مدينة بورتسودان ويعتاش منها آلاف الأسر، أصبحت الشركة العملاقة مجرد (مكيتب) في إحد الطوابق في عمارة وسط الخرطوم، هذا الكلام قبل ١٠ سنوات لا أدري الآن هل تم إرجاع الشركة كما كانت سابقاً بضخ أموال جديدة أم محيت من الوجود..؟!.

والوزير.. نائب مدير عام الشركة..سابقاً ومن معه لم يصبهم أي سوء، والآن يعيشون في رغد من العيش، بينما العشرات من الذين لا سند لهم يعانون في سجون مخالفات المصارف لأنهم لم يفكروا يوماً في الانضمام لركب (الانقاذ) وأصروا على أن يصنعوا مؤسساتهم الخاصة بدون مساعدة من أحد..!!.

أسرد قصة نهب شركة الخرطوم للتجارة والملاحة بعناوين عريضة لكن تفاصيلها تفجع مثل فيديو جلد الفتاة لا يمكن ان يُشاهد للنهاية، وفيه ما هو مقزز، وفي الحقيقة هي قصة نموذجية للكيفية التي نهب بها نظام المؤتمر (الوطني) مقدرات البلاد باسم ديننا الاسلامي الحنيف وهو منهم براء.

## (٥)

## البنوك تتعهد بالحفاظ على أسرار عملائها..!!

انا على يقين تام أن ما أروده موقع ويكليس حول اختلاسات رأس الدولة حقيقة لا تقبل الجدل وإن نفت مجموعة مصارف لويدز وجود أدلة على زعم الموقع، وبطبيعة الحال أن (لويدز بنك) الذي نفى معلومة ويكيليس هو بنك بريطاني عريق تأسس عام ١٧٦٥م وله آلاف الأفرع على مستوى العالم، وتطور من شركة صغيرة إلى بنك على مدى ثلاثة قرون، هل يتوقع ضيقي الأفق أن يعترف ويكشف عن معلومات زبائنه ولاسيما من رؤساء الدول...؟؟..

لذا من المنطقي أن يسارع البنك بالنفي حتى يحقق أغراض عملائه في بقاء الأموال في الحفظ والصون، ومن هنا أقول أن البنوك في كل أنحاء العالم تتعهد بحفظ أسرار عملائها، ولا تبوح بها لكائن من كان، وتمثل عملية حفظ الأسرار هذه أهم عوامل جذب الأموال الكبيرة وذات الطبيعة المتعلقة بمدخرات الرؤساء والشخصيات المهمة، لكن التعويل على حقائق الفساد الحاصل في محيط السيد الرئيس هو الذي يؤكد ما سربته وثائق وكيليس.

لكن التفسير القرآني للفساد الكبير الذي أحدثته (الانقاذ) في المجتمع السوداني ما تتحدث عنه مجتمعات السودانين في انتشار الدعارة ومجهولي الوالدين والمخدرات وغيرها، فإن القرآن أنبأنا بأن الفساد يولد كل المُوبقات في المجتمع وبالتالي العمود الفقري للفساد هو الفقر الذي يؤدي إلى كل المهلكات، ولا توجد آية في القرآن الكريم تتحدث عن الفساد إلا وتليها أُخرى تتطرق إلى الهلاك والعاقبة الكبرى للمفسدين، فقال جل من قائل:

"وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُترفيها ففسقُوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميرا" (الآية ١٦ من سورة الإسراء).

وفي آية آخرى:

"وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد(الآية ٢٠٥ من سورة البقرة"، فما يحدث في السودان حالياً هو هلاك الحرث والنسل بكل ما تحمل هذه الآية من معنى، فكان الناتج بشكل تلقائي عاقبة المفسدين"( الآية ١٤ من سورة النمل)،.و"الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب،إن ربك لبالمرصاد"..(الآيات ١١ ـ ١٤ من سورة الفجر).

١٨ ديسمبر ٢٠١٠م

## حكاية الـ ٩ مليار دولار في حساب الرئيس عمر البشير في جنيف..!!.

# من (حوش بانقا) لحوش (ويكيليس)..!!.

أفادت مصادر خاصة من العاصمة السويسرية جنيف أمس أن للرئيس السوداني عمر حسن أحمد البشير حساب في (بنك لويدز الخاص) بفرعه بمدينة جنيف وليس بمقر البنك الرئيسي في لندن كما ذكر موقع ويكيليكس، وكما هو معروف أن العاصمة السويسرية جنيف هي الأكثر شهرة في العالم احتضاناً لأموال وثروات رؤساء الدول وزعماء الشعوب، وأكدت أن حساب الرئيس السوداني تم فتحه في شهر مايو ١٩٩١م بواسطة سفير السودان بسويسرا آنذاك السيد مهدي ابراهيم، وحينها كان الحساب رقمي بمعنى أن حساب الرئيس عمر البشير لم يكن مسجلاً باسم بل مسجلاً بـ (رقم)، وبعد حادثة وفاة نجل القيادي بالمؤتمر الوطني ابراهيم أحمد عمر الذي كان في حسابه حوالي ١٧ مليون دولار تخص الحزب الحاكم، ونشوب خلافات بين أسرة د. شريف التهامي والقيادي د. إبراهيم أحمد عمر تم تسجيل الحساب رسمياً باسم عمر حسن أحمد البشير بحضوره شخصياً عندما زار سويسرا في العام ٢٠٠٠م.

وتشير التفاصيل إلى أن السفير مهدي إبراهيم عندما تم نقله سفيراً للسودان في واشنطن كان يأتي للعاصمة جنيف بين الفينة والأخرى لمتابعة حساب الرئيس عمر البشير وقد كان مشرفاً على هذا حساب المصرفي مكلفاً من الرئيس شخصياً، لمتابعة كل ما يتعلق بالحساب صرفاً و إيداعاً، وبعد فترة تم تعيين د. ابراهيم ميرغني سفيراً للسودان في سويسرا فأصبح مسؤولاً عن الحساب الخاص بالرئيس، والسفير ابراهيم ميرغني تربطه بعمر البشير علاقة قوية للغاية بدأت منذ أن درسا سوياً المرحلة الوسطى بمدينة شندى، حيث أكدت المصادر الخاصة أن الدكتور ابراهيم ميرغني هو السوداني الوحيد في السلك الدبلوماسي الذي عُين سفيراً في سويسرا مرتين نسبة لأنه أقرب الشخصيات بالنسبة للرئيس عمر البشير ما يعتبر الأنسب لمتابعة الحساب الخاص بالرئيس، وكان (بنك لويدز الخاص) ينزعج للتغيير المتعدد للأشخاص المسؤولين عن هذا الحساب وحرصه على سرية وخصوصية ودائع السيد الرئيس.

وتحدث المصدر عن نوعية الحساب المصرفي في (بنك لويدز الخاص) بمدينة جنيف بالنسبة لرؤساء الدول، موضحاً "أن حسابات رؤساء الدول الخاصة في هذا البنك تفتح بدايةً من ٢ مليون دولار فما فوق، ولا تفتح حسابات في هذا البنك بأرقام قليلة"، واضاف "تناوب على إدارة الحساب المصرفي للرئيس عمر حسن البشير كل من السفراء مهدي ابراهيم وعلي سحلول، ود.ابراهيم ميرغني على فترتين، ود. غازي صلاح الدين القيادي بالحزب الحاكم، أيضاً مشرفاً على الصرف من هذا الحساب بتوجيهات من الرئيس لدفع مبالغ كمكافآت لأشخاص سياسيين كانوا أو صحافيين، وجهات أخرى قدمت خدمات للنظام.

وقال المصدر في حديثه معي "أن رصيد حساب الرئيس عمر البشير بدأ يزداد بشكل كبير خاصة بعد تدفق البترول في السودان وتصديره، ويزداد كلما زادت مبيعاته وارتفع سعره في السوق العالمي"، وأكد "أن حديث مدعي المحكمة الدولية مورينو أوكامبو في التسريبات التي نشرها موقع ويكيليس كان صحيحاً مائة بالمائة لأن المبالغ التي ذكرها موجودة بالفعل في بنك لويدز الخاص بسويسرا وليس في لندن".

والجدير ذكره في هذا الصدد أن الحزب الحاكم في السودان كان يضع مبلغ يتراوح ما بين ١٧ إلى ٢٥ مليون دولار في حساب نجل د. إبراهيم احمد عمر (اسماعيل ٤٥ عاماً) الذي توفى في نهاية التسعينات والمتزوج من كريمة د. شريف التهامي وبعد وفاته (عليه رحمة الله) نشبت خلافات حادة بين الطرفين المؤتمر الوطني يمثله د. ابراهيم أحمد عمر القيادي الكبير بالحزب الحاكم وزوجة الفقيد مثلها والدها د. التهامي، وقد باءت كل محاولات إرجاع المبلغ لحظيرة الحزب الحاكم بالفشل برغم المناقشات والمفاوضات بين الطرفين التي استمرت طويلاً في صمت شديد، باعتبار ان المبلغ يخص ورثة الفقيد زوجته وأبنائه، هذه الحادثة استفاد منها الرئيس عمر البشير الذي قام بتسجيل حسابه الخاص في (بنك لويدز الخاص) باسمه بدلاً عن (الرقم) تحوطاً لما قد يحدث مستقبلاً.

بشهادة د. نافع علي نافع

## معارضة الأنترنيت تعري النظام وتضربه في مقتل..!!

لم يكن في خلدي البتة أن تأتي ردود الفعل على ما كتبت بعنوان من (حوش بانقا) لحوش (ويكيلكيس) بهذه السرعة، ومن كل الاتجاهات الخرطوم..بورتسودان.. جنيف.. واشنطن، ومما لا يمكن أن يتصوره القارئ الكريم الذي أعتز به غاية الإعتزاز وقد ظل يرفدني بالقوة والإرادة على المضي قدماً في تعرية هؤلاء القوم الذين تقف كل كلمات اللغة العربية عاجزة عن وصفهم لا سيما وأن التصريحات الأخيرة أكدت ضعفهم وكشفت عن حجمهم الحقيقي وسط الناس، المتمثلة في تصريحات الرئيس عمر البشير في القضارف عندما أطلق رصاصة الرحمة على وحدة التنوع العرقي والثقافي في السودان، ولما قاله أيضا نافع علي نافع وهجومه على ما أسماه (معارضة الانتر نيت) معترفاً بالجهود الكبيرة التي قام بها ثلة من الوطنيين الأحرار في تعريتهم بالحقائق الدامغة التي لا تقبل الجدل.

التسعة مليار دولار التي دخلت رصيد عمر حسن البشير في حسابه الخاص في بنك لويدز الخاص في جنيف قد تأكدت تماماً، مهما حاول عبيد المال والسلطة وصحافيي الغفلة تكذيبها لا يمكن أن ينكروا وجود الشمس في النهار، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد وهبنا عقولاً، بل طالبنا مراراً وتكراراً أن نفكر وأن نعقل وأن نتدبر، وأن نُمعن النظر، ومن المفارقات التي تقتل المرء عجباً فور نشر المقال – من (حوش بانقا) لحوش (ويكيليكس)– انهالت على بريدي الرسائل والمداخلات والاستفسارات، وغالبيتها كانت تتحدث بصوت واحد هو صوت الأغلبية الصامتة في السودان، وكانت حزينة ومتألمة غاية الألم، إلا رسالة واحدة كالت لي السباب والشتائم التي تعودت عليها من مناصري المؤتمر (الوطني) وبأقبح الألفاظ التي يعف قلمي عن ذكرها، مقابل أكثر من مائة رسالة جزء كبير منها حفل بالدعوات الصالحات لشخصي ولتوحيد وحفظ السودان من كل شر، ولعن قادة النظام بأشد عبارات الحنق والمظلمة.

ومن بين الرسائل واحدة من بورتسودان من موظف يعمل بشركة البحر الأحمر

للتجارة والملاحة أكد صاحبها أن الشركة تسير في ذات الاتجاه الذي ذهبت فيه شقيقتها شركة الخرطوم للتجارة والملاحة، وقد أصبحت تتقلص يوماً بعد يوم منذ أن جاء هذا النظام لحكم البلاد وسيطر على كل المؤسسات التي كانت تُعين الاقتصاد القومي، ثم رسالة من موظفة تحكي عن الفساد الاخلاقي في مؤسسات القطاع العام والدعارة التي تنتشر في البنايات الكبيرة وسط الخرطوم واللافتات الوهمية المُعلقة في الكثير من المكاتب التي تمارس الدعارة على نطاق واسع، وما يدور وسط الطالبات في مقار السكن من ممارسات وضعف رقابة الأشراف الاجتماعي، وآخرى تتحدث عن مجتمعات أسر قادة الحزب الحاكم صور كاتبها مشاهد الترف والبذخ والمظاهر الخداعة الذين التي تمتلئ بهم المطاعم الفاخرة، وصالات الوصول والمغادرة بمطار الخرطوم التي تستقبل وتودع أسر قادة الحزب من وإلى ماليزيا والسعودية وسوريا ودبي.. (صور مختلفة تماماً عن سواد المجتمع السوداني البسيط من الأسر التي فقدت معيلها، أو تلك التي أحيل ربها من عمله للصالح العام)، واحتفالات أعياد الميلاد والخطوبة في الصالات الفاخرة..كما قال محدثي (ناس أفراحها زايدة وناس يتألموا)..!!.

إن المعلومات الخاصة بحساب عمر البشير في سويسرا مدعومة بالتاريخ وأسماء الشخوص وهم أحياء يرزقون، ومنهم مازال يعمل في السلك الدبلوماسي سُفراء للنظام في دول شتى، ما يؤكد التصريحات التي أدلى بها مدعي المحكمة الجنائية الدولية لويس مورينو أكامبو حول أرصدة الرئيس عمر حسن أحمد البشير التي بلغت ٩ مليار دولار التي أخذت من عائدات بترول السودان الذي يرزح شعبه المسكين تحت ويلات الفقر والمرض بينما مؤيدو الرئيس يسرحون ويمرحون في بلاد الله الواسعة مُنعمين مُرفهين بما لا يستحقون..لا يأكلون في بطونهم إلا النار...!.

إن إعلام الحزب الحاكم قد دأب على الكذب الفاضح على المواطنين وعلى العالم قاطبة بالترويج لتنمية كاذبة ومؤامرات دولية مزعومة تستهدف الاسلام في السودان، كما دأبت اجهزة إعلام الحزب السياسية والصحافية والإلكترونية على حياكة الأكاذيب ودبلجتها ومحاولات قتلنا معنوياً وبثها للناس، وقد قلت لهم قبل أيام في (منبر سودانيزأولاين) إن هذه الأموال الكثيرة التي ينفقونها على إعلام الكذب والسباب والشتيمة وانتهاك حرمات الذين يخالفونهم الرأي سينفقونها ثم تكون عليهم حسرة.. والحمدلله رب العالمين أن استجاب دعوانا الصادقة التي خرجت

من سويداء القلب الذي يحزن على ما وصلت إليه الأحوال في السودان، فقد إعترف د. نافع بالعمل التوعوي الكبير الذي قمنا به في افتضاح أمرهم لعامة المواطنين وقد آلمهم غاية الألم ما كتبنا من حقائق ومن فضائح وممارسات لا تشبه أهل السودان بأي حال من الأحوال، ويؤكد د.نافع علي نافع قوة الكلمة التي نشهرها في وجوههم من أجل معالجة قضايا شعبنا وقد أصبح جنوبنا الحبيب قاب قوسين أو أدنى من الإنفصال، وقد تشتت شمل أهلنا في دارفور وشرق السودان وفي الشمال هناك إرهاصات مرحلة خطيرة تنتظر أهلنا في الشريك بسبب مشروع بناء السد في هذه المنطقة..سنظل نحاربهم بكل أسلحتنا لكن بدون كذب وإفتراءات وبأدب كما تربينا في بيوتنا التي تحمل جميل القيم، ونترك لهم استخدام أسلحتهم التي لم يكفوا عن استخدامها يوماً معنا.

(وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).. (يوسف :٢١).

٢٥ ديسمبر ٢٠١٠م

# المراجع


(١) أستاذ العلوم السياسية العراقي د. ناجي صادق شراب.

(٢) كانت الحكومة تنكر تسليحها للقبائل ولقوات الجنجويد ونقلته صحيفة البيان يوم ١٩ اكتوبر٢٠٠٤م بمسؤولية الحكومة السودانية عن تسليح (القبائل العربية) مليشيات الجنجويد في دارفور فقال وزير الأمن صلاح عبدالله المعروف بصلاح (قوش) " أننا سلحنا بالفعل القبائل والميليشيات لقتال المتمردين في دارفور، لكننا لن يرتكب الخطأ نفسه في شرق البلاد حيث تتصاعد حدة التوتر على امتداد الحدود مع اريتريا".

(٣) عثمان حسن أحمد البشير شقيق الرئيس عمر البشير كانت تربطه بالكاتب علاقة أخوية وروحية.

(٤) جوزيف كوني رئيس جيش الرب اليوغندي المتشدد كان يقيم في السودان وقد قامت الحكومة السودانية بإخفاءه في منطقة ما داخل البلاد وكانت تنفي كثيراً أي صلة لها به، وفي مناطق القتال ضد الحركة الشعبية في الجنوب كان مساعديه يقدمون خدماتهم للقوات المسلحة بل ويشاركون في العمليات العسكرية ضد الحركة الشعبية قبل الوصول التوقيع على اتفاقية نيفاشا التي أوقفت الحرب بين الطرفين.

(٥) د. عوض الجاز أحد قادة النظام، كان وزيراً الطاقة ثم وزيراً للمالية، صاحب أول سابقة في تاريخ السودان والمنطقة العربية والافريقية تم تسجل حساب البترول السوداني باسمه شخصياً، وقد اعترفت الحكومة السودانية بذلك للحركة الشعبية لتحرير السودان، ود. عوض الجاز مسار حديث في المجتمع السوداني حول طريقة تخزينه للمال وصرفه والذين يصرف لهم..!!.

(٦) كتاب الدكتور علي شريعتي (دين ضدالدين) الآثار الكاملة الكتاب السابع في السلسلة- دار الأمير للثقافة والعلوم- بيروت - لبنان-الطبعة الأولى

تموز ٢٠٠٦م.

(٧) كتاب سعيد الشبلي (انهيار الإنسان في القرآن الكريم – دراسة في النفاق) مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان طبعة ٢٠٠٩م.

(٨) أبا ذر علي الامين صحافي سوداني معتقل بسبب مقال إنتقد فيه توجهات النظام الحاكم.

(٩) ياسر سعيد عرمان سياسي سوداني يتبع للحركة الشعبية لتحرير السودان الشريك مع المؤتمر الوطني الحاكم، كانت الحركة الشعبية قد رشحته لخوض انتخابات رئاسة الجمهورية ضد عمر البشير.

(١٠) حوش بانقا هي منطقة بالقرب من مدينة شندي وسط السودان تنحدر منها أسرة الرئيس السوداني عمر حسن أحمد البشير.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| مقدمة | ٩ |
| عباقرة الكذب..!!. | ١٣ |
| المؤتمر الوطني.. تاريخ طويل من الكذب و نقض العهود | ٢١ |
| نظام يقوم على الكذب | |
| لا يمكن أن يكون عادلاً مع شعبه | ٣١ |
| عندما يكذب نائب الرئيس..!! | ٣٧ |
| الدكتاتورية السودانية وامتهان الكذب..!! .. | ٤٩ |
| رداً على د. محمد وقيع الله | |
| أحلام وقيع الله التي تحققت ..!! | ٦١ |
| د. مصطفى عثمان اسماعيل .. | |
| عندما ينكي جروح حرب الجنوب | ٧٧ |
| الحزب الحاكم في رأسه ريشة..!! | ٨٣ |
| تأملات في فراعنة السودان الجُدد..!!. | ٨٩ |
| أين موقع نظرية المؤامرة | |
| في اغتيال جون قرنق..؟؟ | ١٠١ |
| السودان وإيران ..معارك الدين والدنيا..!!. | ١٠٥ |
| المُؤتمر الوْطنِي.. | |

| | |
|---|---|
| إِنْ تحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث !! | ١١١ |
| الرئيس البشير.. الفرصة الأخيرة للإصلاح..!! | ١٢١ |
| أطلقوا سراح الرئيس عمر البشير..!!. | ١٢٧ |
| من وحي حديث الرئيس السوداني | |
| عن استعداد حكومته للحرب..!! | ١٣٥ |
| عندما يعيد الزمان نفسه | |
| الشهد والدموع في السياسة السودانية..!! | ١٤١ |
| شـيء فظـيع..!! | ١٤٥ |
| الحزن المقيم في دواخل الشعب السوداني..!! | ١٥٥ |
| ملامح شيوع التطرف الديني والسياسي | ١٦١ |
| في السودان | |
| والكبت والتطرف الديني والقبلي | ١٦٥ |
| قراءة في مدرستين..دين وأنوات..!! | ١٦٩ |
| طال عليهم الأمد فقست قلوبهم..!! | ١٧٩ |
| الطيب مصطفى والعصور الوسطى (١)..!!. | ١٨٥ |
| الطيب مصطفى والقرون الوسطى ..(٢) | ١٩١ |
| لماذا اختفى الطيب (سيخة)..؟؟ | ١٩٧ |
| أي شريعة هذه التي تنتصر بجماجم الأطفال..؟!! | ٢٠٥ |
| قناة الجزيرة تدافع عن النظام السوداني | |
| وتقسو على نظيره المصري!! | ٢٠٩ |

ما أشبه ليلة أبادر  بالبارحة!! ٢١٩

الرئيس ياسر عرمان!! ٢٢٥

هل بدأ الصراع (الشايقي)...(الجعلي)

على السلطة في البلاد...؟!. ٢٣٣

من  (حوش بانقا) لحوش (ويكيليس)..!!. ٢٣٧

حكاية الـ ٩ مليار دولار في حساب الرئيس عمر البشير في جنيف..!!. ٢٤٥

بشهادة د. نافع علي نافع

معارضة الأنترنيت تعري النظام وتضربه في مقتل..!! ٢٤٧

بلا شك إن التاريخ هو ذاكرة الأمم، ولا تستطيع أمة أن تعيش بلا ذاكرة، ودراسة التاريخ واستخراج الدروس والعبر منه هو دأب الأمم القوية فالتاريخ مرآة الشعوب وحقل تجارب الأمم في صفحاته تكمن الدرر والنفائس للذين يريدون الوصول إلى النهايات السعيدة.

هذا الكتاب مجموعة من المقالات التوثيقية لأحداث ووقائع شكلت حقبة زمنية مهمة في تاريخ هذا البلد، وهي التي فتحت الآفاق لمعرفة الأسئلة الصعبة لأسباب نشوب خلافات معينة أدت لإراقة الدماء في أجزاء معينة في البلاد، وكذلك مادة هذا الكتاب تشير بوضوح للمستقبل الذي ينتظر السودان من خلال الصور الحية لما حدث في العقدين الماضيين والنتائج الكارثية التي نتجت عنها، فالكتاب يحدث عن (الكذب) كممارسة أصيلة للنظام الحاكم في البلاد، وطريقة حكم في التعامل مع القضايا المصيرية والتي تتصل بحياة الناس في معاشهم اليومي.